عايدة الصلّال

من وصايا الرسول (ﷺ) للنساء

المكتبة الثقافية
بيروت

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة الثقافية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله...

قال تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير﴾ [الحجرات: ١٣]..

﴿إنَّ المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرةً وأجراً عظيماً﴾ [الأحزاب: ٣٥]..

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إنّ الله عزيز حكيم* وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبةً في جنات عدن ورضوانٌ من الله أكبرُ ذلك هو الفوز العظيم﴾ [التوبة: ٧١- ٧٢]..

﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً* ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً﴾ [الفتح ٥-٦]..

﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم* يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم* يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾.. [الحديد: ١١-١٣]..

﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم

من بعض فالذين هاجروا وأُخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب﴾ [آل عمران: ١٩٥]

﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا﴾ [النساء ١٢٤]..

﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أُنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياةً طيبةً ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ [النحل: ٩٧]..

﴿من عمل سيئةً فلا يجزى إلاّ مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب﴾ [غافر: ٤٠]..

أما بعد: فهذا كتاب خصصته للنساء وقد تناولت فيه بعض الوصايا النبوية التي لها علاقة وطيدة في النصح والإرشاد راجيةً من الله سبحانه أن ينفع به إنه على ما يشاء قدير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عايدة الصلال

الدين النصيحة

عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "الدين النصيحة". قلنا لمن يا رسول الله؟ قال:"لله ولكتابه ولرسله ولأئمة المسلمين وعامتهم"[(1)] . .

أختي المسلمة: هذا حديث جليل خصيب عليه مدار الإسلام، وقد قيل إنه أحد أحاديث أربعة عليها يدور السلام.

إنما الاعمال بالنيات، الحلال بيّن والحرام بيّن. ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، وقيل إن منها حديث إزهد في الدنيا يحبك الله بدلا من بغضها. ومعنى الدين النصيحة، أن عماد الدين وقوامه هو النصيحة لمن ذكرهم رسول الله ﷺ في هذا الحديث. كقول النبي ﷺ "الحج عرفة" معنى أن عرفة عماده ودعامته. والنصيحة فعلية، من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه بالنصح وهي الإبرة، والمعنى أنه يلم شعث الدين كما تلم النصيحة الثوب، ومنه التوبة النصوح كأن الذنب يمزق الدين والتوبة الصادقة تخيطه، ويتجه بعض العلماء إلى أنها من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع فأنت بتوجه نفسك وغيرك إلى الخير تصفّيها من الغش.

★ ★ ★

تقوى الله

عن أبي ذر جندب بن جنادة، وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل رضي

---

(١) ـ أخرجه مسلم (الإيمان) ب ٣٣ رقم ٩٥، والترمذي (١٩٢٦)، والنسائي ١٥٧/٧، وأحمد ٢٩٧/٢، والدارمي ٣١١/٢، والهيثمي في "المجمع" ٨٧/١، والطبراني في "الكبير" ٤١/٢ و١٠٨/١١، وابن عاصم ٥١٩/٢ و ٥٢٠، والحميدي (٨٣٧)، وأبي عوانة ٣٧/١، والشافعي (٢٣٣)، والبغوي في "شرح السنة" ٩٣/١٣، والتبريزي في "مشكاة المصابيح" (٤٩٦٩)، والبخاري في "التاريخ الصغير" ٣٥/٢، والطحاوي في "مشكل الآثار" ١٨٨/٢، والبخاري في "التاريخ الكبير" ١٠/٢ و٤٦٠/٦ والخطيب ٢٠٧/١٤ وابن عساكر ١٣٧/٣ و٣٢٥/٧.

الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: "إتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن"..(١).

أختي المسلمة: شرع الله تعالى الدين لأهداف ثلاثة إجمالا تتحقق معها سعادة الفرد وسعادة مجتمعه الذي يعيش فيه وهي رعاية حق الله تعالى بوصف كونه الخالق الرازق الذي يقول للشيء كن فيكون.

ورعاية حق النفس من صاحبها لخيره وإسعاده وإدخال الطمأنينة إلى قلبه، والبعد به عن غوائل الشر والفساد والفتن، ثم أخيراً رعاية حق البشر، والبشر هم الناس الذين يعيش معهم في دنياه ودنياهم وترتبط مصالحه بهم وترتبط مصالحهم به.

وفي رعاية هذا الحق إرساء القواعد الكبرى التي يعيش معها وبها وفيها في ظل ظليل وخير وفير وسعادة لا تعدلها سعادة.

★ ★ ★

مثل الذي يذكر الله والذي لا يذكره

عن أبي موسى قال النبي ﷺ: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت.»(٢)..

أختي المسلمة: لقد رضى الله سبحانه عمن يذكره آناء الليل وأطراف النهار، فالذكر سلم الولاية وسبيل الهداية، والذكر يتحقق بكل ما يتقرب به

(١) ـ أخرجه الترمذي (١٩٨٧). وأحمد ٥/١٥٣ و٢٣٦ و١٥٨ و١٧٧، والدارمي ٢/٣٢٣، والحاكم ١/٥٤، والطبراني في "الصغير" ١/١٩٢ وأبي نعيم في "الحلية" ٤/٣٧٨، وابن كثير ٢/١٧٧ و٤/٢٨٩، والزبيدي في "الإتحاف" ٥/٥١٢ و٨/٥١٨ و٥٧٦، والهندي في "الكنز" (٥٦٢٩) و(٤٣٢٩٦). والسيوطي في "الدر المنثور" ٢/٧٦.

(٢) ـ أخرجه البخاري (٧٠٤٦)، والمنذري في «الترغيب» ٢/٣٩٨ والبغوي في «شرح السنة» ٥/٤١، والتبريزي في «المشكاة» (٣٦٢٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» ١/١٥٠، وابن تيمية في «الكلم الطيب» (٤). والنووي في «الأذكار» (١٨).

إلى الله، فليس هو التلفظ بأسماء الله سبحانه باللسان فقط بل ذلك نمط من الذكر رفيع، ولكنكِ كلما عملتِ عملاً أردتِ به وجه الله سبحانه فقد ذكرته.

فتلاوة القرآن أعظم ما يتقرب به العبد إلى الرحمن، ودراسة السنة لتعرفي ما يرضي الله سبحانه من أعظم القربات إلى الله.

وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير الكلام وأحبه الى الله.

★ ★ ★

قراءة القرآن

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران».[1]..

أختي المسلمة: القرآن الكريم وعاء التعاليم الاسلامية وهو رسالة النبي ﷺ وهو المنهج الذي كلف البشر جميعاً بالسير على ضوئه في هذه الحياة ليعيشوا في سعادة وصفاء، وخير وهناء وليسلموا من غوائل الشقاء والتعاسة ونكد العيش قال تعالى: ﴿ **وننزِّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**﴾[2]، وقال لرسوله الصادق الأمين ﷺ: ﴿**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته وليتذكّر أولوا الألباب**﴾[3]وفي حديث آخر يقول النبي الكريم ﷺ: «ستكون فتنة قالوا: وما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله عز وجل فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره

---

(١) ـ أخرجه ابن أبي شيبة ١٠/٤٩٠.
(٢) ـ سورة الإسراء الآية ٨٢.
(٣) ـ سورة ص الآية ٢٩.

أضله الله، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، من قال به صدق، ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه فقد هدي إلى صراط مستقيم».

لما كان القرآن الكريم بهذه المثابة رغب النبي ﷺ في تلاوته وحفظه حيث جعل الماهر به تلاوة وحفظا وتجويداً وعملا مع الملائكة الكرام، وهذا معنى قوله صلوات الله وسلامه عليه:« الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة»، والماهر بالقرآن هو الذي يحفظه ويجيد تلاوته ويخضع لآدابه وأحكامه علما وعملاً، وصدق الحق سبحانه حيث يقول: ﴿ **إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور**﴾[1] وحيث يقول: ﴿**ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله**﴾[2]

★ ★ ★

مثل الإيمان والكفر

عن أبي موسى رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وأنا النذير العريان فالنجاء النجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلتهم وكفر به طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق»..[3]

أختي المسلمة: يريد الرسول ﷺ أن يضرب المثل له ولمن أطاعه ومن عصا بأمر يعرفه العرب ويمارسونه وهو الغارات والهجوم المفاجئ وهم لذلك يرصدون الأرصاد ولا سيما عند توقع الغارات لتأتي لهم بأخبار

---

(١) ـ سورة فاطر الآية ٢٩.
(٢) ـ سورة فاطر الآية ٣٢.
(٣) ـ أخرجه البخاري ١٢٦/٨، والهندي في «الكنز» (٩١٤).

الأعداء.

فإذا جاء عين من العيون وقال لقومه إنه رأى جيشا يريد بهم المكروه وأنذرهم بقرب انقضاضه عليهم وهم على غير أهبة له وأمرهم بالتخلص من شره والفرار من وجهه فإن لزاماً عليهم إذا أرادوا لأنفسهم النجاة منه أن يسارعوا بالفرار حتى لا يتمكن من الإيقاع بهم فإن هم أطاعوه نجوا وظفروا ولم يمسهم سوء ولا مكروه، ولكنهم إذا أعرضوا عن قبول نصحه وعصوا أمره ظفر بهم العدو ونال منهم ما يريد من الدماء والأموال.

وإن أطاعه قوم وعصاه آخرون كانت النجاة للطائعين والهلاك والدمار على العصاة.

وقد روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم».

أختي الفاضلة: لقد ضرب النبي ﷺ مثلا آخر لمن أطاعه فنجا ومن عصاه فهلك.

روى الشيخان والترمذي أن رسول الله ﷺ قال: « إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الفراش والدواب يقعن فيها فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون فيها».

شبه النبي ﷺ نفسه برجل أوقد نارا لينتفع بها في مختلف مرافقه ولكن الحماقة في بعض الحيوان تدفعه إلى إلقائه بنفسه إلى الهلاك والارتماء على النار.

★ ★ ★

العمل الذي يدخل الجنة

عن أبي أيوب رضي الله عنه أن رجلا جاء الى النبي ﷺ فقال: أخبرني بعمل يدخلني الجنة. فقال رسول الله ﷺ: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم

الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم»..[1].

أختي المسلمة: في هذا الحديث، النبي ﷺ يدل الرجل على أمهات الدين التي من تمسك بها كان من المفلحين فأمره أن يعبد الله ولا يشرك به شيئاً وأن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصل الرحم، فجعل النبي ﷺ صلة الرحم حقاً واجباً كالصلاة والزكاة وأساساً حتما لعبادة الله وحده لا شريك له.

فهل في ذلك عبرة لأولئك الذين يؤثرون دنياهم ويبخلون على أقاربهم حتى بالتحية الطيبة وبالبسمة، عملاً بقول الله عز وجل: ﴿وإما تعرضنّ عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا﴾[2] فأمر بالكلمة الطيبة إذا عز المال. وانتظر المؤمن فرج الله عليه وإحسانه إليه.

★ ★ ★

قل آمنت بالله ثم استقم

عن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله. قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال:«قل آمنت بالله ثم استقم».[3]

أختي المسلمة: اشتمل هذا الحديث الشريف على وصية جامعة لمعالم الدين وفضائله وخصاله وأحكامه في لفظ عذب موجز قصير، ولكنه من

(١) ـ أخرجه البخاري ٢/١٣٠ و ٨/٦، وأحمد ٣/٤٧٢ و٥/٤١٨ والطبراني في «الكبير» ٤/١٦٥

(٢) ـ سورة الإسراء الآية ٢٨.

(٣) ـ أخرجه مسلم (الإيمان) ب ٣١ رقم ٢٦، وأحمد ٣/٤١٣ و٤/٥٨٣ والزبيدي في «الإتحاف» ٧/٤٥٠ و١٠/٢٧، والبغوي في «التفسير» ٣/٢٥٥ والتبريزي في «المشكاة» (١٥)، والطبراني في «الكبير» ٧/٩٧، والبخاري في «التاريخ الكبير» ٥/١٠٠، والخطيب ٢/٣٧٠ و٩/٤٥٤، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٤١).

جوامع كلمه ﷺ فقد جمع خير الدنيا وخير الدين، واشتمل على كل ما فيه سعادة الدنيا والآخرة لأنه لم يترك شاردة ولا واردة من هدى الدين إلا وانطوى عليها وجمعها، فهو الدين إجمالا وهو منتزع من قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون* نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون* نزلاً من غفور رحيم**﴾.[1]

★ ★ ★

ظن العبد بالله

عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني. فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي. وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأٍ خير منهم**».[2]

أختي المسلمة: إن الله سبحانه وتعالى جعل ذكره أكبر من كل شيء وأمر به وحث عليه في كتابه وجعل الذكر من العبد ثمناً لذكره سبحانه وتعالى إياه كما ورد في هذا الحديث القدسي وكما جاء في الآية الكريمة إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون**﴾[3]

★ ★ ★

(١) ـ سورة فصلت الآيات ٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٢.

(٢) ـ أخرجه الإمام أحمد ٢/٣١٥ و٤/١٠٦، وابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (٢٠) و(٩٣) و(٨٤)، والمنذري في «الترغيب» ٢/٣٩٣ و٤٧٧ و٤/٢٦٩، والزبيدي في «الإتحاف» ٥/٥ و٦ و٧ و٤٠ و٩/١٦٩ و٢٢١ و١٠/٢٧٧، والبيهقي في «الاسماء والصفات» (٢٠٨).

(٣) ـ سورة البقرة الآية ١٥٢.

دعاء المكروب

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله (ص) كان يقول عند الكرب: « لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم»..[1].

أختي المسلمة: إن هذا اللجوء إلى الله تعالى وقت الكرب بذكر أوصافه الطيبة الكريمة فيه دعاء ضمني بتفريج هذا الكرب، وتيسير العسير من الأمر، وفيه ما يشرح الصدر، ويطمئن القلب.

فالله تعالى هو الذي يملك كل شيء، ويقدر على كل شيء، وهو الذي يجور ولا يجار عليه، ومن شأن المؤمن الصادق في إيمانه أن يستحضر عظمة الله تعالى وقدراته في كل وقت، ولا سيما عند الكرب.

★ ★ ★

الاستغفار والتوبة

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأستغفر الله، وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»..[2]

أختي المسلمة: مقام رسول الله سيدنا محمد ﷺ عند رب العالمين الذي أرسله بشريعته إلى الناس أعلى مقام، وقد عصمه الله تعالى عن كل تقصير وحماه من كل نقص وشرح له صدره، ورفع له ذكره، وجعله فاتحاً خاتماً، ومع هذا المقام العالي كان ﷺ في معاملته مع الله خالق هذه الدنيا بمن

---

(١) ـ أخرجه البخاري (٦٣٤٥) و(٦٣٤٦) و(٧٤٢١) و(٧٤٣١) ومسلم (الذكر والدعاء) بـ ٢١ رقم ٨٣، وأحمد ١/٢٢٨ و٢٥٩ و٢٨٠ و ٢٨٤ و٣٣٩، والخطيب ٩/٣٥٦، والنووي في «الأذكار» (١١١).

(٢) ـ أخرجه ابن ماجه (٣٨١٦)، وأحمد ٢/٤٥٠، والهيثمي في «المجمع» ١٠/٢٠٨ وفي «موارد الظمآن» (٢٤٥٦) و(٢٤٥٦٨). وابن كثير ٤/١٦٠ وأبي نعيم في «الحلية»

فيها وبما فيها بهذه المثابة التي ذكرها في حديثه الشريف، من حيث كثرة الاستغفار وكثرة المتاب، وفي هذه العبادة تعليم لأمته وإرشاد لأفرادها ومجتمعاتها إلى ما يقربهم من خالقهم.

فالاستغفار طلب المغفرة والستر منه سبحانه وتعالى بالتجاوز عما قد يكون وقع فيه من خطرات القلب أو من أشياء اعتبرت بالنسبة له ﷺ ذنبا وهي من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين فهو ﷺ معصوم من الذنب بمعناه المعروف.

وهذا الاستغفار مفتاح باب القرب من الله عز وجل، وهو مصدر الخير والبركات، كما قال ربنا تعليما وإرشادا في محكم التنزيل حكاية عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿**فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا* يرسل السماء عليكم مدرارا* ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا**﴾[1] وكما قال سيدنا رسول الله ﷺ في حديث آخر: «من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل ضيق فرجا ومن كل هم مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب». ومن رزق كثرة الاستغفار رزق السعادة الحقة، ومنح الطمأنينة، وراحة البال، وعاش في دنياه عيشا حميدا مجيدا، وكان محبوباً عند الله وعند الصالحين من عباده.

★ ★ ★

حسن الخلق

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة القائم الصائم». [2]..

= ص/١٨٨، والبغوي في «شرح السنة» ٥/٧٠ وابن عساكر ٢٣٥/٤، والشجري في «الأمالي» ٢٣٤/١، والقاضي في «الشفا» ٣٥٦/٢، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ٢٨٩/٤.

(١) ـ سورة نوح الآيات ١٠ ـ ١١ ـ ١٢.

(٢) ـ أخرجه أبو داود (٤٧٩٨)، وأحمد ٩٠/٦، والتبريزي في «المشكاة» (٥٨٢)، والبغوي في «شرح السنة» ٨١/١٣ و٨٢، والمنذري في «الترغيب» ٤٠٤/٣، والزبيدي =

أختي المسلمة: هذا الحديث النبوي الشريف، يبيّن منزلة أهل الفضل ممن اتصفوا بمحاسن الأخلاق وأنهم بذلك ينالون من الدرجات العالية عند الله عز وجل، درجات القائمين لله تعالى في نوافل الصلوات، الصائمين له سبحانه وتعالى في نوافل الصوم، ولا يخفى أن من وفّقه الله تعالى لقيام الليل وصام النهار سمت درجاته وعلت مكانته عند الله عز وجل.

وحسن الخلق من الشمائل العالية التي تحبب صاحبها من الناس ومن رب الناس، ويقصد من حسن الخلق تهذيب النفس ببعدها عن الإساءة إلى الغير، وحسن العشرة معه، وأداء حقه ورعاية جانبه في حضوره وغيبته، والبعد عن الغدر والغش والكذب والخداع وما إلى ذلك من الصفات القبيحة المنفّرة التي يطلق على صاحبها إنه سيّئ الأخلاق.

★ ★ ★

البر والإثم

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبيﷺ قال: «البر حُسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس»(١)..

حاك: أي تردد وتحرك في الصدر..

أختي المسلمة: بعث النبيﷺ للدعوة إلى المكارم والفضائل والشمائل العالية التي ترفع من شأن الإنسان في دنيا البشر وتجعله محبوباً بين أهله وأصدقائه والناس أجمعين، فإن في كل إنسان من بني آدم حاسة خفية

= في «الاتحاف» ٢٨/٨، وابن أبي الدنيا في «التواضع» (١٦٦). والسيوطي في «الدر المنثور» ص٧٥/٢. والهيثمي في «موارد الظمآن» (١٩٢٧).

(١) ـ أخرجه مسلم (البر والصلة) ١٤، والترمذي (٢٣٨٩)، وأحمد ١٨٢/٤، والبيهقي في «السنن» ١٤٢/١٠، والحاكم ١٤/٢، والبغوي ٦/٢ وفي «شرح السنة» ٧٧/١٣، والطحاوي في «شكل الآثار» ٢٤/٣، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٩٥) و(٣٠٢)، والتبريزي في «المشكاة» (٥٠٧٣) والدارمي ٣٢٢/٢، والزبيدي ٤٢/٦ و٢٩٨/٧، والحافظ في «الفتح» ٤٥٨/١، والهندي في «الكنز» (٥١٦٣)، والخرائطي =

يدرك بها الحق من الباطل والخير من الشر والفضيلة من الرذيلة والكمال من النقص. نعم على هذا الأساس فطرت النفس البشرية، غير أن العناد والاتجاه المعين إلى شيء معين قد ينحرف بالإنسان عن هذه الحقائق ويجعل منه مخلوقاً شرساً بعيداً عن الصفات الإنسانية الكريمة التي يتحلى بها أهل الفضل والخير والكمال.

وهذا الحديث النبوي الشريف يشير إلى ذلك تمام الإشارة ويوضحه تمام التوضيح ويبينه أجزل بيان، فإن الصحابي الجليل النواس بن سمعان رضي الله عنه سمع من أشرف الخلق سيدنا محمد ﷺ تفسيراً مشرقاً نيراً واضحاً عن البر أنه حُسن الخلق، والواقع أن مدلول البر يجمع كل خير يحتاج البشر إليه من كل ما يحقق السعادة النفسية، والراحة القلبية والأمن والأمان، والسلم والسلام وما إلى ذلك مما تصبح معه الحياة رخية رضية طيبة مباركة، كما أنه ﷺ فسر الإثم بأنه كل ما حاك وتردد في الصدر ولم يرض عنه صاحبه وكره اطلاع الناس عليه لأنّ في النفس العاقلة موازين تدرك بها الخير من الشر، والنافع من الضار، ولكن الهوى البغيض، والميل الفاسد قد يحول بين الإنسان وبين ما تتحقق معه سعادته وسعادة الآخرين، وبهذا تكون الغاية من الحديث الشريف أن يتحرى العاقل من الناس البر في كل شأن يقبل عليه، وأن يتجافى عن الإثم والتفكير السيِّئ في الفعل السيِّئ الذي يكره أن يطلع عليه الغير، أنه بهذا وبهذا وحده يتحلى الإنسان بالفضائل ويتخلى عن الرذائل فيسعد في نفسه ويسعد معه مجتمعه الذي يعيش فيه، وكل الطاعات التي أمرنا بها رب العالمين غاياتها سعادة الإنسان وبعده عن أسباب التعاسة والشقاء، كما أن جميع المنهيات التي حذرنا عنها ربنا في كتابه الكريم أو في سنّة رسوله الصادق الأمين مهاوٍ تهوي بفاعلها إلى الحضيض وتجعله بغيضاً عند العقلاء الراشدين من بني جنسه، وكل التعاليم السماوية التي جاءت بها رسل الله تعالى تهدف إلى هذه الغاية العليا. وتقررها وتدعو إليها، لأنهم جميعاً صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، يأخذون من نبعة واحدة وهم جميعاً أبناء علات أمهاتهم شتى وأبوهم واحد، وصدق الله

= في «مكارم الأخلاق» (٧) والنووي في «الأذكار» (٣٦٥) وغيرهم.

العظيم حيث يقول في القرآن الكريم:

﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾[الشورى:١٣]..

فدين الله تعالى وشرعه واحد في جميع الكتب السماوية المنزلة من عنده عز وجل، وهي تهدف إلى إصلاح الفرد والمجتمع، وإسعاد الفرد والمجتمع، ولا يتم إيمان المكلف إلاّ إذا آمن برسل الله جميعاً قال تعالى:

﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرّق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ [البقرة: ٢٨٥]..

فالمؤمن من الناس الصادق المنصف المتجرد من العنصرية والعناد لا يفرق بين أحد من رسل الله لأنهم جميعاً يبلغون عن الله تعالى شرعه للناس بقصد الهداية لتحقيق السعادة العاجلة والآجلة...

★ ★ ★

حق الزوج على الزوجة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كنت آمرُ أحداً أن يسجدَ لأحدٍ لأمرتُ المرأةَ أن تسجدَ لزوجها»(١)

أختي المسلمة: هذا تنويه عظيم بحق الزوج: والإسلام العظيم دين الخلق والوفاء، وليست هناك صحبة أحق بالوفاء ولا معاشرة أولى بالرعاية لتثمر العادة بين الصاحبين مثل صحبة الزوجية، ومعاشرة النكاح المشروع الذي أحل الله سبحانه به ما كان حراماً قبله، وأوجب به حقوقاً تثمر الخير كله. فالمرأة ذات حق في الإسلام عظيم وقد وصفها الله سبحانه إذا صلحت

(١) ـ أخرجه أبو داود (النكاح) ب ٤١، والترمذي (١١٥٩) وأحمد ٣٨١/٤ و٧٦/٦، والحاكم ١٨٧/٢، وابن عدي ١٣٩٣/٤ و١٦٢٤، والهيثمي في «المجمع» ٣١٠/٤ و٣١١، والبيهقي في «السنن» ٢٩١/٧ و٢٩٢ والطبراني في «الكبير» ٢٣٧/٥ و١٥٢/٧ و٢٦٤/١٨، والتبريزي في «المشكاة» (٣٢٥٥) والشيخ في «الإرواء» =

بقوله: ﴿فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً﴾ [النساء:٣٤]..

والمرأة كانت قبل الإسلام كالسلعة تورث، وكانت تعضل عن الزواج إذا مات زوجها أو طلقها وكانت تحرم من الميراث فلا تنال منه قسطاً وكانت توأد منذ طفولتها، فرفع الإسلام شأنها وأحسن اعتبارها فقد أخطأ من زعم أن الإسلام غمطها، لقد كانت الأمم كلها تنظر إلى المرأة نظرة الانحطاط حتى كان الإسلام هو الذي رفع شأنها، وحتى يقول ابن عباس رضي الله عنه: إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي ويتلو قوله سبحانه: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾...[البقرة: ٢٢٨]

وإذا كان الإسلام قد أوجب عليها طاعة الزوج إلى أقصى درجة فذلك لأنه دين الإنصاف وهو لا يعرف المحاباة ولا الإجحاف وفي التوجيهات النبوية ما هو دروس كريمة تقف المرأة عند حدها وتعلمها كيف تفي لزوجها.

من ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبيﷺ قال: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، دخلت جنة ربها»[1]

فطاعة الزوج شرط في دخول المرأة الجنة لا تنالها إلاّ به.

وجاءت امرأة إلى رسول اللهﷺ فقالت: يا رسول الله إني رسول النساء إليك، وما منهن امرأة إلا وتهوى مخرجي إليك: الله رب الرجال والنساء وأنت رسول الله إلى الرجال والنساء، كتب الله الجهاد على الرجال فإن أصابوا أثروا وإن استشهدوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون فما يعدل

= ٥٤/٧ و٥٧، والمنذري في «الترغيب» ٥٥/٣ و٥٦، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» ١٣٦/١ وابن أبي شيبة ٣٠٦/٤ وابن كثير ٢٥٧/٢ و٣٣٥/٤ وفي «البداية» ١٥٧/٦ وغيرهم.

(١) ـ أخرجه ابن حبان (١٢٩٦–موارد)، والمنذري في «الترغيب» ٥٢/٣ و٢٨٢، والهيثمي في «المجمع» ٣٠٥/٤ و٣٠٦، وابن كيثر ٢٥٧/٢، والزبيدي في «الإتحاف» ٤٠١/٥، وابن عدي ٩٩٣/٣، والعراقي في « المغني عن حمل الأسفار» ٥٩/٢، والهندي في «الكنز» (٤٥١٢٥) و(٤٥١٢٦).

ذلك من أعمالهن من الطاعة؟

قال ﷺ: «طاعة أزواجهن والمعرفة بحقوقهن وقليل منكن من يفعله»..[1]

وهذه نبوءة صادقة من الرسول ﷺ فإن القليل من النساء اليوم من تعرف حق الزوج وتلتزم الأدب معه مع أن في ذلك سعادتها في الدنيا والآخرة.

وعن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ المرأة إذا خرجت من بيتها وزوجها كاره لعنها كل ملك في السماء وكل شيء مرت عليه..» الحديث[2].

وروى الترمذي أنّ رسول الله ﷺ قال: أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة»[3] وهذا ترغيب عظيم.

وقد جاء في عكس ذلك التنفير من الإعراض عن الزوج حتى عند الدعوة إلى الفراش ما لم تكن هناك ضرورة بينة.

روى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال: « والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلاّ كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها»[3]..

وفي رواية: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء فبات عليها غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح»[4]..

وفي كل ذلك تصوير بيّن لما يجب على المرأة من طاعة لزوجها وتقدير لحقه.

اللهم وفق نساءنا لتعرف دينك بالطاعة والامتثال يا رب العالمين.

★ ★ ★

(١) - أخرجه عبد الرزاق (١٥٩١٤)، والعراقي في « المغني عن حمل الأسفار» ١٣٣/٤، والهيثمي في «المجمع» ٣٠٦/٤٠ و٣١٤، والزبيدي في «الإتحاف» ١٥٢/٩ والطبراني في «الكبير» ٣٥٥/١٠، والبخاري في «التاريخ الكبير» ١٦٢/٧.

(٢) - أخرجه المنذري في «الترغيب» ٥٩/٣، والهيثمي في «المجمع» ٣١٣/٤...

(٣) - أخرجه مسلم (النكاح) ١٢١، والهندي في «الكنز» (٤٤٧٧٨)

(٤) - أخرجه البخاري (٣٢٣٧) و(٥١٩٣) و(٥١٩٤)، ومسلم (النكاح) ١٢٢، وأحمد =

أي الناس أعظم حقاً على المرأة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت النبيﷺ: أي الناس أعظم حقاً على المرأة؟ قال: «زوجها» قلت: فعلى الرجل؟ قال: «أمه» [1]..

أختي المسلمة: انظري إلى هذا الحديث.. أي الناس أعظم حقاً على المرأة؟ وأي الناس أعظم حقاً على الرجل؟ سؤالان سألتهما أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، لزوجها صاحب الشرعﷺ فكان جوابه صلوات الله وسلامه عليه عن السؤال الأول: الزوج أعظم الناس حقاً على زوجته، وعن السؤال الثاني: الأم أعظم الناس حقاً على ابنها ـ وطبيعي أنه متى خرجت البنت من بيت أبيها إلى بيت زوجها فقد أصبحت في كنف رجل مسئول عنها قوّام عليها يطعمها ويسقيها، ويؤدي لها ماتحتاجه من مرافق الحياة كلها، ويصونها ويعاونها على تأدية رسالتها في الحياة كاملة غير منقوصة.

لا جرم.. أوجب الإسلام على المرأة الطاعة التامة لزوجها وعدم التمرد على قوامته عليها، وأكد ذلك أبلغ تأكيد حتى أن النبيﷺ ليقول: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» [2]

= ٤٣٩/٢ و٤٨٠ والبيهقي في «السنن» ٢٩٢/٧، والبغوي في «شرح السنة» ٩/م١٥٧، والتبريزي في «المشكاة» (٣٢٤٦)، والهندي في «الكنز» (٤٤٧٩٢) و(٤٤٧٨٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» ١٥٦/٢ وابن كثير ٢٥٧/٢، وأبو داود (٢١٤١) والهيثمي في «المجمع» ٣١٢/٤، والخطيب ١٠٥/٢، والطبراني في «الكبير» ٣٩٨/٨، وابن حبان (١٢٩٥–موارد) وغيرهم.

(١) ـ اخرجه الحاكم ١٥٠/٤ و١٧٥، والمنذري في «الترغيب» ٥٣/٣، والسيوطي في «الدر المنثور» ١٥٣/٢ و١٧٥/٤، والهيثمي في «المجمع» ٣٠٨/٤.

(٢) ـ اخرجه أبو داود (النكاح) ب ٤١، والترمذي (١١٥٩)، وأحمد ٣٨١/٤ و٧٦/٦، والحاكم ١٨٧/٢، وابن عدي ١٣٩٣/٤ و١٦٢٤، والهيثمي في «المجمع» ٣١٠/٤ و٣١١، والتبريزي في «المشكاة» (٣٢٥٥)، والبيهقي في «السنن» ٢٩١/٧ و٢٩٢، والشيخ في «الإرواء» ٥٤/٧ و٥٧، والطبراني في «الكبير» ٢٣٧/٥ و١٥٢/٧ و٢٦٤/١٨، والمنذري في «الترغيب» ٥٥/٣ و٥٦، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» =

لكن السجود لا يكون إلاّ لله وحده، وإذن فعلى المرأة أن تبالغ في طاعة زوجها وطلب رضاه، وتنفيذ كل أوامره في حدود ما رسم أحكم الحاكمين، فلو أمرها بمعصية فلا تطيعه، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فمثلاً إذا أمرها بشرب الخمر، أو الرقص في الحفلات المعروفة، فلا عليها إن عصته وتمردت عليه، لأنه يكرهها على الرجس والفسوق ومعصية الله والرسول، فإرضاء الله أولاً، ثم إرضاء الزوج ثانياً، ويقولﷺ:

«خير النساء التي إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها»(1).

ولا شك أنَّ الزوجة التي تتوفر فيها هذه الخلال الثلاث، وسامة في الشكل بحيث إذا نظرت إليها سرتك، وجمال في الخلق بحيث إذا أمرتها أطاعتك، وقناعة وعفاف بحيث إذا غبت عنها حفظتك في المال والعرض والشرف والكرامة، هي المرأة المثالية التي ينشدها كل رجل كامل الرجولة وقد كان هذا الحديث جوابي لكل من يطلب المثالية في المرأة...

وعصيان المرأة لزوجها فظاعة تورث شقاء الدنيا والآخرة، فلتسمع الزوجات المؤمنات هذا الهدى النبوي الحكيم، ولتخفض جناح الذل من الرحمة لزوجها الذي جعل الله له من الحقوق أعظمها، حتى إنه لصاحب الأمر كله فيها بعد أن خرجت من كنف أبيها إلى حصن الزوجية المقدس، وأصبحت في ذمة رجل مسؤول عنها أمام الله والناس، وليفهم الرجال أن هذه القوامة والهيمنة والرياسة على المرأة ليست استبداداً ولا طغياناً ولا

= ١/١٣٦، وابن أبي شيبة ٤/٣٠٦، وابن كثير ٢/٢٥٧ و٤/٣٣٥ وفي «البداية»٦/١٥٧..

وأخرجه بلفظ: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله..» ابن ماجه (١٨٥٣) وأخرجه بلفظ:« لو كنت آمراً أحداً من أمتي يسجد» البيهقي في «دلائل النبوة» ٦/٢٩، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» ١/١٣٧..

(١) ـ أخرجه الحاكم ٢/١٦١، والزبيدي في «الإتحاف» ٥/٣٤٥، والهيثمي في «المجمع» ٤/٢٧٣، والبغوي ١/٥١٩، وابن كثير٢/٢٦٥٧، والطبري ٥/٣٩، والسيوطي في «الدر المنثور» ٢/١٥١، والشيخ في «الصحيحة» (٤٥٤) و(١٨٣٨).

استعباداً، ولا.. ولا.. كما يفعل المتنطعون من الأزواج بل هي رياسة شورية متفاهمة، معناها التعاون الصحيح على وجود أسرة محترمة، وبيت مؤمن كريم كل منهما في حدود وظيفته في الحياة من غير إفراط ولا تفريط، وقد حدد الإسلام الحدود والواجبات لكل من الرجل والمرأة فجعل وظيفة الرجل في الحياة خارجية: سعي وكدح وعمل ودفاع عن الوطن، وحماية للذمار؛ وجعل وظيفة المرأة في الحياة داخلية: أمومة ورضاع، وتربية وتهذيب وتعهد لشؤون بيتها بما يرضي ربها وزوجها، فطلب المرأة لوظائف الرجولة، كالقيادة والإمامة والقضاء والنيابة، تمرد وعصيان، ونشوز وقلب للأوضاع كما أن تجميل الرجل لنفسه، وعنايته بالحلية والزينة والنعومة والتطرية في الحديث، خنوثة وميوعة، ويعجبني في هذا المقام قول الشاعر المعاصر الذي رأى تسابق الشبان على الزينة والحلية:

شغل الفتى بجماله ... يسعى له ويجاهد
هل ذا شباب ناهض ... أم ذا شباب ناهد

وقال الشيخ عبد الحليم ـ شيخ جامع العرب في الزرقاء ـ:

عبثاً يشق على النهى والأنفس ... أن تلتقي يا بن الكرام بخنفس
زنخ ثقيل الدم أسدل شعره ... متبرجاً متهتكاً كالمومس
وفقاره لصقت بها بنطاله ... وكأنه من ضيقها لم يلبس
واسترسلت وتبسلت فتحاتها ... فربت لشارعها كأحسن ملبس
وتراه زين جلده بقلادة ... وأطال أظفاراً له كأوانس
هل هذه الأوراد منها يرتجى ... أن تسترد بها بلاد المقدس
ماذا نقول لعامر ولخالد ... ورجالهم من كل فهد أشوس
هم ورثوكم موطناً وكرامةً ... من أجلها ضحوا بغالي الأنفس
وأضعتموها بالسفاهة والهوى ... ذماتكم في مأكل أو ملبس
أما لكم عمر يقود غمارها ... وصلاح دين ياله من فارس
إن رمتم العلياء هذا نهجهم ... وتخلصوا من كل طبع مدنس
لتؤهلوا للانتصار على العدى ... وبزوغ فجر بعد ليل دامس
لتطهروا مسرى النبوة من أذى ... شذاذ آفاق اليهود النجس
فالقدس طهر واليهود نجاسة ... ومتى تزال نجاسة بمنجس

وقال غيره:

وما عجب أن النساء ترجلت ... ولكن تأنيث الرجال عُجاب

وفي الحديث: «ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدا: الرجل الديوث، ومدمن الخمر، والرجلة من النساء» قالوا يا رسول الله: أما مدمن الخمر فقد عرفناه فما الديوث؟ قال: «الذي لا يبالي من دخل على أهله» قيل: فما الرجلة من النساء قال: «التي تتشبه بالرجال»[1]..

وقد «لعن رسول اللهﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»[2].

فالرجل رب البيت مسؤول عن الزوجة فلا يسمح لها بالخروج متبرجة بزينتها، ولا يرضى لها أن تختلط بقرينات السوء من النساء الساقطات، اللاتي لا شغل لهن إلاّ زيارة الحرائر في البيوت، ليفسدن عليهن ما أبقاه الزمن من طهارة وعفة، وطاعة للزوج، وعلي الزوجة ألا تدخل بيت زوجها إلاّ من يرضاه الزوج ولا تخرج من بيتها إلاّ بإذنه، ولا تتصرف في شيء من ماله إلاّ باذنه قل أو كثر - وهذا بخلاف ما إذا تصرفت بالطعام أو الملح أو العيرة المستردة فكل ذلك مباح كما أسلفنا - وبالجملة تطيعه طاعة تامة في كل ما يأمر لعظيم حقه عليها. وقد سأل معاوية بن حيدة رسول اللهﷺ عن حق الزوجة فقال: يا رسول الله؟ ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلاّ في المبيت»[3] فحق الزوجة في الإطعام والنفقة

---

(١) - أخرجه البزار في «مسنده» (١٨٧٥) و(١٨٧٦)، والشيخ في «الصحيحة» (١٣٩٧)...

(٢) - أخرجه ابن ماجه (١٩٠٤)، والمنذري في «الترغيب» ١٠٣/٣ والنووي في «الأذكار» (٣١٤)، والهيثمي في «المجمع» ١٠٣/٨ وأبو داود (٤٠٩٧)، والطبراني في «الكبير» ٢٥٢/١١، والترمذي (٢٧٨٤)... وأحمد ٣٣٩/١، والتبريزي في «المشكاة» (٤٤٢٩)، وابن عبد البر في «التمهيد» ٥١/٥.

(٣) - أخرجه أبو داود (٢١٤٢) والبيهقي في «السنن» ٣٠٥/٧، والتبريزي في «المشكاة» (٣٢٥٩)، والشيخ في الإرواء ٩٨/٧، والمنذري في «الترغيب» ٥١/٣، والبغوي في «شرح السنة» ١٦٠/٩، والشيخ في «آداب الزفاف» (ك١٧٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» ٢٧٦/١ والهندي في «الكنز» (٤٤٩٧٥).

والسكنى والكسوة مقرر معروف، كل في حدود رزقه المقسوم:

﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلاّ ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾ [الطلاق:٧]..

ونهى النبيﷺ عن ضرب الوجه وتقبيحه، فلا يجمل من الزوج أن يسيء إلى زوجته بصفع الوجه، ولا بتقبيح ما خلق الله من قسماته لأنه في هذه الحالة، يقبح خلقة الله، الذي خلق فسوى وقدر فهدى، كما أنه لا يصح من الزوج أن يهجر زوجته، أو يخاصمها اللهم إلاّ في المبيت إذا كان ذلك تأديباً لها وزجراً حين نشوزها وتمردها وعصيانها لأمره كما قال تعالى:

﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً﴾ [النساء:٣٤]..

ففي هذه الآية تقرير لقوامة الرجل على المرأة ورياسته لها وقيادته لشأنها كله لأمرين: أحدهما فطري لا كسب له فيه وهو الرجولة حيث خلقه الله رجلاً فهو أوفر عقلاً وأعظم قلباً وأقوى جسماً وأحسن تقديراً للأمور من المرأة، لأن الرجل هكذا خلق أما المرأة فهي ناقصةٌ عقلاً ودينا، وقد خلقت من ضلع أعوج وأعوج ما في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج ولهذا أمرنا النبيﷺ بأن نتغاضى عن الهفوات التي تصدر من المرأة بحكم خلقتها بشرط ألا تنافي هذه الهفوات الشرف ولا العرض ولا الكرامة. والأمر الثاني الذي به امتاز عليها وعلى أولادها وهي مستريحة في مملكتها الصغيرة، وقررت الآية كذلك أن النساء قسمان.. قسم منهن طائع محافظ صالح طاهر، وقسم منهن ناشز متمرد طالح...

﴿فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله﴾.. [النساء:٣٤].

والرجل الذي يرزق بزوجة من هذا القبيل، هو الذي ظفر بحسنة الدنيا..

﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً﴾ [النساء: ٣٤].

وعلاج الزوجة الناشزة يكون بالوعظ والحكمة والتوجيه الحسن أولاً، فإن كانت المرأة من معدن طيب لأن الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، فإن الوعظ يردها عن نشوزها ويعيد إليها صفاءها وإشراقها كما يعيد الدلك الخفيف إلى المعدن النفيس صفاءه وبهاءه، فإن كانت من معدن رخيص كالرصاص مثلاً لا ينفع فيها النصح ولا التوجيه، فليؤدبها بالهجر في المضجع لأن هجر المرأة في الفراش يجعلها تغلي كما يغلي الرصاص على النار حتى تتبخر منه العناصر الفاسدة أو تذوب وحينئذ يرد إليها اعتبارها كما يرد الغليان إلى معدن الرصاص الفاسد اعتباره، فإذا كانت من معدن أرخص كالحديد مثلاً فلا يرد إليها اعتبارها إلاّ الضرب كما إذا فسد الحديد فلا يصلح إلاّ بالنار والضرب بالمرزبة وقد علمت أن النبيﷺ نهى عن ضرب الوجه كما نهى عن الضرب الذي يسيل دماً أو يكسر عضواً، وإنما المأمور به ضرب التأديب الذي يؤلم فقط، فإن أطاعت بعد ذلك فعلى الرجل أن يلاطفها ولا يبغي عليها، وإذا استمرت على التمرد والعصيان بعد هذا كله فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما. وعلى هذا فلم يترك الإسلام شيئاً مما يتعلق بحقوق الزوجية إلاّ وضّحه وبيّنه حتى غيرة كل من الزوجين على الآخر امتدحها الإسلام بشرط أن تكون في حدود الاعتدال لا إلى الإفراط ولا إلى التفريط، وهذا رسول الله ﷺ يطلع على أصحابه ذات يوم فيجدهم يتحدثون في الغيرة ويتساءلون ماذا يفعل الرجل لو دخل بيته فوجد رجلاً أجنبياً مع امرأته؟ فقال سعد: والله لو وجدت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح أي غير مبال فتعجب الصحابة فقال النبيﷺ:

«أتعجبون من غيرة سعد! لأنا أغير منه والله أغير مني»[(١)]، فالغيرة صفة

(١) ـ أخرجه البخاري ١٥١/٩، ومسلم (اللعان) ٧١، وابن أبي شيبة ٩١٤/٤ والدارمي ٩٤١/٢، والتبريزي في «المشكاة» (٩٠٣٣)، والحاكم ٨٥٣/٤ و٤٢٤ وأحمد ٨٤٢/٤، والبغوي ٥٢٦/١، والطبري ١٥١/٩.

نبيلة في الرجل والمرأة كليهما ولكن يجب أن لا تجاوز الاعتدال فلا يجوز لأحدهما أن يشك في صاحبه من غير ريبة، كما يفعل بعض الأزواج والزوجات المصابين بداء الغيرة إلى حد الجنون، فيصور من الأوهام حكايات ما أنزل الله بها من سلطان، ويشتط من العناد إلى حد الفراق والعياذ بالله، فما لم تظهر قرينة قوية توجب الغيرة فلا محل للغيرة ولا لسوء الظن، وليعلم الزوجان أنهما وقد صارا شيئاً واحداً بعدما كانا نصفين كل منهما ينشد كماله بالآخر أنهما مسؤولان عن السر يفضي به أحدهما إلى صاحبه، فمن الخيانة الزوجية، بل من الإجرام والفجور أن يذيع أحدهما سر صاحبه وبخاصة في حال الخصومة، وليتق الله كل من الزوجين في المعاملة الطيبة والحلم وتوسيع الصدر، والبشاشة واللطف، والتعاون المخلص الصحيح حتى يؤديا رسالتهما في الحياة على أتم ما يكون، أما بعد:

فنحن في جيل انحلت فيه الرجولة، ومن هنا تمردت المرأة وبرزت إلى كل الميادين مكشوفة مفضوحة وظاهرها رجال مائعون يحتجون معها على معالي الانحطاط.. وإذا استمر الحال هكذا فصل صلاة الجنازة على الخُلق والشرف والكرامة والله المستعان...

* * *

المرأة راعية في بيت زوجها

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته»..[1].

(١) ـ أخرجه البخاري (٨٩٣) و (٢٤٠٩) و(٢٥٥٤) و (٢٥٥٨) و (٢٧٥١) و(٥١٨٨) و(٥٢٠٠) و(٧١٣٨) ومسلم (١٨٢٩) وأبو داود (٢٩١٢) والترمذي (١٧٠٥) وأحمد ٥/٣ و٥٤ و١١١ و١٢١ والبيهقي في «السنن» ٢٨٧/٦ و٢٩١/٧ و١٦٠/٨=

أختي المسلمة: جاء في هذا الحديث رعاية المرأة في بيت زوجها، فهي مسؤولة أمام الله تعالى وأمام ضميرها، وأمام زوجها عن حفظ ماله بكل الأمانة والإخلاص ومسؤولة عن الأولاد ذكوراً كانوا أم إناثاً من حيث تكوين الأخلاق العالية التي تجعلهم في مستقبلهم مواطنين صالحين، ومن حيث الإشراف عليهم في جميع تحركاتهم وهم في هذه النشأة الأولى من بيئة الحياة كالعجينة في اليد تشكل بأي شكل كان لما فيها من لين ونعومة ولكنها إذا يبست صعب تشكيلها أو استحال.

هكذا حال الأولاد هم في الصغر قابلون للتشكيل إن خيرا فالعاقبة خير وإن شراً فالعاقبة شر.

وإن أكثر ما نشكو منه فيما يتعلق بانحراف الشباب، إنما يرجع إلى إهمال التربية والتوجيه الصالح الكريم في أوقات الصغر.

ومن شب على شيء شاب عليه، وإذا تم تأديب الأولاد في الصغر عظم السرور بهم في الكبر.

وعندئذ يصبحون مواطنين أقوياء، أشداء صالحين لحماية وطنهم، وإنتاج كل ما يعلي قدره ويرفع من شأنه.

★ ★ ★

ملاطفة الزوج

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح»[1].

= والمنذري في «الترغيب» ٣/٤٨ والخطيب ٤/٢٢٨ و٥/٢٧٦ و١١/٤٠٢ وابن عساكر ٥/٢٢٥ والطبراني في «الكبير» (١٣٢٨٤) و(١٣٢٨٦) وأبو نعيم في «تاريخ أصفهان» ٢/٣١٨ وابن الجارود في «المنتقى» (١٠٩٤).

(١) ـ أخرجه البخاري ٧/٣٩، ومسلم (النكاح) ١٢٢، وأبو داود (٢١٤١)، وابن أبي الدنيا في «العيال» (٧٣٧)، وأحمد ٢/٤٣٩ و٤٨٠ والبزار ٢/١٨١، والبيهقي في «السنن» ٧/٢٩٢، والبغوي في «شرح السنة» ٩/١٥٧، والتبريزي في «المشكاة» (٣٢٤٦).

أختي المسلمة: إن التشريع الإسلامي الحكيم وضع المنهج السليم القويم الذي يضمن لكل فرد في الأسرة أو في المجتمع حقوقه ليعيش الجميع في سلم وسلام، وأمن وأمان وطمأنينة قلبية وراحة نفسية حتى يتفرغ هذا الإنسان لمهامه في هذا الوجود الذي يعيش فيه، لأنه مع الخوف والقلق وضياع الحقوق يعيش متوتر الأعصاب كليل الفكر قاصر النظر بعيداً عن الصواب في تصرفه قريباً من الخطأ فيه.

★ ★ ★

الحياء في المرأة دليل إيمانها

عن أبي مسعود عقبة بن عامر الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»[1].

أختي المسلمة: الحياء خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في الحقوق ويدعو إلى أداء الواجب.

والحياء نوعان: طبيعي وهو ما يشاهد في الطفل من الخجل من كشف عورته أو التطاول على غيره، ومكتسب وهو ما ذكرناه لك من المكتسب الذي يحول دون التورط فيما ينكره الشرع والناس، وهو أساس في سعادة الإنسان والمجتمع، فإن كلامنا إذا تخلق به خضع للأوضاع المحمودة وتحاشى عن الأفعال المذمومة وهو جماع الخير والتقوى وقد حث النبي ﷺ

(١) ـ أخرجه البخاري (٣٤٨٣) و(٣٤٨٤) و(٦١٢٠)، وأبو داود (٤٧٧٦) وابن ماجه (٤١٨٣) وأحمد ٤/١٢١ و٥/٣٧٣، وعبد الرزاق (٢٠١٤٩)، والطبراني في «الكبير» (٦٤٠ و٦٥١ و٦٥٢ و٦٥٣ و٦٥٤، و٦٥٥ و٦٥٦ و٦٥٧ و٦٥٨ و٦٥٠٩ و٦٦٠ و٦٦١ /١٧)، والبيهقي في «السنن» ١٠/١٩٢، والهيثمي في «المجمع» ٨/٢٧، والشهاب (١١٥٣) و(١١٥٤) و(١١٥٥) والتبريزي في «المشكاة» (٥٠٧٢)، والبغوي في «شرح السنة» ١٣/١٧٣ و١٧٤ والشجري في «الأمالي» ٢/١٩٦، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٧) و(١٣١٦) وابن كثير في «البداية» ٢/١٤٢ و١٢/٥٤، وأبو نعيم في «الحلية» ٤/٣٧٠ و٨/١٢٤ وفي «تاريخ أصفهان» ١/٢٨٢، والخطيب ٣/١٠٠ و١٠/٣٠٤ و٣٥٦ وغيرهم.

عليه فقال الصحابة: يا رسول الله إنا لنستحي فقال لهم: «ليس ذاك، ولكن من حفظ البطن وما وعى، والفرج وما حوى، وذكر الموت والبلى فقد استحيا من الله حق الحياء» فكأن الصحابة رضي الله عنهم أرادوا الحياء الطبعي المقيد بمراقبة الناس وعدم فعل ما يخالف اعتباراتهم وهو جميل حميد لأنه يحول بين الإنسان وبين كثير مما يجعل المرء عرضة للوم وموضعاً للذم، ولكن أجمل منه وأعظم أثراً أن يكون الشخص فاضلاً كاملاً في ظاهره وباطنه وفي خلوته وجلوته يستحي من الله كما يستحي من الناس ولا يكون من الذين ذمهم الله سبحانه فقال:

﴿يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيّتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً﴾ [النساء:١٠٨].

هذا هو الحياء الشرعي المكتسب الذي ينشأ من خشية الله سبحانه ومراقبته وملاحظة أنه له بالمرصاد دائماً حتى كان بعضهم يستحي أن يكشف عورته في الخلاء أدباً مع الله سبحانه، وكلما كان الشخص عالماً بالله سبحانه ملماً بالكثير من صفات عظمته وكلما أكثر من ذكره فإن ذلك يغرس في نفسه صفة الأدب والحياء فلا يقصر في شيء من حق ربه شكراً لنعمته ولا يقبل على شيء لا يرضاه خوفاً من بطشه، ولا يظلم أحداً من خلق الله لأن نفسه عظمت ولأن مستواها ارتفع فجل عن القبيح وصار الرجل أو المرأة مثالياً كريماً وهذا هو الحياء الذي يقول فيه النبي ﷺ:

«الحياء شعبة من الإيمان»[(١)]..

وهذا هو الحياء الذي قالت فيه النبوة الأولى: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» ومعنى ذلك: أن من لا حياء عنده فليس له قيود تحجزه عن القبيح ولا خلق يحول بينه وبين الشر فمن لا حياء فيه لا خير فيه وفي هذا المعنى قال بعضهم:

---

(١) ـ أخرجه مسلم (الإيمان) ٥٧ و٥٨، وأبو داود (السنة) ب ١٤، والنسائي ٨/١١٠، والخطيب ٤/٣٣٨ و٦/٢٩٢ و٢٩٣، وابن ماجه والزبيدي في «الإتحاف» ٨/٣٠٧ و٣٠٨ و٥١٢ و٩/١٠٥، وابن منده في «الإيمان» (٦٦)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٤٩)، وابن عبد ربه في «التمهيد» ٩/٢٣٥.

إذا لم تخش عاقبة الليالي ... ولم تستحي فاصنع ما تشاءُ
فلا والله ما في العيش خير ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياءُ

وقال الأبرش:

إذا لم تصن عرضاً و لم تخش خالقاً ... وتستحي مخلوقاً فما شئت فاصنع

وقال الشريف المرتضى:

وإذا فجعت بماء وجهك لم يُفد ... إن نلت من أيدي الرجال جزيلا

وقال القروي:

عجبتُ لحر يستحي باعتذاره ... وأولى به أن يستحي بذنوبه

وقال غيره:

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه ... ولا خير في وجه إذا قل ماؤه
حياءك فاحفظه عليك وإنما ... يدل على فعل الكريم حياؤه

وجدير أن يكون المحروم من هذا الخلق بعيداً من ساحة الله جاهلاً وإن كان عالماً ولهذا يقول الله سبحانه: **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾** [فاطر:٢٨]..

وفي الحديث: «ثلاث خصال من لم يكن فيه واحدة منهن كان الكلب خيراً منه: ورع يحجزه عن محارم الله، أو حلم يرد به جهل جاهل، أو حسن خلق يعيش به في الناس»[١]

وقيل لقس بن ساعدة: ما أفضل المعرفة؟ قال: معرفة الرجل نفسه، فما أفضل العلم؟ قال: وقوف المرء عند علمه، فما أفضل المروءة؟ قال: استبقاء الرجل ماء وجهه.[٢]

ولعمر الله لا يدرك شيء من ذلك إلاّ بالحياء الذي يصير به المرء مثالياً وبدونه يعود حيواناً طائشاً كأولئك الذين يقول الله سبحانه فيهم:

﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلّ أولئك هم الغافلون﴾ [الأعراف:١٧٩].

أختي المسلمة: ما اهتدى من اهتدى إلى الحق إلاّ بوازع الحياء وحسن

---

(١) ـ أخرجه الزبيدي في «الإتحاف» ٧/٣٢٢، والهندي في «الكنز» (٤٣٧٨٧).

(٢) ـ انظر: «الأمثال والحكم» ص ٢١عكاشة عبد المنان الطيبي.

التقدير للأمور ووضعها في أوضاعها، ولا ضلّ من ضلّ إلا بالإعراض عن وازع الحق والهدى، ولهذا كان من الربح لك أيتها المؤمنة أن تعملي على تكوين هذا الخُلق الكريم، وأن تجنبي نفسك وصمة قلة الحياء حتى لا تخسري الدنيا والآخرة، واستعيني على نفسك بكثرة الاستغفار لما يصدر منك من هفوات حتى تكوني دائماً على ضمير سليم وقلب صالح رشيد، يقول الله سبحانه: ﴿**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى**﴾ [طه: ١٢٤] ولن تجد معيشة الضنك إلاّ عند قليل الحياء عديم الاكتراث.

ويا لله لقوم ضاع الحياء بينهم حتى الطبعي الذي كان يجدر أن تتحلى به المرأة ولكنها تركته باسم التحرر ولا قوة إلاّ بالله.

★ ★ ★

لا يحق للمرأة أن تطلب الطلاق إلاّ لضرورة

عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيما امرأةٍ سألت زوجها الطلاق من غير ما بأسٍ فحرام عليها رائحة الجنة**»[1].

البأس: الأمر الذي يقتضي الطلاق، ويستعمل البأس بمعنى السبب. وقوله: «حرام عليها رائحة الجنة» كناية واضحة عن عدم الدخول وهي تفيد تحريم الأمر الداعي إلى ذلك..

أختي المسلمة: وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**أبغض الحلال إلى الله الطلاق**»[2] وهناك عدة أحاديث في هذا الباب بعضها الإباحة، وبعضها يفيد

(١) ـ أخرجه الإمام أحمد ٥/٢٧٧، والدارمي ٢/١٦٢، وابن ماجه (٢٠٥٥)، ابن أبي شيبة ٥/٢٧١، والحاكم ٢/٢٠٠، وابن الجارود في «المنتقى» (٧٤٨)، والشيخ في «إرواء الغليل» ٧/١٠٠.

(٢) ـ أخرجه أبو داود (٢١٧٨)، وابن ماجه (٢٠١٨)، والبغوي ٢/٦٥ و٣١٦/٧ و«شرح السنة» ٩/١٩٥، وابن عساكر ٢/٧٢ وغيرهم.

التحريم أو الكراهة، وقد بحث الفقه ذلك فقال الفقهاء: إنَّ الطلاق يكون حراماً ومكروهاً وواجباً ومندوباً ومباحاً...

والأول: في الطلاق البدعي: وهو الطلاق الذي يشتمل على مضارة المرأة كالطلاق في الحيض والطلاق الثلاث بكلمة واحدة. وقد عده النبيﷺ لعباً بكتاب الله واعتبره ابن عباس عصياناً لله ولا مخرج منه وهكذا.

وأما الطلاق المكروه فهو ما يكون بلا سبب مع استقامة الحال. وأما الطلاق الواجب ففي صورة الشقاق إذا رأى الحكمان ذلك ومنها أن يأمره والده بالطلاق وأما المندوب ففي غير المطيعة لله أو المخالفة على زوجها كثيراً.

وأما المباح فعند عدم قابلية الزوج لها من غير جناية منها ولكنه لا يجد من نفسه قابلية لها ولا تطيب نفسه أن يتحمل أعباءها دون استمتاع بها.

وهناك صور من السنة النبوية تؤيد هذه الأقسام، منها أنَّ النبيﷺ طلق حفصة ثم راجعها واستدل به على إباحة الطلاق عند عدم الموجب أو الخاطر لأن مثل النبيﷺ يفيد الإباحة فلا وجه لمنع الطلاق بالإطلاق.

وقال لقيط بن صَبُرة: قلت: يا رسول الله لي امرأة فذكر من بذائها قال: «طلقها». فاستدل به على أنه يحسن طلاق من كانت بذيئة اللسان.

أما حديثنا اليوم فإنه يدل على أن سؤال المرأة الطلاق من زوجها محرم تحريماً شديداً لأن من لا يريح رائحة الجنة ومن يحرم عليه رائحتها لا يدخلها وكفى بذنب يبلغ هذا المبلغ دليلاً على فظاعته ومنعه في الاسلام، وهل تسأل المرأة الطلاق إلاّ وهي ناشز متمردة إلاّ إذا وجد السبب الداعي كالمضارة وسوء العشرة.

وعن ابن عمر أنه ذكر للنبيﷺ أن والده أمره بطلاق امرأته وكان هو يحبها وكان أبوه يكرهها فقال له النبيﷺ: «يا عبد الله بن عمر طلقها» فاستدل به على وجوب الطلاق إذا أمر به الوالد لمصلحة يراها ويلحق بالأب الأم لأن حقها يزيد على حق الوالد.

وروى الجماعة عن ابن عمر طلق امرأته وهي حائض فأمره النبيﷺ بمراجعتها. وأن يطلقها طاهرة أو حاملاً فكان ذلك دليلاً على حرمة الطلاق في حال الحيض.

وورد مثل ذلك في التطليق الثلاث، وهكذا تدل دراسة الدين

الإسلامي على أن الطلاق يكون على الوجه المشروع حتى يستحكم الخلاف بين الزوجين بعد وعظ التي تخاف نشوزها وهجرها في المضاجع وضربها ضرباً غير مبرح ثم بعث حكمين حكم من أهله وحكم من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما فان رأيا الطلاق بعد استحكام الخلاف فليتفرقا يغن الله كلاً من سعته وكان الله واسعاً حكيماً.

★ ★ ★

على المرأة أن تطلب العلم وتستمع إلى الوعظ

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خرج ومعه بلال رضي الله عنه فظن أن لم يُسمع النساء فوعظهن وأمرهن بالصدقة فجعلت المرأة تلقي القُرْطَ والخاتمَ وبلال يأخذُ في طرف ثوبه..[1]

أختي المسلمة: جعل الدين الحنيف على المرأة أن تطلب العلم وتستمع إلى الوعظ فهي مطالبة بالكمال الإنساني مأمورة به كما يطالب الرجل بذلك، وحرام عليها أن تقصر في تلك الناحية، وحرام على الرجل أن يحول بينها وبين ذلك، فإنه لا دين إلاّ بعلم، ولا علم إلاّ بتعلم: ولا تعلم إلاّ بطلب، فكل حث على التعلم في الإسلام موجه إلى المرأة كما هو موجه إلى الرجل، وقد ثبت أنهن كن يخرجن للاستماع إلى العلم في مجلس النبي ﷺ..

وروي في بعض وجوه هذا الحديث أن النساء قلن يوماً للنبي ﷺ:

(١) ـ أخرجه البخاري (٣٠٤) و(١٤٦٢) و(١٩٥١) و(٢٦٥٨) ومسلم (الإيمان) ١٣٢، والترمذي (٢٦١٣)، وابن ماجه (٤٠٠٣) وأحمد ٣٦٣/١ و٤٢٥ و٤٣٣ و٦٦/٢ و٣٦٣، والبيهقي في «السنن» ٣٠٨/١ و٢٣٥/٤ و١٤٨/١٠، والحاكم ١٩٠/٢ و٦٠٣/٤، والزيلعي في «نصب الراية» ٩٠/٤ و٩٨، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٣٠٥/٣، وابن عبد البر في «التمهيد» ٣٢٦/٣، والتبريزي في «المشكاة» (١٩)، والشيخ في «الإرواء» ٢٠٤/١ و٢٠٥ و٣٨٥/٣، وابن كثير ٤٩٧/١.
وأخرجه بلفظ: «يا معشر النساء تصدقن ولو من حليكن..» الترمذي (٦٣٥)، وابن خزيمة (٢٤٦٣)، والتبريزي في «المشكاة» (١٨٠٨)، والهيثمي في «المجمع» ١١٦/٣، والهندي في «الكنز» (٤٥٠٧٧).

غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً يلقاهن فيه وأمرهن بالصدقة، فجعلت المرأة تلقي القُرْطَ والخاتم، وبلال يأخذ في طرف ثوبه... فدعوهن أيها الرجال يطلبن العلم المباح الذي ليس فيه اختلاط وعلموهن أنتم ما تعلمون من أمر دينكم ولا تفرطوا في أمرهن ولا أمر الأبناء فأنتم رعاة مسئولون والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة..﴾ [التحريم: ٦].

قال ابن عباس في تفسير الآية: علموهن وفقهوهن. وهو لا يريد الحصر والتخصيص وإنما يريد بيان ما هو أصل الوقاية من النار وأساسها وهو العلم والتفقه، ثم إنك بعد ذلك مسئول عن صلاتها وعفافها واختلاطها وصومها وحجها بمقتضى تلك الرعاية التي استرعاك الله وعلى عكس ذلك فهي مأمورة أيضاً أن تدعوك إلى الخير وأن تنهاك عن الشر ولا تقرك على شيء من الإثم فإن الله سبحانه في كتابه الكريم قد جعل المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴿يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله﴾ [التوبة: ٧١].

فإذا كان هذا شأن كل مسلم ومسلمة مع كل مسلم ومسلمة فما بالك بالزوجين أحدهما مع الآخر، وما بالك بأهل المنزل الواحد بعضهم مع بعض وتالله ما أفسد الأسرة المسلمة وجعل بيوت المسلمين متهدمة إلاّ إهمال تعليم الدين والأخذ بتلك التعاليم. وقد كان السلف الأولون يحرصون على ذلك التعليم والأخذ به منذ بعث النبيﷺ، فإهمال ذلك جريمة في الدين وبلاء على المسلمين ولكنهم نسوا ذلك وأهملوه ففسد المجتمع ولا حول ولا قوة إلاّ بالله ثم ساغ ذلك وأصبح مألوفاً وكذلك الإهمال:

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميّت إيلام

ولقد كانت المرأة المسلمة دعامة البيت، وكانت دعامة في المجتمع بحكم شخصيتها العظيمة وعلمها وآدابها وقوة نفسها، لقد جلست في مجالس العلم متحدثة ومحدثة، ولقد رافقت الجيش آسية مداوية، ولقد هاجرت بدينها مع السابقين الأولين،وكانت منذ جاهليتها لا تقل عن الرجل منافسة على العظائم والمكارم والأدب والشعر والحكمة، وجاء الإسلام فلم

تقصر عن ذلك الدين.

أيها المسلمون: علموا المرأة وقووا شخصيتها وعلموها الدين قبل كل شيء، ودعوها تتول أمر نفسها بذلك الدين فستجدونها قد ملكت الزمام وسارت بنور العلم والإسلام في الحياة بدل أن تسوقوها كالسائمة وتجردوها من شخصيتها آلفة التواكل منطبعة بذلك التخاذل، وتدبروا هذا الحديث وأمثاله مما يدل على مزاحمة المرأة للرجل منذ قوة الإسلام ولكنكم وقد أهملتموها ذلك الإهمال جديرون أن توقظوها بالتدريج رويداً رويداً ولا تدعوها وحدها للذئاب حتى تسترد شخصيتها وتعتمد على قوتها وتحمّل أسلحتها وإلاّ ضاعفتم عليها الجناية.

أسندوها حتى تصح وتتماثل والاّ سقطت، وكونوا إلى جانبها حتى تتماثل للشفاء وتبل من الشقاء والله ولينا جميعاً، ولنعد إلى بيان بعض ما دل عليه الحديث وما أفاد فنقول:

إنَّ النبيﷺ لحرصه على تعليم النساء لما ظن أنه لم يسمعهن اتجه إليهن فوعظهن وأمرهن بالصدقة في ظرف كان يقتضي التعاون والمؤاساة من ظروف المسلمين وللمرأة شعور وإحساس وعاطفة دينية واضحة كريمة ولهذا اهتاجت فيهن عاطفتهن لما سمعن الهدى وتلقين توجيهات صاحب الرسالة إلى الخير فبادرن إلى التماس مرضاة الرب، وروي أن رسول اللهﷺ قال لهن:

«يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار، لأنكن تكفرن العشير وتكثرن اللعن»...

وقد أفاد الحديث أنهن بذلن ما معهن من المال حتى كانت المرأة تلقي القرط الذي يوضع بالآذان، والخاتم الذي يحلى به الإصبع، وكان بلال يجمع في ثوبه من كثرة ما يأخذ منهن ومما استدل به العلماء من الحديث ما يأتي:

١ ـ قال النووي: فيه استحباب وعظ النساء وتذكيرهن بالآخرة وأحكام الإسلام وحثهن على الصدقة إذا لم يترتب على ذلك مفسدة أو خوف فتنة على الواعظ والموعوظ.

٢ ـ قوله: ظن أنه لم يسمع النساء دليل على أنَّ علىالإمام افتقاد رعيته

وتعليمهم ووعظهم، والمرأة من تلك الرعية التي تستحق ذلك الافتقار.

٣ ـ فيه دليل على أن الصدقة يأخذها الإمام ويصرفها بمعرفته وفي القرآن الكريم: ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾..[التوبة:١٠٣]

٤ ـ فيه دليل على أن الصدقة قد تنجي من النار بناء على ما في الرواية الأخرى.

٥ ـ فيه دليل على جواز الصدقة من مالها بدون إذن زوجها ولا يتوقف ذلك ثلث مالها. وقال مالك: لا يجوز أن تزيد على الثلث إلاّ برضا الزوج وإطلاق الحديث حجة عليه في ذلك، وللمالكية احتجاج في ذلك، احتجاج ببعض أحاديث ضعفها الحفاظ فلا تقاوم الأحاديث الصحيحة التي تعطي المرأة حرية التصرف في مالها بما تراه من غير توقف على إذن الزوج بل إن في القرآن ما يدل على الإطلاق بدون تقيد، قال تعالى: ﴿**فنصف ما فرضتم إلاّ أن يعفون**﴾[البقرة:٢٣٧]..﴿**فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً**﴾[النساء:٤].. ﴿**فإن خفتم ألاّ يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به**﴾[البقرة: ٢٢٩]..﴿**من بعد وصية يوصين بها أو دين**﴾[النساء:١٢].. ﴿**فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم**﴾[النساء:٦].. دون تقييد بذكر أو أنثى.. متزوج أو غير متزوج والله ولي التوفيق والهداية.

★ ★ ★

الدعوة إلى الرحمة والشفقة

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها، إذ هي حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»[1]..

(١) ـ أخرجه البخاري ٣/١٤٧ و٤/٢١٥، ومسلم (البر والصلة) ١٣٤ و(السلام) ١٥١، و١٥٢، وأحمد ٢/٤٢٤ و٣/٣٣٥، والبيهقي في «السنن» ٥/٢١٤ و٨/١٣ و٨٦٨، والتبريزي في «المشكاة» (١٩٠٣)، والبغوي في «شرح السنة» ٦/١٧١، والهيثمي في «المجمع» ١٠/١٩٠، وابن كثير في «البداية» ٢/١٤١.

أختي المسلمة: إن هذا الحديث الشريف يدعو إلى الرحمة والشفقة بكل ذي كبد رطبة من خلق الله تعالى، ويهيب بالعقلاء أن يحسنوا إلى الضعفاء، ولو كانوا من عالم الحيوان العاجز الذي فقد الحيلة، وكما أن الله تعالى يعذب أهل القسوة والغلظة فإنه سبحانه وتعالى يغفر لأهل الشفقة والإحسان والرحمة، فقد ورد في السنة أيضاً قوله ﷺ: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يأكل الثرى من العطش فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل ما بلغ مني، فنزل البئر فملأ خِفَّهُ ماء فأمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له، قالوا: يا رسول الله وإن لنا في هذه البهائم لأجراً؟ فقال: في كل كبد رطبة أجر».

فاحرصي أختي المسلمة على فعل الخير مع المحتاجين له، حتى يصلوا إلى درجة الفلاح في الدنيا وفي الآخرة، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾[الحج:٧٧].

★ ★ ★

نصائح نبوية

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات، ومنع وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»..[1].

أختي المسلمة: إن التربية الأخلاقية للانسان إذا نبعت من تعاليم الوحي السماوي أفادت الفائدة الكبرى التي يرجيها أصحاب العقول في هذه الدنيا لتحصيل السعادة النفسية والطمأنينة القلبية وما نطق به المعصوم ﷺ هو

(١) ـ أخرجه البخاري ١٥٧/٣ و٤/٨، ومسلم (الأقضية) ١١ والبيهقي في «السنن» ٦٣/٦، والبغوي في «شرح السنة» ١٦/١٣، والتبريزي في «المشكاة» (٤٩١٥)، والمنذري في «الترغيب» ٣٢٥/٣، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٢٣٣/٤، وفي «غاية المرام» (٦٩).

من عند الله تعالى خالق هذا الإنسان وصانعه ﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم* ثم رددناه أسفل سافلين* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾، [التين: ٤ ـ ٥ـ ٦] وهذا الأدب العالي الرفيع الذي نطق به رسول الله ﷺ في توجيه الإنسان وفي إرشاده هو وحده الذي يحقق له الخير مع مجتمعه في دنياه التي يعيش فيها، والانحراف عنه يحقق الشقاء والتعاسة وسوء المصير، وهذا الأدب الكريم له جوانب كثيرة منها ما يتصل بمعاملة الإنسان مع ربه سبحانه وتعالى ومنها ما يتعلق بمعاملته مع مجتمعه الذي يعيش فيه.

★ ★ ★

إدفعي عن نفسك الشبهة

عن أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ معتكفاً فأتيته أزوره ليلاً فحدثته ثم قمت لأنقلب فقام معي ليقلبني فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا فقال النبي ﷺ:

«على رسلكما إنها صفية بنت حيي»..

فقالا: سبحان الله يا رسول الله!!

فقال: «إنَّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً ـ أو قال: شيئاً ـ»[(١)]..

أنقلب: أعود إلى المنزل. ويقلبني: يودعني حتى أعود إلى المنزل..

(١) ـ أخرجه البخاري ٣/٦٤ و٤/١٠٠ و١٥٠ و٨/٦٠ و٩/٨٧، ومسلم (الدم) ٢٤، وأبو داود (الصيام) ب ٧٨ و(الأدب) ب ٨٨، والترمذي (١١٧٢) وابن ماجه (١٧٨٠)، وأحمد ٣/١٥٦ و٢٨٥ والدارمي ٢/٣٢٠، وابن كثير في «البداية» ١/٥٩، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢٨٨)، والزبيدي في «الإتحاف» ٥/٣٠٥ و٦/٤ و٢٧٣ و٧/٢٦٩ و٢٨٣ و٤٢٩، والذهبي في «الطب النبوي» (١٣٨)، والتبريزي في «المشكاة» (٦٨)، والطحاوي في «مشكل الآثار» ١/٣٠ والقاضي في «الشفا» ٢/٣٩٤، وأبو نعيم في «الحلية» ٩/٩٢، وفي «تاريخ أصفهان» ٢/٢١٢، والعراقي في «المغني عن حمل الأسفار» ١/٢٣٢ و٣/٢٠٠ و٢٣٥، وابن كثير في «التفسير» ٨//٥٨٨ وغيرهم.

وقوله: على رسلكما: تمهلا فليس هناك مكروه يقتضي الإسراع.
قالا: سبحان الله.. تعجباً من تثبيت النبيﷺ لهما..
وجاء في رواية أخرى: وهل نظن بك إلاّ خيراً؟
قال: «إنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» يخالطه مخالطة الدم ويلزمه في كل خطواته يحاول إغواءه. يقذف في قلوبكما شراً يفسر لكما سير النبيﷺ مع زوجه بأنه شيء مما يفعله المنحرفون في سيرهم فيمشي مع غير زوجه وهو خلاف الواقع، والشيطان للإنسان عدو مبين، والنبيﷺ واثق من صاحبيه ولكنه تعليم لهما وللمؤمنين أن يسرع واحد منهم إلى سوء الظن بأخيه استجابة لوسوسة الشيطان.

أختي المسلمة: كان النبيﷺ المثل الأعلى في الكمالات والأخلاق، وكان بأمته رؤوفاً رحيماً يجنبهم المزالق ويبين الله في المناسبات الحقائق فكان يحذرهم من الشيطان ووساوسه ويقاوم فيه أي انقياد لخطواته وقد وصفه الله سبحانه بذلك في قوله:
﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ [التوبة:١٢٨]..
وفي الحديث نمط من رأفته ورحمته بأمته، فقد حدثت صفية أم المؤمنين رضي الله عنها أنّ النبيﷺكان معتكفاً بالمسجد منقطعاً عن ذلك ولا سيما في العشر الأواخر من رمضان، وفي أثناء اعتكافه أقبلت على زيارته وجلست معه مجلساً لا بد أن يكون عبادة وذكراً وكان النبي ﷺ لا يجلس إلاّ كذلك، قوله حكم وحديثه علم فلما انتهت أم المؤمنين رضي الله عنها من مجلسه الكريم همت بالرجوع إلى منزلها فقام النبي ﷺ معها تكريماً لها ومحافظة عليها فقد كانت الزيارة بالليل والعودة كذلك وفي الطريق مر رجلان من الأنصار بهما فأسرعا حياء من النبيﷺ وهيبة له.
وأسرعا حتى لا يوسوس لهما الشيطان بالفضول والانحدار إلى نظرة خاطئة لا تليق بمثلها ولا بآل البيت النبوي الكريم، وذلك من المثل التي أخذهم بها الإسلام العظيم.
وأسرعا زيادة في حسن الظن بسيد الخلق وتنزيهاً لساحته وأعانهما

النبيﷺ على ذلك بقوله: «إنها صفية» زوجة النبيﷺ وأم المؤمنين. وليس هناك ما يدعو إلى سرعة السير، ولا أكثر من التأدب مع النبيﷺ بغض البصر وهو واجب بين كل مسلم ومسلمة أدبهم الله بذلك ولا سيما مع آل النبيﷺ.

ولما قال النبي ﷺ «إنها صفية» بنت حيي يكنى به عن الزوجة التي لا حرج في المشي معها وتكريماً بالمحافظة عليها.

وعجبا رضي الله عنهما من مظهر تثبيت النبي ﷺ لهما بذلك فقالا: سبحان الله وهل نظن إلاّ الخير يا رسول الله ورد النبي ﷺ بإنكار العجب وبيان أن الشيطان يتربص ببني آدم مواقع الفتن فهو يريد مثل هذه الفرصة لمحاولة التشكيك في أقدس خلق الله وأطهرهم عند الناس وعند الله فليكونا وليكن كل مسلم على حذر منه في مثل ذلك الموقف. وليظن المسلمون والمسلمات بأنفسهم خيراً ولو كان مع غير رسول اللهﷺ.

ثم إنه ﷺ يعلمنا في هذا الدرس أن على كل مؤمن أن ينفي التهمة عن نفسه وأن لا يعرض نفسه للظن الباطل وأكثر الظن إثم ما لم يكن عن بينة وتحر سليم.

أختي المسلمة: إن من تكريمك لنفسك، ومن حرصك على دين أخواتك وإخوانك أن يسلم من الطعن في عرضك وعلى نفسك بأن تكوني في موضع التكريم ليدوم الحب الإسلامي والوفاء والإيمان فتصفو نفوس الجميع للجميع.. نقول: إنَّ ذلك يقتضي بكِ أن تدفعي الشبهة أولاً فأولاً وأن تجتنبي مواضع السوء أبداً وأن تستري نفسك بستر الله إذا ابتلاك الله بشيء من هذه المنكرات وصدق الشاعر إذا يقول:

ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

وفي هذا الشعر من الحكمة أن فعل ما يستوجب الذم فذمه الناس صار بينهم مذموماً ويعيش عرضة فيما يدعو وما لا يدعو فأنتِ مأمورة بالمحافظة على عرضك كما أمرتِ بالمحافظة على نفسك ومالك خلافاً لما يزعمه بعض المتصوفة من أن المريد ينبغي أن يعقل ما يدعو غيبته ليأخذ من حسنات الناس فلا كانت حسنة تجيء من طريق التعرض للذم ولا كانت حسنة تأخذها من

الناس وهذا ما لا يصح في الدين فإن العمل بالنية.

★ ★ ★

إياكن والتبرج

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا..»[1]..

أختي المسلمة: «كاسيات» قيل من نعمة الله عز وجل «عاريات» من شكرها.. وقيل معناه: تستر بعض بدنها، وتكشف بعضه إظهاراً لجمالها ونحوه، وقيل معناه: تلبس ثوباً رقيقاً يصف لون بدنا... ومعنى «مائلات» قيل عن طاعة الله تعالى وما يلزمهن حفظه «مميلات» أي يعلمن غيرهن فعلهن المذكور.. وقيل: مائلات يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن.. وقيل: مائلات يمتشطن المشطة الميلاء وهي مشطة البغايا.. «مميلات» يمشطن غيرهن تلك المشطة.. «رؤوسهن كأسنمة البخت» أي يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوها.

وفسر بعضهم الكاسيات العاريات، بأنهن كاسيات من الثياب عاريات من فعل الخير والاعتناء بالطاعات والاهتمام لآخرتهن، واختار القاضي عياض في معنى المائلات المميلات، بأنهن مائلات إلى الرجال مميلات بما يبدينه من زينتهن وغيرها، ولا يخفى أن لف العمامة على رأس المرأة يكبر حجمها حتى تصير عظيمة الحجم مثل سنام الناقة، كما لا

---

(١) ـ أخرجه مسلم (اللباس) ب رقم ١٢٥، (الجنة) ب ١٣ رقم ٥٢ رقم الحديث (٢١٢٨)، وأحمد ٢/٣٥٦ و٤٤٠، والبيهقي في «السنن» ٢/٢٣٤ و٢٤٧ والزبيدي في «الإتحاف» ٦/١٥٢، والبغوي في «شرح السنة» ١٠، ٢٧١، وابن كثير في «البداية» ٦/٢٨٨، ومسدد (٣١٠)، والمنذري في «الترغيب» ٣/٩٥، والهندي في «الكنز» (٤٥٠١٣) والشيخ في «الصحيحة» (١٣٢٦) وغيرهم..

يخفى ما في هذا من التشبه بالرجال..

وقال السيوطي في «الدرر» وهو من شعار المغنيات.. ونُقل عن المازري ويجوز أن يكون معناه، يطمحن إلى الرجال ولا يغضضن عنهم، ولا ينكسن رؤوسهن. واختار القاضي عياض، أن المائلات يتمشطن المشطة الميلاء، وهي ضفر الغدائر فوق رؤوسهن وجمع عقائسها هناك وتكبيرها بما تضفر به حتى تميل إلى ناحية من جوانب الرأس كما يميل السنام. قال ابن دريد: يقال: ناقة ميلاء إذاكان سنامها يميل إلى أحد شقيها والبخت نوع من الإبل.

هذا الحديث معجزة من معجزات سيدنا محمدﷺ فقد أخبر بوجود هذين الصنفين ولم يرهما في حياته ولكنه وصفهما وتوعدهما بالنار معلناً عليهما غضب الله ورسوله، موضحاً لأمته فظاعة هذين النوعين من خلق الله وقت ظهورهما في عمر الزمن الحافل بالمدهشات والعجائب والمعجزات، أما الصنف الأول منهما فقد ظهر في عهد المماليك أيام أن كان والي الشرطة يؤتى إليه بالمستعبد فيضربه بالسوط وكان السوط طويلاً كأذناب البقر.

أما الصنف الثاني وهو النساء الكاسيات العاريات فقد ظهرت طلائعه في منتصف القرن الرابع عشر الهجري وأخذت جراثيمه تفتك وتتغلغل حتى تجلى بوضوح.

فقد أصبحنا نشاهد النساء في الأندية والطرقات وفي كل مكان، ولا ندري إن كانت المرأة كاسية أو عارية، ونحن نرى النساء في كل مكان بهذا الشكل المفضوح يمشين متبخترات ولهن اهتزازات مائلة بل شعرها المصفف على الفضيلة وقلة الحياء بشبه سنام البخاتي التي تتمايل وتهتز حين تمشي فيزيد التثني أسنمتها ميلاناً واضطراباً، أرأيت الوصف الدقيق في المستهترات أتضيق ذرعاً بهذه المناظر المؤذية حين تراها، تطالعك أينما تكون؟؟

قد تسأل من المسؤول عن هذا الحال المائل؟

أقول: المسؤول نحن كلنا.. الأب والأم والعالم والمدرس وأنا وأنت وهو وهي وهم وهن الجميع مسؤول عن هذه الفوضى.. بل مسؤولية الرجال بالدرجة الأولى لأنَّ الرجال قوامون على النساء ولكل منا بيته فهو راع عليه ومسؤول كما أنَّ المرأة راعية وهي مسؤولة أيضاً فلو أوقف كل

واحد منا نساءه المسؤول عنهن عند حدهن لما شاهدنا هذه المآسي المخزية، وكل رجل يقول بغير هذا ويخنع تحت سلطان المرأة ويرخي لها العنان فيتركها تنحدر في الميدان.. كل رجلٍ هذا شأنه مشكوك في رجولته ومحكوم عليه بأنه ديوث لا يدخل الجنة أبداً مثل امرأته المستهترة تماماً فإن رسول الله ﷺ يقول:

«ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً: الرجل الديوث، ومدمن الخمر، والرجلة من النساء» قالوا: يا رسول الله، أما مدمن الخمر فقد عرفنا، فما الديوث؟ قال: «الذي لا يبالي مَنْ دخل على أهله» قيل: فما الرجلة من النساء؟ قال: «التي تتشبه بالرجال»[1]..

و«لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل»[2]..

ولكن والعجب يأخذ من النفس غايته، نرى الرجل يلبس الجورب فيستر ساقيه أما المرأة فلا تلبسه لأن الموضة في عري الساقين وإبراز جمال الساقين حتى كانت السيقان مثار فتنة لضحايا الشهوات من أشباه الرجال في عصر المعجزة لأنني أرى أن نساء الوقت الذي نحن فيه الآن هن المعنيات بحديث اليوم، ولكأن رسول الله ﷺ كان ينظر إليهن من وراء الغيب ويلعنهن، ويلعن الرجال الذين يشجعونهن على قلب الأوضاع ولبس الشوال والرجوع إلى الوراء آلاف السنين في العصور المظلمة، لا بل كانت العصور المظلمة فيها امرأة أفضل من المرأة اليوم، ولقد حكم عليهم صاحب الشرع بأنهن لا يدخلن الجنة بل ولا يجدن ريحها الطيب رغم أن عرف الجنة وطيبها يشم من مسيرة خمسمائة عام، وهذا القدر هو المعبر بقوله ﷺ «وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» وقد فسره حديث آخر بخمسمائة عام...

★ ★ ★

(١) ـ أخرجه البزار (١٨٧٥) و(١٨٧٦)، والشيخ في «الصحيحة» (١٣٩٧).

(٢) ـ أخرجه أبو داود (٤٠٩٨) وأحمد ٢/٣٢٥، وابن حبان (١٤٥٥ ـ موارد)، والبغوي في «شرح السنة» ١٢/١٢١، والتبريزي في «المشكاة» (٤٤٦٩)، والمنذري في «الترغيب» ٣/١٠٤، والحافظ في «الفتح» ١٠/٢٦٣ والعجلوني في «كشف الخفاء» ٢/٢٠٦.

التحذير من النار

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبيﷺ أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن، قيل: أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، وإن أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت منك خيراً قط.»..[1]

أختي المسلمة: لقد أخبرنا رسول اللهﷺ في هذا الحديث الشريف عن شيء من أخلاق النساء ليقابل الأزواج هذه الأوصاف بالحكمة والإحسان والصبر والموعظة الحسنة لأن النساء خلقن من ضلع، وهو أعوج، فإن راح الزوج يقيمه بالمعنى الكامل عجز فلا يتأتى ذلك منه إلا بكسره، قال تعالى في القران الكريم: ﴿**واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا**﴾.[النساء:٣٤] وقال تعالى: ﴿**وإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً**﴾[النساء:١٩]، ولا تستقيم حياة الأسرة إلا بالتغاضي عن الهنات الهينات من الأمور الصغيرة التي لا تجرح الشرف ولا تخدش الفضيلة ولا تسيء إلى العفة.

يقول النبي الكريمﷺ: «أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء» وكيفية ذلك علمها عند الله تعالى، غير أن الذي يفيده الحديث أن اكثر أهل النار من النساء ثم علل ذلك بقوله الشريف «يكفرن» أي لأنهن يتصفن بهذا الوصف الذميم البغيض وليس المراد الكفر بالله تعالى وإنما هو كفر بالأزواج الذين قدموا لهن الإحسان.

★★★

احذري هذه الأشياء

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: «إياكم والظن

(١) ـ أخرجه البخاري (٢٩) و(٤٣١) و(٧٤٨) و(١٠٥٢) و(٣٢٠٢) و(٥١٩٧)، =

فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله تعالى. المسلم أخو المسلم. لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ـ كل المسلم علي المسلم حرام ماله ودمه وعرضه إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ـ التقوى ههنا ثلاث ويشير إلى صدره. ألا لا يَبع بعضكم على بيع بعض. وكونوا عباد الله إخوانا. ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث.»..[1]

أختي المسلمة: نهى رسول الله ﷺ عن كل من التجسس والتحسس وكلاهما يرجع إلى تعرف أخبار الناس بلطف وتحيل إلا أن التجسس خاص بما كان بالحاسة كاستراق السمع والنظر من الثقوب وبالمنظار المكبر عن بعيد.

وكل من التجسس والتحسس إذا لم يكن لدفع معرة أو مقاومة منكر لإزالته فإنه من أكبر الكبائر، وهو من شر المفاسد في المجتمع.

وهو من أشنع الفضول وأقبحه لأن ستر العورة من مظاهر الإخاء الإسلامي المنشود بين المسلمين وهو تعاون على البر والخير وهو تقليل للخطيئة ومقاومة للرذيلة.

وعلى عكس ذلك تتبع العورات والتجسس على الهفوات فإن ذلك من عوامل إشاعة الفاحشة والدعوة إلى التلاحي والمقاتلة.

وروى البخاري وأبو داود عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال:

«من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنه الآنك يوم القيامة» ـ الآنك: الرصاص المذاب.

= والهندي في «الكنز» (٤٥٠٧٤).

(١) ـ أخرجه البخاري (٥١٤٣) و(٦٠٦٤) و(٦٠٦٦) و(٦٧٢٤) ومسلم (البر والصلة ٨٢ والترمذي (١٩٨٨) وأبو داود (الأدب) ب ٥٥ ومالك في «الموطأ» ٢/٩٠٨ وأحمد ٢/٣١٢ و٤٣٢ و٤٦٥ و٤٧٠ و٤٨٢ و٤٩٢ و٥٠٤ والشهاب (٩٥٩) والبيهقي في «السنن» ٦/٨٥ و٨/٣٣٣ و١٠/٢٣١ والساعاتي في «منحة المعبود» (٢١٨٩) والبغوي في «شرح السنة» ١٣/١٠٩ و١١٠ والبخاري في «الأدب المفرد» (٤١) و(١٢٨٧) وعبد الرزاق (٢٠٢٢٨) وابن كثير ٢/٢٠٢

وفي الخبر عن رسول اللهﷺ: «لا يبلغني أحد عن أصحابي شيئاً فأنا أحب أن اخرج إليكم وأنا سليم الصدر».

وهكذا أختي المسلمة نجد الإسلام يدعو إلى أن يؤخذ الناس بظواهرهم وأن تترك بواطنهم لله عز وجل دون تتبُّع لعورات الناس، بل إن النبي ﷺ يقول: «مَنْ ستر مسلما في الدنيا ستره الله يوم القيامة» فما بال الناس لا يدعون الفضول ولا يريدون أن يشتغلوا بعيوب أنفسهم فيصلحوها. كل نفس بما كسبت رهينة.

ثم نهى رسول اللهﷺ عن التنافس على الدنيا والتكالب عليها والتغالب في جمعها وذلك مما أفسد الناس وكان تماديهم فيه سبيلا إلى البغضاء والتحاسد وطريقا إلى التناحر والتشاجر.

ومَنْ رغب في الدنيا رغب الناس عنه لأنهم يطلبون ما يطلب ويزاحمونه على ما يكسب، وأما سبيل الخير فإنه سبيل المومنين والتزاحم عليه خلق الكرام الموفقين، وفي هذين الأمرين يقول رسول اللهﷺ: «إزهد في الدنيا يحبك الله وأزهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس».

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿**ألهاكم التكاثر* حتى زرتم المقابر**﴾ [التكاثر: ١-٢]. كما يقول في شأن المنافسة على الخير: ﴿**سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله**﴾ [الحديد: ٢١].

ثم نهى رسول اللهﷺ بعد ذلك عما يترتب على التنافس على الدنيا وجمعها لأنه مرتبط به والتخلي عنه يدفع التنافس كما أن التخلي عن التنافس يدفع ذلك المنهي عنه في قوله «ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا» وباجتناب ذلك كله تقع الأخوة بين عباد الله كما أمر الله سبحانه وذلك قوله ﷺ «كونوا عباد الله إخوانا».

★ ★ ★

لا تؤذي جيرانَكِ

عن أبي شريح رضي الله عنه أن النبيﷺ قال: «والله لا يؤمن. والله

لا يؤمن. والله لا يؤمن. قيل مَنْ يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه.»[1]

أختي المسلمة: جيرانك أقرب الناس منك منزلا وأكثرهم اطلاعاً على أمرك، وأشدهم معونة لك فإذا تحاببتم على الحق وتآخيتم على الإسلام والصدق، كان ذلك خيراً لكِ ولهم.

ثم هم عرضة لأن تسيئي اليهم أو يسيئوا اليكِ بطول العشرة وكثرة الاختلاط وشدة المباشرة، فقد تفعلين ما يحرجهم أو يفعلون ما يجرحكِ.

والإسلام يحب التعاون على البر ويحث المؤمنين على التكامل على الخير ولا سيما إذا كانت فرص التعاون ممكنة وهي في الجوار أشد ما يكون إمكانا.

بهذا رغب الشارع الكريم في تحقيق معاني الإنسانية بينكما، وحرص لكمابعض الوصاة أن تتحاسنا فأورد الجار في قائمة الإحسان مع الأمر بعبادته والأمر بمن هو سبب الحياة ومصدر السعادة للإنسان وهما الوالدان، فقال سبحانه وتعالى: ﴿**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل**﴾[النساء:٣٦] فانظري كيف جعله واسطة عقد التلاوة التي تضمنت الإحسان وقدمه على زوج الإنسان.

وروت عائشة رضي الله عنها عن النبيﷺ قالت:«ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه[2]» فإذا كان جبريل عليه

---

(١) ـ أخرجه البخاري (٦٠١٦) وأحمد ٢٨٨/٢ و٣١/٤ و٣٨٥/٦، والحاكم ١٠/١ و١٦٥/٤ والشجري في «الأمالي» ١٣/١ والهيثمي في «المجمع» ١٦٩/٨ والسيوطي في «الدر المنثور» ٢/م١٥٨ والهندي في «الكنز» (٢٤٨٨٥) و(٢٤٩٢٢) و(٢٤٩٢٣) و«الصحيحة» (٥٤٩).

(٢) ـ أخرجه البخاري (٦٠١٤) و(٦٠١٥)، ومسلم (البر والصلة) ب ٤٢ رقم ١٤٠ و١٤١ وأبو داود (٥١٥١) و(٥١٥٢) والترمذي (١٩٤٢) و(١٩٤٣) وابن ماجه (٣٦٧٣) و(٣٦٧٤) وأحمد ٨٥/٢ و١٦٠ و٢٥٩ و٤٤٥ و٥١٤ و٥٢/٦ و٩١ و١٢٥ و١٨٧ و٢٣٨ والبيهقي في «السنن» ٢٧٥/٦ و١١/٧ و٢٧ و١١/٨ وابن أبي شيبة ٣٥٧/٨ والطبراني في «الكبير» ١٦٦/٨ و٣٦٠/١٢ وابن حبان (٢٠٥٢ـ موارد)=

السلام كأنه يهم أن يجعل له نصيباً في الميراث ولا يكون ذلك إلا بأمر الله وحبه فكيف يكون مركزه من الإحسان وحقه في شعب الإيمان.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ثلاثة من الفواقر: جار ملازم إن رأى حسنة سترها، وإن رأى سيئة أذاعها، وامرأة إن دخلت عليها ألسنتك، وإن غبت عنها لم تأمنها، وسلطان إن أحسنت لم يحمدك، وإن أسأت قتلك.

وقال أحدهم:

يلومونني إن بعت بالرخص منزلي ... ولم يعلموا جاراً هناك ينغِّص
فقلت لهم كفوا الملام فإنما ... بجيرانها تغلو الديار وترخص

وقال غيره:

لِتُغْنَ بالجار قبل الدار تسكنها ... ولا خير في الدار ما لم يحمد الجار
الجار إن غبت عن أهل وعن وطن ... نِعم الخليفة هم أهل وأنصار

★ ★ ★

احذري ثرثرة لسانك

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[1]..

= والهيثمي في «المجمع» ٨/١٦٥) وعبد الرزاق (١٩٧٤٥) والمنذري في «الترغيب» ٣/٣٦٠ والبغوي في «شرح السنة» ١٣/٧١، والتبريزي في «المشكاة» (٤٩٦٤) والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» ٤/٢٥ وأبو نعيم في «الحلية» ٣/٣٠٦ و٣٠٧ والخطيب ٤/١٨٧ وابن عدي ٣/٩٤٩ ٥/١٩٣١ و٦/٢١٤٨ و٢٢٤١ والبيهقي في «دلائل النبوة» ٧/٧٧ وغيرهم.

(١) ـ أخرجه البخاري (٦١٣٨) و(٦٤٧٥)، ومسلم (الإيمان) ٧٤ و٧٥ و٧٦ و٧٧ و(اللقطة) ١٤، والترمذي (١٩٦٧) و(٢٥٠٠)، وابن ماجه (٣٩٧١) والبيهقي ٨/١٦٤، وأبو عوانة ١/٣٤، ومالك في «الموطأ» ٢/٩٢٩ والدارمي ٢/٩٨، والطبراني ٥/٢٦٧ والهيثمي في «المجمع» ١٠/٣٠٠، والزبيدي في «الاتحاف» ٥/٢٥٠ و٧/٤٥٣، وابن عدي ٦/٢٤٤٨ و٤٢٥٧ والربيع بن حبيب ٢/٦٥..
وأخرجه البخاري أيضاً عن أبي شريح العدوي (٦٠١٨) و(٦٠١٩) (٦١٣٥) و(٦١٣٦) و(٦٤٧٦)..

أيتها المؤمنة: أنظري كيف أن النبيﷺ وهو خير مصور للحق ومبلغ عن الحق جعل تمام الايمان في أن تقولي خيراً إن وجدتِ مجالاً له لتصلي إلى السعادة في دنياكِ ودينكِ وآخرتكِ.

فإن لم تجدي مجالاً للخير فلتصمتي عن الكلام فإن ذلك عبادة لك ولا سيما إذا كنتِ تتفكرين في خلق السموات والأرض أو تدبرِي خيرا لك ولأختك المسلمة في صحتك.

إن هذا الدين دقيق وعظيم، والتزامات المنتسب إليه شاقة وعويصة ولكنها لن تنتهي بصاحبها إلا الى السمو والرفعة، وإن شئتِ فقارني بين امرأة هادئة حلوة الكلمة عذبة الروح منزهة عن القبيح في قولها وعملها لا تنطق هجرا ولا تقول إلا خيرا، اليست تلك هي صاحبة المكانة في القلوب والهيمنة على الناس. إن دعت الناس أجابوها، وإن استعانت بهم أعانوها، وإن غابت عنهم تفقدوها، وامرأة أخرى مؤذية بلسانها خبيثة في كلماتها فتتناول الأعراض، وتتبع العورات وتذيع السيئات، وتفسد بين الأحبة بالنميمة، وتبذل الضغينة بلسانها.

ألستِ تجدينها كريهة بغيضاً سيئة المنزلة بغيضاً إلى الناس أجمعين.

وهذا الحديث صريح في أنه ينبغي أن لا يتكلم إلاّ إذا كان الكلام خيراً وهو الذي ظهرت مصلحته، ومتى شك في ظهور المصلحة فلا يتكلم، فالمؤمن والمؤمنة الحق هو الذي يزن الكلام بقلبه، قبل أن ينطق به لسانه فإذا أيقن أن الكلام خير ومصلحة تكلم وإلاّ فليسكت فإن في السكوت السلامة و«رحم الله امرأً تكلم فغنم أو سكت فسلم»[1] وقديماً قال الأولون: إذا كان الكلام من فضة فإن السكوت من ذهب..

وقالوا: لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه.. يعنون أن الرجل العاقل هو الذي لا يسمح للسانه بالتكلم إلاّ بعد أمر قلبه له بالكلام، وبعد أن يزنه بميزان الشرع والعقل، فإن ظهرت مصلحته، وأن الكلام له لا عليه تحدث وإلاّ أمسك، أما الأحمق الجاهل فقلبه وراء لسانه وعاطفته تسبق

(١) ـ أخرجه الشهابي (٥٨٢) وأخرجه بلفظ: رحم الله عبداً قال فغنم أو سكت فسلم(٥٨١) والبغوي ٣/٢ وابن المبارك (٣٨٠) والطبراني في «الكبير» (٧٧٠٦) وقال الشيخ الألباني في «الصحيحة» ٥٣٦/٢ الحديث عندي حسن بمجموع طرقه.

عقله، فيندفع بالكلام اندفاعاً يضره في ذات نفسه، أو يضر الصالح العام، ويكون عاقبته خسراً:

إنَّ الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فاللسان من القلب بمنزلة الترجمان لا أقل ولا أكثر، وهذه أمثل شيم العقلاء، يصونونَ ألسنتهم عن الخوض مع الخائضين حين يرجفون بالشائعات التي تضر وتؤذن بالهلاك والدمار، بل لا يسمحون لآذانهم أن تستمع لهذه الترهات ومنها الغيبة وذكر الناس بما يكرهون أن يقال فيهم..

قال العلماء: واعلم أنَّ الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي، لا يمكن الوصول إلاّ بها وهو بستة أسباب:

الأول: التظلم.. فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه فيقول: ظلمني فلان بكذا..

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر، فلا يعمل كذا فازجره عنه ونحو ذلك، ويكون المقصود التوصل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حراماً..

الثالث: الاستفتاء، فيقول للمفتي ظلمني أبي أو أخي أو زوجي أو فلان بكذا فهل له ذلك، وما طريقي للخلاص منه وتحصيل حقي ودفع الظلم ونحو ذلك فهذا جائز للحاجة، ولكن الأحوط والأفضل أن يقول: ما تقول في رجل أو شخص أو زوج كان من أمره كذا؟ فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين، ومع ذلك فالتعيين جائز كما جاء في «الصحيح» عن عائشة رضي الله عنها قالت: قالت هند امرأة أبي سفيان للنبيﷺ: إنَّ أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلاّ ما أخذت منه وهو لا يعلم فقال النبيﷺ: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف»[1]..

---

(١) ـ أخرجه البخاري (٢٢١١) و(٢٤٦٠) و(٣٨٢٥) و(٥٣٥٩) و(٥٣٦٤) و(٥٣٧٠) و(٦٦٤١) و(٧١٦١) و(٧١٨٠) والنسائي ٢٤٧/٨، وابن ماجه (٢٢٩٣) وأحمد ٣٩/٦ و٥٠ و٢٠٦، والدارمي ١٥٩/٢، والبيهقي في «السنن» ٤٦٦/٧ و٤٧٧ و١٤١/١٠ و٢٧٠ والشافعي (٢٦٦) و(٢٨٨) والحميدي (٢٤٢)، والحافظ في «تغليق التعليق»، (٧٧٠) والشيخ في «الإرواء»٢٢٧/٧، والساعاتي في «بدائع المنن»=

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم وذلك من وجوه.. منها: جرح المجروحين من الرواة والشهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين، بل واجب للحاجة، ومنها المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته وإيداعه أو معاملته بغير ذلك، أو مجاورته ويجب على المشاور، أن لا يخفي حاله، بل يذكر المساوئ التي فيه بنية النصيحة. ومنها إذا رأى متفقهًا يتردد إلى مبتدع أو فاسق يأخذ عنه العلم وخاف أن يتضرر المتفقه بذلك، فعليه نصيحته ببيان حاله، بشرط أن يقصد النصيحة، وهذامما يغلط فيه، وقد يحمل المتكلم بذلك الحسد، ويلبس الشيطان عليه ذلك، ويخيل إليه أنه نصيحة فليفطن لذلك.. ومنها أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها.. إما بأن لا يكون صالحاً لها، وإما بأن يكون فاسقاً أو مغفلاً ونحو ذلك فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيله ويولي من يصلح أو يعلم ذلك منه ليعامله بمقتضى حاله ولا يغتر به وأن يسعى في أن يحثه على الاستقامة، أو يستبدل به..

الخامس: أن يكون مجاهراً بفسقه أو بدعته، كالمجاهر بشرب الخمر، ومصادرة الناس، وأخذ المكس، وجباية الأموال ظلماً، وتولي الأمور الباطلة فيجوز ذكره بما يجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب، إلاّ أن يكون لجوازه سبب آخر من الأسباب التي ذكرنا..

السادس: التعريف إذا كان الإنسان معروفاً بلقب، كالأعمش، والأعرج، والأصم، والأعمى، والأحول وغيرهم، جاز تعريفهم بذلك، ويحرم إطلاقه على جهة التنقيص ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى...

فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء، وأكثرها مجمع عليه ودلائلها من الأحاديث الصحيحة المشهورة..

كلام النووي وهو يعالج بأسلوبه السهل الممتع هذه الموازين التي يجب أن يتفطن لها كل مسلم ويحددها على نفسه مرات لتصير ملكة له عندما يريد الكلام، وقد نقلتها بنصها ليطالعها القراء الكرام مطالعة القارئ الفاحص الذي يريد أن يلتقط جوهرة سنح له التقاطها، والحكمة ضالة

= (١٧٢٤) والطحاوي في «مشكل الآثار» ٢/٣٣٨ و٣٣٩ والتبريزي في «المشكاة» (٣٢٤٢) وابن أبي شيبة ٦/٥٨٤ وابن عساكر ٦/٤٠٩ وأبو داود (٣٥٣٢) وغيرهم.

المؤمن أينما وجدها أخذها، وآفات اللسان كثيرة عد منها الغزالي عشرين والأحاديث الصحيحة في اللسان وآفاته وكذبه وغيبته ودسه ووشايته وزوره وفجوره أكثر من أن تذكر، فكل حديث منها باب وحده وكتاب يشرح للناس مداخل النفس وحيل إبليس حين يطلق لسانه فيما لا يجوز، بفتوى إبليسية بأن **ذلك** مما يجوز... والله المستعان

وعن ابن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صمت نجا»[1]..

وإليك يا أختي المسلمة بعض الحكم في الصمت:

قال الكناني:

الصمت غنم لأقوام ومسترة ... والقول في بعضه التضليل والفند

وقال المعري:

رأيت سكوتي متجراً فلزمتُهُ ... إذا لم يُفِد ربحاً فلست بخاسر

وقال حمارش بن عدي العذري:

إني لأسكت عن علم ومعرفة ... خوف الجواب وما فيه من الخطل

أخشى جوابَ جهولٍ ليس ينصفني ... ولا يهاب الذي يأتيه من زلل

وقال محمد بن زنجي البغدادي:

أنت من الصمت آمن الزلل ... ومن كثير الكلام في وجل

لا تقل القول ثم تتبعه ... يا ليت ما كنتُ قلتُ لم أقل

وقال آخر:

الصمت يكسب أهله ... صدق المودة والمحبة

والقول يستدعي لصاحبه ... المذمة والمسبة

---

(١) ـ أخرجه الترمذي (٢٥٠١) وابن المبارك في «الزهد» (٣٨٥) وأبو الشيخ في «الأمثال» (٢٠٧) وعبد الله بن وهب في «الجامع» (٤٩) والطبراني في «الكبير» والشهاب ١/٢١٩ وأحمد ٢/١٥٩ و١٧٧ والدارمي ٢/٢٩٩ والمنذري في «الترغيب» ٣/٥٣٦ والشيخ في «الصحيحة» (٥٣٦) وابن عساكر ٦٨٩٠، والحافظ في «الفتح» ٧/١٥١ و١٠/١٣٠ و١١/٣٠٩ والتبريزي في «المشكاة» (٤٨٣٦) والزبيدي في «الاتحاف» ٧/٤٤٩ و٤٥٩ و٥٧٨ وغيرهم.

وقال آخر:

القول كاللبن محلوب ليس له ... ردٌ وكيف يَرُدُّ الحالب اللبنا

وقال البستي:

تكلم وسدد ما استطعت فإنما ... كلامك حي والسكوت جماد

فإن لم تجد قولاً سديداً تقوله ... فصمتك من غير السديد سداد

وقال بعضهم:

قالوا نراك طويل الصمت قلت لهم ... ما طول صمتي من عي ولا خرس

لكنه أحمد الأشياء عاقبة ... عندي وأيسره من منطق شكس

وقال الشافعي:

قالوا سكت وقد خوصمت قلت لهم ... إنَّ الجواب لباب الشر مفتاح

والصمت عن جاهل أو أحمق شرف ... وفيه أيضاً لصون العرض إصلاح

أما ترى الأسد تُخشى وهي صامتة ... والكلب يخسى لعمري وهو نباح

وقال بعضهم:

وكائن ترى من صامت لك معجب ... زيادته أو نقصه في التكلم

وقال غيره:

وأعقل الناس من لم يرتكب سبباً ... حتى يفكر ما تجني عواقبه

وقال غيره:

يصاب الفتى من عثرة بلسانه ... وليس يصاب المرء من عثرة الرجل

فعثرته في القول تذهب رأسه ... وعثرته بالرجل تبرا على مهل

وسمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه رجلاً يتكلم بما لا يعنيه فقال: يا هذا إنما تملي على كاتبيك كتاباً إلى ربك..

وقالوا: رحم الله من أطلق ما بين كفيه وحبس ما بين فكيه..

وقالوا: لا تبع هيبة السكوت بالرخيص من الكلام..

وقالوا: إياك أن يضرب لسانك عنقك..

وقالوا: ربما كان السكوت جواباً..

وقالوا: الكلام أنثى والجواب ذِكر..

وقالوا: كان بهرام جالساً ذات ليلةٍ تحت شجرة فسمع منها صوت

طائر فرماه فأصابه فقال: ما أحسن حفظ اللسان بالطائر والإنسان، لو حفظ هذا لسانه لما هلك.

وقيل: إنَّ رجلاً كتب إلى ابن عمر يسأله عن العلم، فأجابه: إن العلم أكثر من أن أكتب إليك، ولكن إن استطعت أن تلقى الله كاف اللسان عن أعراض المسلمين خفيف الظهر من دمائهم خميص البطن من أموالهم ملازماً لجماعتهم فافعل.

★ ★ ★

صفات لا تكون بالمؤمن

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذي».. [1]

أختي المسلمة: إن اللسان أشبه ما يكون بسكينة ذات حدين إن وجهت إلى الخير قطعت وإن وجهت إلى الشر قطعت.

فالعاقل المؤمن الحصيف يخشى زلات اللسان ويحسب لها ألف حساب وحساب ليتقي شرها ويبتعد عن إثمها وليكون في مأمن من عواقبها الوخيمة الضارة في الدنيا والآخرة.

وأنه من يرد الله تعالى به خيراً يوفقه لذلك فيسعد في دنياه ويفلح في أخراه ويفوز بحياة طيبة بعيدة عن الشرور والظلمات مليئة بالبشر والفوز والخيرات.

والقلب السليم والعقل اليقظ يجعلان صاحبهما في وقاية من كل سوء

---

(١) ـ أخرجه الترمذي (١٩٧٧) والبيهقي في «السنن» ١٠/١٩٣ و٢٤٣، والهيثمي في «المجمع» ١/٩٧ و٨/٧٢، والحاكم ١/١٢، والربيع بن حبيب (٤٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣١٢) و(٣٣٢)، والبغوي في «شرح السنة» ١٣/١٣٤، والزبيدي في «الإتحاف» ٧/٤٧٨ و٤٨٤، والتبريزي في «المشكاة» (٤٨٤٧)، وأبي نعيم في «الحلية» ٤/٢٣٥ و٥/٥٨، والخطيب ٥/٣٣٩، وابن أبي عاصم ٢/٤٨٧، والشيخ في «الصحيحة» (٣٢٠).

وقد قال رب العالمين في حكم التنزيل ﴿وقولوا للناس حسنا﴾. [البقرة:٨٣]

★ ★ ★

إياكِ والحسد

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيﷺ قال: «إياكم والحسد، فإنَّ الحسدَ يأكل الحسنات كما تأكل النارُ الحطب»[١]

أختي المسلمة: سئل الجاحظ رحمه الله عن الحسد ما هو؟ ومن أين هو؟ وما دلائله وأفعاله؟ وكيف تفرقت أموره وأحواله وبم يعرف ظاهره ومكتومه؟ ولم صار في العلماء أكثر منه في الجهلاء؟ ولم كثر في الأقرباء؟ وقل في البعداء؟ وكيف دب في الصالحين أكثر منه في الفاسقين؟ ولم خص به الجيران من جميع الأوطان؟

فأجاب برسالة مستفيضة تكتب بماء الذهب نجتزئ منها ببعض فقراتها مع تصرف دقيق لنلقي ضوءاً على الحديث قال:

اعلم أبقاك الله أن الحسد داء ينهك الجسد، ويفسد الأود، علاجه عسر، وصاحبه ضجر، وهو باب غامض وأمر متعذر، فما ظهر منه فلا يداوى، وما بطن منه فمداويه في عناء، ولذلك قال النبيﷺ:

«دب فيكم داء الأمم من قبلكم الحسد والبغضاء»[٢]..

---

(١) ـ أخرجه أبو داود (الأدب) ب ٥١، والزبيدي في «الإتحاف» ١/٢٩٤ و٨/٥٥، والتبريزي في «المشكاة» (٥٠٠٤)، والبخاري في «التاريخ الكبير» ١/٢٧٢ وابن عبد البر في «التمهيد» ٦/١٢٤، والسيوطي في «الدر المنثور» ٢/١٧٣ و٦/٤١٩.

(٢) ـ أخرجه الإمام أحمد ١/١٦٥ و١٦٧، والبيهقي في «السنن» ١٠/٢٣٢ والهيثمي في «المجمع» ٨/٣٠، وعبد الرزاق (١٩٤٣٨)، والزيلعي في «نصب الراية» ٤/٣٥٥، وابن عبد البر في «التمهيد» ٦/١٢٠ و١٢١ وفي «جامع بيان العلم وفضله» ٢/١٥٠، والتبريزي في «المشكاة» (٥٠٣٩)، والشيخ في «الارواء» ٣/٢٣٨ والبغوي في «شرح السنة» ١٢/٢٥٩، والزبيدي في «الإتحاف» ١/٢٩٤ و٦/٣٦٢ و٨/٥١، والمنذري في «الترغيب» ٣/٤٢٥ و٥٤٨، والعراقي في «المغني عن حمل الأسفار» ٣/١٨٣، وابن عدي ٤/١٥١٥.

وقال بعض الحكماء لجلسائه: أي الناس أقل غفلة؟ فقال بعضهم: صاحب ليل كل همه أن يصبح. فقال: ليس ذاك. وقال بعضهم: المسافر إنما همه أن يقطع سفره. فقال: ليس ذاك. فقالوا: إذن فأخبرنا بأقل الناس غفلة. فقال: الحسد إنما همه أن ينزع الله منك النعمة التي أعطاكها فلا يغفل أبداً..

وأقول: ومن هنا قال الشاعر:

وداريت كل الناس إلاّ حواسدي مداراتهم عزت وعز نوالها
وكيف تداري عنك حاسد نعمة إذا كان لا يرضيه إلاّ زوالها

وروي عن الحسن أنه قال: الحسد أسرع في الدين من النار في الحطب اليابس: وما أتي المحسود من حاسد إلاّ من قبل فضل الله تعالى إليه ونعمته عليه، قال الله تبارك وتعالى:

﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾ [النساء ٥٤]..

والحسد عقيدة الكفر وحليف الباطل وضد الحق وحرب البيان، وقد ذم الله تعالى أهل الكتاب، فقال:

﴿ودكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق﴾ [البقرة: ١٠٩]..

فمنه تتولد العداوة، وهو سبب كل قطيعة، ومنتج كل وحشة ومفرق كل جماعة، وقاطع كل رحم بين الأقرباء، ومحدث التفرق بين القرناء، وملقح الشر بين الخلطاء، يكمن في الصدر كمون النار في الحجر، ولو لم يدخل رحمك الله على الحاسد بعد تراكم الهموم على قلبه، واستمكان الحزن في جوفه، وكثرة مضمضة ووسواس ضميره، وتنغيص عمره، وكدر نفسه، ونكد لذاذة عيشه، إلاّ استصغاره لنعمة الله تعالى عنده، وسخطه على سيده بما أفاده الله عبده، وتمنيه عليه أن يرجع في هبته إياه وأن لا يرزق أحداً سواه، لكان عند ذوي العقول مرحوماً وكان عندهم في القياس مظلوماً وقد قال بعض الحكماء: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد، نفس دائم وقلب هائم وحزن لازم. والحاسد مخذول ومأزور، والمحسود محبوب ومنصور، والحاسد مهموم ومهجور، والمحسود مُغَشّ ومُزُور:

طال على الحاسد أحزانه فاصفرّ من كثرة أحزانه

دعه فقد أشعلت في جوفه	ما هاج من حر نيرانه
العيب أشهى عنده لذة	من لذة المال لخزانه
فارم على غاربه حبله	تسلم من كثرة بهتانه

وكان عبد الله بن أبي قبل نفاقهِ نسيج وحدةً لجودة رأيه وبُعد همته، ونبل شيمته وانقياد عشيرته له بالرياسة والسيادة، فلما بعث الله نبيه ﷺ بالهدى ودين الحق وقدم المدينة مهاجراً وهو أعز ما يكون شأناً حسده وحقد عليه، فاصطنع النفاق وتزعم المنافقين، وما صار منافقاً حتى صار حسوداً، فحمق بعد اللب، وجهل بعد العقل، وتبوأ النار بعد الجنة، وربما أنتج الحسد الكبر، فيبلغ صاحبه في المقت غايته وفي البغض من جميع الخلق نهايته، فلا يمر بملأ إلاّ مضغوه ولا يذكر في مجلس إلاّ سبوه وأشهد أنه في ملكوت السماء أشد مقتاً، لأن النبي ﷺ قال:

«أنتم شهداء الله في الأرض»..[1]

فما رآه المسلمون حسناً، كان عند الله حسناً، وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيِّئ».

وقال مالك بن دينار: «تقبل شهادة القراء في كل شيء إلاّ في بعضهم على بعض، فإني وجدتهم أشد تحاسداً من التيوس، تشد النعجة فيهب عليها هذا التيس مرة، وهذا التيس مرة» وضرر الحسود إلى صديقه أكثر منه إلى عدوه، وإلى خليطه أظهر منه إلى مفارقه وإلى قريبه أسرع منه إلى بعيده، وسئل الحسن البصري رضي الله عنه هل يحسد المؤمن؟ فقال: أنسيت إخوة يوسف المؤمن يحسد ولكن ما لم يظهر بلسانه ويده.

---

(١) ـ أخرجه النسائي ٤/٥٠، وأحمد ٣/١٧٩ و١٨٦ و١٩٧ و٢٤٥، والبيهقي في «السنن» ٤/٧٥، والمنذري في «الترغيب» ٤/٣٤٦، والهيثمي في «المجمع» ٣/٥، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٤/٣=٢٨٨ و٢٨٩ و٢٩٠، والزبيدي في «الإتحاف» ٧/٥٧٢ و١٠٣٧٥، وابن أبي شيبة ٣/٣٦٨ والطبراني في «الكبير» ٧/٢٥.. وأخرجه بلفظ: «أنتم شهود الله..» البخاري ٢/١٢١ ومسلم (الجنائز) ٦٠، والترمذي (١٠٥٨) والنسائي ٤/٥٠ والطبري ٢/٦، وابن حبان (٧٤٨ـ موارد) وابن كثير ١/٢٧٧، والسيوطي في «الدر» ١/١٤٥ و٣/٢٧٦، والهندي في «الكنز» (٤٢٩٨٠).. وأخرجه بلفظ: «أنتم شهداء الله بعضكم على بعض..» ابن ماجه (٤٢٢١) وأحمد ٣/٤١٦ و٦/٤٦٦، والبيهقي في «السنن» ١٠/١٢٣ وغيرهم.

وأقول: لو ملكت عقوبة الحاسد، لم أعاقبه بأكثر مما عاقبه الله به، بالزامه الهموم وتسليطها على قلبه فزاده الله حسداً وأقامه عليه أبداً، حتى يحترق:

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله
كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

وكان سيدنا علي كرم الله وجهه يقول: الحسد نعمة، لأنه يهلك الحاسد قبل أن يصيب المحسود» ولو لم يك من هلاك للحاسد إلاّ أن الحسد يأكل حسناته كما تأكل النار الحطب، فلا يدع له حسنة واحدة ويتركه مفلساً من الخير، مهموماً دائماً لكفى.. فكيف وهو سبب الشقاء في الدنيا والآخرة، والغل ينتج الحسد، وهو رضيعه وغصن من أغصانه وعون من أعوانه وشعبة من شعبه، وفعل من أفعاله وحدث من أحداثه كما أنه ليس فرع إلاّ له أصل، ولا مولود إلاّ من مولد، ولا نبات إلاّ بأرض، ولا رضيع إلاّ من مرضع وإن تغير اسمه، فإنه صفة من صفاته، ونبت ونعت من نعوته، ورأيت الله عز وجل قد ذكر الجنة في كتابه فحلاها بأحسن حلية وزينها بأحسن زينة، وجعلها دار أوليائه، ومحل أنبيائه فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فذكر في كتابه وما مَنَّ به عليهم من السرور والكرامة، عندما دخلوها وبوأها لهم فقال:

﴿إنَّ المتّقين في جنات وعيون* ادخلوها بسلام آمنين* ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين* لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين﴾ [الحجر: ٤٥ ـ ٤٨]..

فما أنزلهم دار كرامته إلاّ بعد ما نزع من قلوبهم الحقد والغل فبافتقاد الغل والحقد والحسد تهنوا بالجنة، وقابلوا إخوانهم على السرر، وتلذذوا بالنظر في مقابلة الوجوه بسلامة صدرهم، ونزع الغل من قلوبهم ولو لم ينزع ذلك من صدورهم ويخرجه من قلوبهم لافتقدوا لذاذة الجنة، ولتدابروا وتقاطعوا وتحاسدوا، وأوقعوا الخطيئة، ولمسهم فيها النصب وأعقبوا منها الخروج لأنه عز وجل فاضل بينهم في المنازل ورفع الدرجات بعضهم فوق بعض في الكرامات وسني العطيات، فلما نزع الحسد والغل من قلوبهم ظن أدناهم منزلة فيها، وأقربهم بدخول الجنة عهداً أنه أفضلهم منزلاً، وأكثرهم

درجة وأوسعهم داراً، بسلامة قلبه، ونزع الغل من صدره فقرت عينه، وطاب أكله، ولو كان ذلك لصاروا إلى التنغيص، في النظر بالعيون، والاهتمام بالقلوب، ولحدثت فيهم العيوب والذنوب، وما رأى السلامة إلاّ في قطع الحاسد وافتقاد وجهه، ولا الراحة إلاّ في صرم مدارته ولا الربح إلاّ في ترك مصافاته فإذا فعلت ذلك فكل هنيئاً واشرب مريئاً ونم رخياً، وعش في السرور ملياً.

أما بعد: فتلك خلاصة من كلام الجاحظ ورأيه في الحسد والحاسدين وهو يرى عدم مهادنتهم أو مداراتهم، ولكن كيف؟ وقد علمت أن الخير محسود وصاحب الخير محسود والناس من دنيا الناس لا ينفكون أبداً عن الغل والحقد والحسد. اللهم إلاّ قليلاً ممن عصم الله فالزمهم التقوى وصفاء النفس وإخلاص الضمير والرضى بما قسم الله وعدم التطلع لما في أيدي الناس وكيف ننزع الغل من نفس طبعت على الغل والحقد والحسد وتمني زوال نعمة الغير، والاشتغال بنعم الله يجريها على من شاء من عباده وكيف نوفق بين رأي الجاحظ وبين الحاسد حين نراه يخوص لنا عينيه، وتدور عينه كالذي يغش عليه من الموت بل يذهب به حسده إلى الدس والوقيعة والغيبة والنميمة واختلاق الإفك والزور، ليخفف عن نفسه ما لا يجده في صدره من غل، في الحق، إن مداراة مثل هذا ليست في الامكان كما أن مجابهته بالاحتقار ورميه بالشوك قد يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه، وقديماً قال الشاعر:

ومن لم يصانع في أمور كثيرة   يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

فما العمل وقد قلت الحيلة، وما من وسيلة لتطرد هذا الوباء، لقد ذهب بعض الناس في هذا المقام مذهباً شاعرياً فيقول:

عداي لهم فضل عليَّ ومنة   فلا قطع الرحمن عني الأعاديا
همو بحثوا عن زلتي فاجتنبتها   وهم نافسوني فارتقيت المعاليا

وييأس بعض الناس فيقول شاعرهم:

كل العداوات قد ترجى مودتها   إلاّ مودة من عاداك عن حسد

ويرى بعض الباحثين الفاحصين أن هناك فرقا بين الحسد والغبطة؟ فهم يغبطون أصحاب النعيم بمعنى أنهم يتمنون أن يعطيهم الله مثل ما أعطاهم ولا يحسدونهم بمعنى أنهم يتمنون زوال نعم الله عنهم فالغبطة

محمودة شرعاً أما الحسد فمذموم ممقوت وهذا الفرق كالفرق بين المداراة والتملق فالمداراة أن تجزي على الابتسامة الصفراء بابتسامة صفراء مثلها.

ولما صار ود الناس خبا جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت أشك فيمن أصطفيه لعلمي أنه بعض الأنام

أما التملق والنفاق فهو أن تمدح الباطل وصاحبه، ولا تنكر المنكر، والمداراة محمودة شرعاً على حد أنا لنظهر الابتسامة في وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم، أما النفاق فمذموم شرعاً لأن المنافقين هم شر خلق الله تعالى ولكن ما لنا نذهب بعيداً ونعرض لهذه الآراء كلها، وقد تكفل الله تعالى بإهلاك الحاسد وإذلاله في الدنيا والآخرة وها هو إبليس اللعين قد طرد من رحمة الله حين حسد آدم، وها هم إخوة يوسف حسدوا أخاهم يوسف فرفعه الله على العرش وخروا له ساجدين، وها هو قارون حسد موسى قال تعالى ﴿**فخسفنا به وبداره الأرض**﴾ [القصص:٨١] فما من حسد إلاّ وتقع أحداثه الوخيمة على الحاسد، وترفع من شأن المحسود وتزيد من فضل الله عليه، وحسب الحاسد الإفلاس التام حيث يحصد الحسد حسناته ويأتي عليها كما تأتي النار على الحطب فلا تذر من شيء إلاّ جعلته كالرميم، نعم هناك نوع من الحسد قد يصيب المحسود إذا كان القضاء قد حكم بذلك، وجعل الحسد سبباً في الإصابة بالمرض أو الموت، وذلك هو الحسد بالعين لأن النبي ﷺ أثبته فقال: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين»[1]

---

(١) ـ أخرجه مسلم (السلام) ٤١ و٤٢ و(الطب) ب ٣٦، والحافظ في «الفتح» ١٠، ٢٠٣ والشيخ في «الصحيحة» (١٢٥١)..

وأخرج عن أبي هريرة بلفظ «العين حق ونهى عن الوشم» البخاري (٥٧٤٠) و(٥٩٤٤)، ومسلم (السلام) ٤١ و٤٢، والترمذي (٢٠٦١)، وأبود داود (الطب) ب١٥، وابن ماجه (٣٥٠٦) و(٣٥٠٧)، وأحمد ٢٨٩/٢ و٣١٩ و٤٢٠ و٤٨٧ و٦٧/٤ و٣٧٩/٥، والبيهقي في «السنن» ٣٥١/٩ وعبد الرزاق (١٩٧٧٨)، والتبريزي في «المشكاة» (٤٤٣٢) وابن أبي شيبة ٤١٧/٧، والدولابي في «الكنى والاسماء» ٤١/٢، والكحال في «الأحكام النبوية» ١٥٤/١ و١٥٦ وابن كثير ٢٠٩/١ و٢٢٨/٨ و٢٣٣، والبخاري في «التاريخ الكبير» ٩/٢ و٢٥١ وابو نعيم في «تاريخ أصفهان» ٩١/١ والذهبي في «الطب النبوي» (١٣٤) والسيوطي في «الدر المنثور» ٢٥٨/٦ والشيخ في «الصحيحة» (١٢٤٨) والنووي في «الأذكار» (٢٨٣) والهندي =

والعين تدخل الرجل القبر، والجمل القدر، ولو كان شيء سابق القدر لكان العين.

واعلم أنَّ العين التي تتوضأ لا تحسد أبداً ولا تصيب فما من دواء لعين الحاسد إلاّ ماء الوضوء هو البلسم الشافي من هذا الداء الرخيص لمن ابتلي به و قد يدرك المحسود بالعين بالرقية فيذهب عنه البأس ويشفى من قذى العين وأثرها، والأمور تجري بالمقادير ولا يقع في ملكه تعالى إلاّ ما يريد، ونسأل الله العلي القدير أن يصفي كدر قلوبنا ويجنبنا دناءة الأخلاق لا سيما الحسد والنفاق إنه نعم المولى ونعم النصير.

وقد حذرنا رسول اللهﷺ من الحسَد في أحاديث كثيرة منها حديث مسلم عن أبي هريرة أن رسول اللهﷺ قال: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا»

جاء في «محاضرات الأدباء» للأصبهاني أنَّ رجلاً توصل إلى إبليس فقال له: إن لي إليك حاجة، إنَّ عمي ذو ثروة وجاه وهو كثير الإحسان علي وعلى أهلي، ولكن أريد منك أن تعمل على إزالة نعمته حتى يكون حاله كحالي، فقال إبليس لأصحابه: من أراد أن يرى من هو شر مني فلينظر إلى هذا.

قال المتنبي:

وأظلم أهل الأرض من بات حاسداً ... لمن بات في نعمائه يتقلب

وقال غيره:

إن شئت قتل الحاسدين تعمداً ... من غير ما دِيَةٍ عليك ولا قود
وبغير سم قاتل وصوارم ... وعقاب رب ليس يغفل عن أحد
عظم تجاه عيونهم محسودهم ... فتراهم موتى النفوس مع الجسد

وقال المعري:

فلا تحسدن يوماً على فضل نعمة ... فحسبك عاراً أن يقال حسود

= في «الكنز» (١٧٦٥٦) و(١٧٦٥٧) و(١٧٦٥٨) و(١٧٦٦٠) وغيرهم.

وقال عبد العزيز الأبرش:

ليس للحاسد إلاّ ما حسد ... وله البغضاء من كل أحد
وأرى الوحدةَ خيراً للفتى ... من جليس السوء فانهض إن قعد

وقال ابن المعتز:

اصبر على كيد الحسود ... فإنّ صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها ... إن لم تجد ما تأكله

والحسد بحاجة إلى كتاب مستقل...

★ ★ ★

إياكِ والإسراف

عن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فان كان لا محالة فاعلاً، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»..[1]

أختي المسلمة: الإسراف في كل شيء رذيلة من الرذائل وعمل بغيض قبيح يتجافى مع الحكمة ويتجافى مع حسن التصرف، والاعتدال فضيلة من الفضائل وعمل مجيد يدل على رسوخ العقل وكمال الوزن في المعاملة مع المطالب التي يحتاج إليها الإنسان في دنياه، وحاجة البطن ضرورة من ضروريات هذه الحياة ليبقى الإنسان في دنياه.

وقد مكن الله تعالى للإنسان في عمومه من الحصول على هذه الحاجات من مطعم ومن مشرب.

والإسراف في تعاطي ما يحتاج إليه بطن من أقبح أنواع الإسراف لأنه

---

(١) ـ أخرجه الترمذي (٢٤٨٦) و(٢٤٨٧) وقال: حديث حسن صحيح والنسائي في «الوليمة» من «الكبرى» ١/٦٠ وابن حبان (١٣٤٩) والحاكم ١٢١/٤ وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٢/٣٠٧/٧ والبطراني في «الكبير» (٦٤٤) و(٦٤٥) و(٢٠/٦٤٦) و«الأوسط» (٥٤٨) (مجمع البحرين) و«مسند الشاميين» (١٣٧٥) و(١٣٧٦) و(١٩٤٦) وغيرهم.

يضعف العقل والبدن معاً بسبب التخمة التي يصير إليها الانسان المسرف وإذا ضعف العقل والبدن ضعف الإنتاج وهو ركن هذه الدنيا لتحصيل حياة طيبة سعيدة مباركة، وهذا الحديث النبوي الشريف الذي صدرنا به القول، يرشد إلى ذلك أكرم إرشاد ويهدف إليه في بيان رائع، مجيد، وقد عبرﷺعن المعدة بالوعاء الذي ينطوي على قوة معينة من حيث احتمال ما يوضع فيه وذلك حيث يقول الصادق المصدوقﷺ المبلغ عن الله تعالى صانع هذا الإنسان وخالقه: «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه» لأن كل وعاء يضع الإنسان فيه اكثر من حاجته تفيض تلك الحاجة وتسقط على الأرض، أما هذا الوعاء (البطن) فإنه إذا وضع فيه أكثر من طاقته فإنه ينتفخ، وانتفاخ المعدة يضغط على الحجاب الحاجز، وذلك يضغط على الرئتين فتضيق مجاري التنفس الذي هو ضرورة لا بد منها لاصلاح الدم الفاسد وتحويله إلى دم صالح تقوم به حياة الإنسان.

قال الشافعي:

ثلاث هن مهلكة الأنام وداعية الصحيح إلى السقام
دوام مدامة ودوام وطء وإدخال الطعام على الطعام

وقال الحارث بن كلدة طبيب العرب:

المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء..

★ ★ ★

إياكِ وعمل الجاهلية

عن عبد الله بن مسعود قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمنمصات والمتفلجات للحسن، والمغيرات لخلق الله، فجاءته امرأة فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت.. ثم قالت: لقد قرأت ما بين اللوحين - تريد كتاب الله - فما وجدت فيه ما تقول. قال: لئن كنت قرأتِه لقد وجدتِه أما قرأت: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾

[الحشر: ٧]. قالت: بلى. قال: فإنه قد نهى عنه[1].

أختي المسلمة: الوشم هو غرز الابرة بلون يبقى أثره في اليد ونحوها وهو معروف.. والنمص هو ترقيق الحاجب ليظهر جماله.. والفليج هو تفريج يعمل في الأسنان لتجميلها.. وفي كل ذلك تغيير لخلق الله وتحسين متصنع بما لم يأذن به الله وهو من إغواء الشيطان تحقيقاً لعدته الفاجرة..

أختي المسلمة المتحفظة لنفسها المشفقة من خشية ربها اتقي الله وتعلمي سنة نبي الإسلام لتطيعي بها الله ورسوله فإن السنة بيان للكتاب وإضافة لما يجب معرفته على المسلمين والعمل بها طاعة والأمر باتباعه واجب ومن تأمل قول الله سبحانه وتعالى:

﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم**﴾ [آل عمران: ٣١]..

يتجلى له أنه لا يقبل دعوى من يدعي حب الله وهو لا يتبع رسول الله ﷺ فمن ادعى حب الله وهو شيء عزيز المنال و لم يتبع رسوله ﷺ فهو كاذب مهما أصر على دعواه فهي أمور مترابطة اتباع الرسول ﷺ وحب الله سبحانه من العبد ثم حب الله سبحانه للعبد وطوبى لمن ظفر بذلك كله فكان متبعاً محباً محبوباً ويا سعادة من هدى إليه وبغير ذلك لا نجاة وبغير ذلك لا سلامة...

★ ★ ★

المدح والثناء والإعجاب

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يثني على

(١) - أخرجه البخاري ٢١٢/٧ و٢١٣، ومسلم (اللباس) ب ٣٣ رقم ١١٥ والترمذي (١٧٥٩) و(٢٧٨٣) وأبو داود (٤١٦٩) والنسائي ١٤٦/٨ و١٨٨ وابن ماجه (١٩٨٨) وأحمد ٤٣٤/١ و٣٣٩/٢ و١١١/٦ و٣٤٥ و٣٤٦ و(٣٥٣) والبيهقي في «السنن» ٣١٢/٧ والتبريزي في «المشكاة» (٤٤٣١) وابن كثير ٣٦٨/٢، والبغوي في «شرح السنة» ١٠٢/١٢..

رجل ويطريه في المِدحةِ، فقال: «أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل»[1]..

وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه أن رجلاً أثنى على رجل عند النبي ﷺ فقال له: «قطعت عُنُقَ صاحبك» ـ ثلاث مرات ـ ثم قال: «إذا مدح أحدكم صاحبه لا محالة فليقل: إني أحسبه، كما يريد أن يقول، ولا أزكيه على الله»[2]..

أختي المسلمة: حب الثناء طبيعة الإنسان، فما من نفس إنسانية إلا ويعجبها المدح والإطراء ويحلو لها الاستماع إلى إعجاب الناس بها وثنائهم عليها، قال الشاعر:

يهوى الثناء مبرز ومقصر حب الثناء طبيعة الإنسان

ولنفوس النساء زيادة ميل للثناء والاعجاب عن الرجال، لأنهن نشأن في الحلية والزينة. ومن هنا قال المرحوم شوقي بك:

خَدَعُوهَا بقولهم حسناء والغواني يغرهن الثناء

لكن الناس مختلفون في الأثر الذي يحدثه الإطراء والثناء، فمنهم الصلف المغرور، الذي يقطع الإعجاب ظهره كما في الحديث، لأنه جاهل يحمله الثناء على الكبر والاعجاب والبطر والغشم وهذا هو المدح المذموم الذي سماه عمر بن الخطاب رضي الله عنه «ذبحاً».

وقد أجاد اسماعيل صبري حيث قال:

أبصر الثعلبُ الغرابَ على غصن نضيرٍ في روضةٍ غَنّاء
ورأى قطعةَ بفيه من الجبنة تزري بالفضة البيضاء
خير ما تنتقي وأطيب ما تخطف من مأكلٍ لصوصُ الهواء
فاشتهاها وقال إن لم تكن لي أنكرتني ثعالب الغبراء

(١) ـ أخرجه البخاري ٣/٢٣١ و٨/٢٢ وفي «الأدب المفرد» (٣٣٢) وابن عساكر ٦/٣٨٣...

(٢) ـ أخرجه البخاري ٣/٢٣١ و٨/٢٢ و٤٧، ومسلم (الزهد) ب١٤ رقم ٦٥ و٦٦، وأبو داود (٤٨٠٥)، وأحمد ٥/٤١، وابن المبارك في «الزهد» (١٣)، والزبيدي في «الإتحاف» ٤/١٨٢، و٧/٥٧٠٩ و٥٧١، وابن كثير ٧/٤٣٨ والعراقي في «المغني عن حمل الأسفار» ١/٢٣٠ و٣/١٥٦، وعبد الرزاق (٢٠٥٢١)

إرفعيني يا قوة المكر إن لم تنزل الجبنة التي في السماء
ثم أنشأ يثني وينصب أشراكاً وشر الأشراك بعض الثناء
قائلاً يا أمير عم كل صبح صائحاً صادحاً وكل مساء
هات زدنا علماً بقدرك يا مولاي من أنت من بني العنقاء
أغراب تبارك الله آمنا بفضل الغربان أهل العلاء
ألق درساً على البلابل غلمانك في الفن يا أبا الفضلاء
وترنم بمن أفاض على حلقك ما لم يفض على الورقاء
كلمات أصغى الغبي اليها فاعتراه شيء من الخيلاء
وتغنى فلم يحس بما ألقاه في فخ أشعر الشعراء
بل رأى الجبنة الشهية تهوي فبكاها ولات حين بكاء
وتلقي اللصُّ الغنيمة واستأذن في الحال زاهداً في الغناء
قائلاً طبت يا مغني الندامى غنّ غيري قد حان وقت غدائي

ومنهم العاقل الرزين العارف بشهوات النفس وغرائزها فهذا لا يحمله الإطراء على الغرور، بل كلما زاد إعجاب الناس به زاد اتهامه لنفسه وعمل على أن يكون عند حسن ظنهم، كما كان يقول علي كرم الله وجهه، عندما يسمع ثناء الناس عليه، اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيراً مما يظنون..

وهذا هو المدح الجائز الذي لا غبار عليه...

ومن هذا نعلم أن للمدح جهتين، جهة يذم فيها، وجهة يمدح فيها، فإن كان من قبيل إطراء المتزلفين الذين اتخذوا الثناء على الرؤساء وذوي السلطان والجاه تجارتهم وطريق عيشهم وجعلوا التمليق رأس مالهم في هذه الحياة، فبئس هذا المدح الذي يغر الممدوح، ويحمله على الكبر والإعجاب والطغيان وبئست تلك البضاعة التي يتجر فيها أنذال الناس وأسافلهم، فإنهم المنافقون وكفى.

وإن كان الثناء من قبيل التشجيع وإظهار إمارات الإستحسان لما يقوم به الممدوح من جلائل الأعمال حتى يحمله هذا الثناء على الدأب فيما هو بسبيله من صالح الأعمال فهو الثناء الممدوح الذي يثاب فاعله لتشجيعه الفضلية.

ومهما يكن من شيء فقد نهى الحديث عن المبالغة في المدح وخصوصاً في وجه الممدوح، أما المبالغة فهي زيادة عن الحق، وكل زائد عن الحق فهو باطل وكذب، وأما سماع الممدوح الثناء عليه في وجهه فهو طريق إلى الغرور، وقد يكون فاسقاً أو جاهلاً فتكون الداهية أعم والمصيبة أدهى وأمر، وفي الحديث «إذا مدح الفاسق غضب الرب»[1]..

وقال الحسن رضي الله عنه: من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله في الأرض..

ومن الكلمات المأثورة: عجبت لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح، وعجبت لمن قيل فيه الشر وليس فيه كيف يغضب.

يا جاهلاً غره إفراط مادحه ... لا يغلبن جهل من أطراك علمك بك
ألنى وقال بلا علم أحاط به ... وأنت أعلم بالمحصول من ريبك

فيجب على العاقل أن يضبط نفسه بميزان الشرع ولا يسترسل وراء شهوة النفس في حب الثناء، فكم رأينا كثيراً من الناس غرهم أن يحمدوا بما لم يفعلوا وطغى عليهم الغرور حتى تناسوا حقيقتهم، فتوهموا أن كلام المتملقين صدق، فركبوا متن الشطط في حياتهم وتجاوزوا الحد الذي ينبغي أن يقفوا عنده فراحوا ضحية الغرور وأصبحوا عبرة بين العباد.

يقولون: صاحب الدار أدرى بما فيها.. فكل إنسان أدرى بنفسه من غيره، لأن الناس لا يحكمون إلاّ بالظاهر والله يتولى السرائر، فكيف بعد هذا يغتر الجاهلون بالكلمات المعسولة التي يزدلف بها أصحاب الأغراض من منافقي الناس وأراذلهم.

في الحق: إنّ هذا الخلق الوضيع مما عمت به البلوى الآن، وقد يكون شيوعه في الطوائف المثقفة أكثر منه في الطبقات الدنيا حتى رأينا كبار الكتاب يتقارضون الثناء ويحسبون الناس في عماية، وغرهم أن سمعوا لأسمائهم ترديداً هنا وهناك فتمادحوا حتى بلغوا حد الإسفاف وهم

(١) ـ أخرجه ابن عساكر ٦/٤٠، والتبريزي في «المشكاة» (٤٨٥٩) والزبيدي في «الإتحاف» ٥٧١/٧، وابن عدي ١٩١٧/٥، والعراقي في «المغني عن حمل الأسفار» ٤٧٧/٤، والشيخ الألباني في «الضعيفة» (٥٩٥)..

يحفظون قول الشاعر:

إذا المرء لم يمدحه حسن فعاله ... فمادحه يهذي وإن كان مفصحا

وقد يبلغ الحمق بضحايا الثناء درجة الجنون حتى إن الواحد منهم إذا لم يجد من يمدحه أخذ هو يطري نفسه بألوان من المديح والإعجاب وجسمه يزن أكثر من مائة كيلو وعقله لا يزن جناح بعوضة ويفتخر بنفسه ويقول: أنا المبدع ويتلذذ بذلك تلذذ المغني بغنائه إذا لم يجد من يغني له، والجنون فنون.

وما شرف أن يمدح المرء نفسه ... ولكن أعمالاً تذم وتمدح
وما كل حين يصدق المرء ظنه ... ولا كل أصحاب التجارة يربح
وما كل من ترجو لغيبك حافظاً ... ولا كل من ضم الوديعة يصلح

وغرور الشعراء والكتاب بالثناء والإعجاب لا يقل عن غرور الغواني بهتاف الجماهير بما حباهن الله من جمال وتيه، ويعلم الله أن كثيراً من هؤلاء وأولئك لا يستحق أي تقدير فانظر كم يجر تزييف المديح واعتمال الزلفى على الناس من رياء وعظمة كاذبة هي قاصمة الظهر كما يرشد الرسول عليه الصلاة والسلام..

ليت الناس يعرفون مقدارهم في الحياة إذن لاستراحوا وأراحوا، وليتهم ينصتون إلى تعاليم أستاذ الإنسانية الأعظم ﷺ فيعرفون هذا الوبيل داء النفاق والإطراء كذباً وزوراً حتى يقف كل عند حده. وأحسن علاج لها أن يتهم الإنسان نفسه بالقصور، وأن يقول لمادحيه: المغرور من غررتموه، وأن يتلمس معايبه من ألسنة الحاقدين والأعداء، فربما كشفوا مستوراً عليه من معايبه، فيكونون قد أحسنوا إليه من حيث يريدون الإساءة، ولله در من قال:

عداي لهم فضل علي ومنة ... فلا قطع الرحمن عني الأعاديا
همو بحثوا عن زلتي فاجتنبتها ... وهم نافسوني فارتقيت المعاليا

أما بعد: فلكل واحد من الناس قادح ومادح، فليأخذ العبرة من الأول، ولا يغتر بالثاني وإن كان صادقاً، وبذلك يبني مجده بيده وكفى.

★ ★ ★

استكثري من الباقيات الصالحات

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «استكثروا من الباقيات الصالحات، قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: التكبير، والتسبيح، والتهليل، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.»[1]..

أختي المسلمة: لا يوجد شيء في هذه الحياة يدخل السرور الحق والطمأنينة الكاملة الصحيحة على قلب المؤمن الصادق في إيمانه كذكر الله عز وجل، إنه كالواحة الخضرة النضيرة في صحراء هذه الحياة الكادحة يجد المسافر في ظلها الوارف الظليل برد الراحة وسكون النفس وهدوء الخاطر، وذكر الله عز وجل يدخل الطمأنينة إلى القلب والراحة إلى النفس ويزيح عن الفكر كابوس الإجهاد والمشاغل، ويجلسها على كرسي السعادة الصحيحة، وصدق رب العالمين حيث يقول: ﴿**الا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾ [الرعد:٢٨]، وكيف لا يطمئن القلب بذكر الله تعالى وهو يذكر صاحب هذه الدنيا المعز المذل الذي يقول للشيء كن فيكون؟ انه عند معرفة الله تعالى المعرفة المبنية على اليقين إذا ذكره المؤمن امتلأ قلبه بالطمأنينة إليه والخشية منه سبحانه وتعالى.

إن من ذكر الله تعالى ذكره الله كما قال في كتابه الكريم: ﴿**فاذكروني أذكركم**﴾ [البقرة:١٥٢]. صدق الله العظيم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر.»[2]

---

(١) ـ أخرجه الإمام أحمد ٧٥/٣ والحاكم ٥١٣/١ والبغوي ٢١٤/٤ وفي «شرح السنة» ٦٤/٥، والطبري ١٦٧/١٥ وابن كثير ١٥٩/٥ والمنذري في «الترغيب» ٤٣١/٢ والزبيدي في «الإتحاف» ١٣١/٥ وابن حبان (٢٣٣٢ ـ موارد) والهيثمي في «المجمع» ٨٧/١٠ والسيوطي في «الدر» ٢٢٤/٤ والهندي في «الكنز» (٤٣٦٥٤) وغيرهم.

(٢) ـ أخرجه البخاري ١٠٧/٨ رقم (٦٤٠٥) ومسلم (الدعاء) ٢٨ وأحمد ٣٠٢/٢ و٥/٥، والبغوي في «شرح السنة» ٤٠/٥ والزبيدي في «الإتحاف» ١٣/٥.

أختي المسلمة: ما أرخص الطاعة وأيسرها على الموفقين. وما أعونها على الخير وما أعظم ما تمنح الروح من قوة. والجسد من خفة. والقلب من صفاء. والمنطق من حلاوة ورواء.

لقد عرف هذا السبيل من سعدوا من أهل الجنة ومن أولياء الله الأحبة.

- إن أقرب وسائل الطاعة إلى الله أخفها على اللسان كما جاء في الصحيح «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»[1]، فما أسعد من هُدِيَ إلى هاتين الكلمتين، وهما خير لكِ أيتها المسلمة العاقلة من كثير مما تحملينه من أعباء الذنوب وتطلقين به لسانكِ كل يوم من السب والطعن والنهش في العرض ثم تشعرين إن كان لكِ شعور بأنكِ ثقيلة على نفسكِ وثقيلة على غيرك لأنك تحولتِ من إنسانة كريمة إلى شيطان رجيم.

إعرفي – أصلحكِ الله – ، طريق ربك وتوددي إلى ربك في الرخاء يعرفكِ في الشدة.

عوّدي لسانكِ ذكر الله ورطّبيه بالتسبيح والحمد لله.

سبحان الله وحمده في يوم مائة مرة و لم لا تكون كل يوم ألف مرة؟

لو الناس يعقلون فيفيدون من فرص العمر ويقاومون الوسواس والجهل على أنهما باطل والحق في ذكر الله وتطهير القلب وتزكية النفس والباطل في اللهو واللغب والغفلة حتى يقع المرتقب.

نسأل الله العافية والسلامة.

★ ★ ★

لا تتمني الموت لِضرٍّ أصابك

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « لا يَتَمَنَّ أحدكم

(١) ـ أخرجه البخاري (٦٤٠٦) و(٦٦٨٢) و(٧٥٦٣)، ومسلم (الذكر والدعاء) ب ١٠ رقم ٣١ والترمذي (٣٤٦٧) وابن ماجه (٣٨٠٦) وأحمد ٢٣٢/٢ والبغوي في «شرح السنة» ٤٢/٥ وابن أبي شيبة ٢٨٩/١٠ و٤٤٩/٢١٣ والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٩٩) والمنذري في «الترغيب» ٤٢٠/٢ والتبريزي في «المشكاة»=

الموت لضر أصابه فإن كان لا بد فاعلا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي».[1]..

أختي المسلمة: في هذا الحديث يؤدبنا النبي ﷺ بآداب المؤمنين الصادقين فيعلمنا أن لا نتمنى الموت فضلا عن استعجال الموت ويوجهنا إلى الالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى إن كان لا بد من طلب الموت ويلهمنا أن الطلب إذا وقع يكون برد الأمر إلى الله العليم الخبير، بأن يقول: اللهم أحيني ما علمت الحياة خيراً لي وأمتني إذا كان الموت خيراً لي، وفي ذلك أدب وتفويض.

★ ★ ★

عليك من الأعمال ما تطيقين

عن عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة. قال: «من هذه؟ قالت: فلانه. تذكر من صلاتها. قال: مه. عليكم من الأعمال بما تطيقون. فوالله لا يمل الله حتى تملوا وكان أحب الدين إليه ما داوم صاحبه عليه.»[2]..

أختي المسلمة: جاء في صحيح البخاري عن النبي ﷺ قال: «إن الدين يسرٌ ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدجلة.

وقد ضرب النبي ﷺ هذه الأمثال للاستعانة على طاعة الله عز وجل

= (٢٢٩٨) وابن كثير ٢٩/٨ وأبو نعيم في «الحلية» ٤٠٠/١ وغيرهم.

(١) ـ أخرجه البخاري (٥٦٧١) و(٦٣٥١) و(٥٦٧٣)، ومسلم(الذكر والدعاء)ب ٤ رقم ١٠ والترمذي (٩٧٠) وأبو داود (الجنائز) ب ١٣ والنسائي ٣/٤ وابن ماجه (٤٢٦٥) وأحمد ٢٦٣/٢ و١٠٣/٣ و٢٥٨ و١٠٩/٥ والحاكم ٤٤٣/٣ والطبراني في «الكبير» ٧٤/٤ و٣٦/١٨ وابن أبي شيبة ٢٦٥/١٠ والخطيب ٢٣٥/٥ وعبد بن حميد في «المنتخب» (١٢٤٦) والبزار ٢٤٢/٢ وغيرهم.

(٢) ـ أخرجه البخاري (٤٣) و(١١٥١) وأحمد ١٩٩/٦ و٢١٢.

بالأعمال الصالحة في أوقات النشاط وفراغ القلوب حتى يجد العابد طعم العبادة ولا يسأم.

★ ★ ★

الغيرة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الله تعالى يغارُ، وغَيْرَةُ اللهِ تعالى أن يأتي المرءُ ما حَرَّمَ اللهُ عليه»[١]..

أختي المسلمة: معنى غيرة الله تعالى منعه الناس من الفواحش وسائر المحرمات.. لكن الغيرة في حق الناس يقارنها تغير حال الإنسان وانزعاجه وهذا ما سأحدثك عنه...

كانت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أحب أزواج النبي ﷺ إليه وأشدهن غيرة عليه حتى إنها كانت تغار من خديجة مع أنها لم ترها، وكان سيد الأوفياء ﷺ يذبح الشاة ويقسمها كلها على أحباب خديجة وصديقات خديجة رضي الله عنها يقول لخدمه: اذهبوا بهذا القسم من اللحم لفلانة لأنها كانت تحب خديجة، وبهذا لفلانة لأنها كانت صديقة خديجة، وهذا لفلانة لأنها كانت تزور خديجة» فتقول السيدة عائشة وقد أخذتها الغيرة: كله خديجة خديجة كأن لم يكن في الدنيا إلاّ خديجة إن هي إلاّ عجوز تزوجتها في الجاهلية، فيقول النبي ﷺ: «نعم خديجة، واستني بمالها حين منعني الناس، وآمنت بي حين كفر بي الناس وكان لي منها ولد»[٢]..

وحدث مرة أن كان النبي ﷺ يبيت عند عائشة فقامت من نومها فلم تجده بجوارها، فأخذها ما يأخذ النساء من الغيرة، وراحت تبحث عنه في حجر نسائه واحدة واحدة فلم تجده، وأخيراً وجدته بالبقيع يستغفر

---

(١) ـ أخرجه البخاري (٥٢٢٣)، ومسلم (التوبة) ٣٦، والترمذي (١١٦٨) وأحمد ٣٨٧/٢، والمنذري في «الترغيب» ٢٤٢/٣.

(٢) ـ أخرجه الإمام أحمد ١١٨/٦، والحافظ في «الفتح» ١٣٧/٧.

للمؤمنين والمؤمنات والشهداء فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أنت هنا في حاجة ربك، وأنا في حاجة الدنيا، قالت: فانصرفت فدخلت حجرتي ولي نفس عال ولحقني رسول اللهﷺ فقال: «ما هذا النفس يا عائشة؟» فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أتيتني فوضعت ثوبيك ثم لم تستتم أن قمت فلبستهما فأخذتني غيرة شديدة ظننت أنك تأتي بعض صويحباتي حتى رأيتك بالبقيع تصنع ما تصنع فقال:

«يا عائشة أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله»[1]

وفي رواية أخرى قالت رضي الله عنها: خرج رسول الله ﷺ مرة فغرت عليه أن يكون أتى بعض نسائه، فجاء فرأى ما أصنع فقال: «أغرت يا عائشة؟» فقلت: وهل مثلي لا يغار على مثلك يا رسول الله فقال: «لقد جاءك شيطانك» قلت: أو معي شيطان؟ قال: «نعم» قلت: ومع كل إنسان؟ قال: «نعم» قلت: ومعك؟ قال: «نعم ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم»[2] أي أسلم نفسه فأصبح تحت أمري، لا يأمر إلاّ بخير...

فليحذر الزوجان من تلبيس إبليس إذا ما دفع شيطان الغيرة للوسوسة والظنون والأوهام الكاذبة، وليروضوا أنفسهم على هدى سيد الوجود صلى الله عليه وسلّم في هذه السجية فلا يجاوزوا بها حدها، وإلا كانت سبب الخراب والدمار...

وبعد: فإن الله تعالى يغار، والمؤمن يغار، ويترتب على الغيرة منع الفسق والضلال بشرط أن تكون غيرة الخلق في حدود الاعتدال..

هناك مناقشة جرت بين أحد كبار العلماء وأحد الشخصيات من الباشاوات..

قال الباشا: ـ وهو يسأل العالم ـ لم لا نرقص؟

قال العالم: لأنّ الغيرة موجودة في الكلاب والحمير فإذا اعتدى كلب على وليفة كلب آخر أو حمار على حمارة حمار آخر ثار وغضب

(١) ـ أخرجه المنذري في «الترغيب» ٣/٤٥٩، والسيوطي في «الدر المنثور» ٦/٢٧، والهندي في «الكنز» (٣٥١٨٤).

(٢) ـ أخرجه التبريزي في «مشكاة المصابيح» (٣٣٢٣)، والحافظ في «تلخيص الحبير» ١/١٢١، والزبيدي في «اتحاف السادة المتقين» ٨/١٧.

وعض المهاجم لوليفته ومنعه عنها، فإذا انعدمت الغيرة من الإنسان إلى حد أن يرى زوجته تخاصر رجلاً أجنبياً وتلاصقه، فقد وجد الجيل الذي لا يساوي أمة الكلاب والحمير في فضيلة الغيرة.

قال الباشا: هناك في أوربا لا ترى المدنية الغربية في الرقص بأساً، وكذلك إذا كبر عندهم الأبناء وبلغوا سن الزواج جاءوا لأبنائهم بخادمات وضيئات ليشبعن فيهن غريزتهم الجنسية خوفاً عليهم من الزهري وأمراض المومسات...

قال العالم: والغريزة الجنسية في المرأة أشد منها في الرجل فهل إذا كبرت عندهم البنات وظللن عانسات بدون أزواج، هل يأتون لهن بخدم وضيئين ليشبعوا رغباتهن الجنسية حتى يتزوجن أم ماذا؟

في الحق إنَّ ظاهرة الانحلال في المجتمع وعدم غيرة الرجل الشرقي على امرأته وإرخائه لها العنان تقلد الغربية في كل شيء حتى في الانتخاب والنيابة عن الأمة في البرلمان، أمر عجيب.

والعبرة من الحديث الشريف أنْ يعتبر المسلم بغيرة الله سبحانه ويقدر ما في غيرته من إتيان الفواحش فيراقبه في السر والعلن. وقد أورد ذلك الحديث الإمام النووي في باب المراقبة من كتابه «رياض الصالحين» فهو من الدوافع الصادقة إلى مراقبة الله سبحانه ومحاذرة أن يرى العبد حيث نهاه لأنه يغار أن يراه كذلك، وهو سبحانه بالمرصاد للعبد لا يغفل عنه طرفة عين ولا يخفى عليه من أمره شيء، وفي حديث جبريل المعروف أنَّ الإحسان «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[1]..

وفي وصية النبي ﷺ لمعاذ بن جبل: «اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن»[2]

(١) ـ أخرجه البخاري (٥٠) و(٤٧٧٧)، ومسلم (الإيمان) ١ و٥، والنسائي ٨/٩٩ و١٠٢، والترمذي (٢٦١٠)، وأبو داود (السنة) ب ١٦، وأحمد ١/٥١ في «الحلية» ٨/٣٣٨، والزبيدي في «الإتحاف» ١٠/٩٤، والهندي في «الكنز» (١٣٦٤).

(٢) ـ أخرجه الترمذي (١٩٨٧) وأحمد ٥/١٥٣ و٢٣٦ و١٥٨ و١٧٧، والدارمي ٢/٣٢٣، والحاكم ١/٥٤، والطبراني في «الصغير» ١/١٩٢ وأبو نعيم في «الحلية» =

وفي وصيته ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أنه قال له وكان رديفه في بعض أسفاره: «يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاّ بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلاّ بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف»[1].

وفي رواية أخرى: «احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك..»[2]..

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني»[3]..

فالسعيد من أقامه الله سبحانه على الجادة وصرف نفسه عن الهوى ووجّهه وجهة الخير والهدى، والشقي من خذله الله وأضله فاتخذ إلهه

= ٣٧٨/٤، وابن كثير ١٧٧/٢، والزبيدي في «الإتحاف» ٥١٢/٥ و٣١٩/٧ و٥١٨/٨ و٥٧٦، والسيوطي في «الدر المنثور» ٧٦/٢، والهندي في «الكنز» (٥٦٢٩) و(٤٣٢٩٦).

(١) ـ أخرجه الترمذي (٢٥١٦) وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم ٥٤١/٣ والبغوي ١٢٣/٢، والآجري في «الشريعة» (١٩٨) و(١٩٩)، والشجري في «الأمالي» ١٩٤/٢ و١٩٨، والطبراني في «الكبير» ١٢٣/١١ و١٧٨، والتبريزي في «المشكاة» (٥٣٠٢)، وابن عدي ٢٦٨٣/٧، وأبو نعيم في «الحلية» ٣١٤/١.

(٢) ـ أخرجه الترمذي والطبراني في «الكبير» ١٢٣/١١ و٢٣٨/١٢ وأحمد ٣٠٧/١ وابن أبي عاصم ١٣٨/١ والخطيب ١٢٥/١٤ والهيثمي في «المجمع» ١٨٩/٧ وابن السني (٤١٩) وابن كثير ١٧٤/٨ وغيرهم.

(٣) ـ أخرجه الإمام أحمد ١٢٤/٤، والبيهقي في «السنن» ٣٦٩/٣ والحاكم ٥٧/١ و٢٥١/٤، والطبراني في «الكبير» ٣٣٨/٧ و٣٤١، والزبيدي في «الإتحاف» ٤٤/٧ و٤٢٨/٨ و٤٤١ و١٨/٩ و٣٩ و١٦٦ و٩٣/١٠ و١٥١ و٢٢١، والبغوي ٣٠٥/٢ وفي «شرح السنة» ٣٠٨/١٤ و٣٠٩، والطبراني في «الصغير» ٣٦/٢ والتبريزي في «المشكاة» (٥٢٨٩)، والحافظ في «الفتح» ٣٤٢/٩، والمنذري في «الترغيب» ٢٥٢/٤، وأبو نعيم في «الحلية» ٢٦٧/١ و١٧٤/٨، والخطيب ٥٠/١٢ وابن المبارك في «الزهد» (٥٦) وابن عدي ٤٧٢/٢ وغيرهم.

هواه، ونسي طاعة مولاه...

أختي المسلمة: إنَّ الله تعالى يغار فهل قدرتِ سطوته وبطشه إذا رآكِ على غير ما أمركِ به، أو رأى منكِ خلافاً فيما نهاكِ عنه، فهل لكِ من توبة تمحو آثار تلك العثرات وهل عسى أن تبكي على ما أسلفتِ بوابل العبرات، وهل لكِ من أوبة إلى ربك تستلقين بها في أحضان الرحمات لا تقنطين من رحمة ربكِ إنه يغفر الذنوب جميعاً وأنيبي واسلمي له من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله، فالباب اليوم مفتوح والله الهادي إلى السبيل...

★ ★ ★

اختيار الجليس

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الوحدة خير من جليس السوء، والجليس الصالح خير من الوحدة، وإملاء الخير خير من السكوت، والسكوت خير من إملاء الشر»[1].

أختي المسلمة: هذه أربع عظات بليغات تضمنها هذا الحديث النبوي الشريف في كل واحدة منها خير كثير، وربح وفير، وسعادة وارفة الظلال، وطمأنينة غامرة تسكن القلب، وتفيض على الجوارح.

أولى هذه العظات: قول النبي الكريم ﷺ: «الوحدة خير من جليس السوء»... وهذا حق اليقين، لأننا إذا أجرينا موازنة بين الانفراد بالنفس ـ وهي الوحدة ـ وبين وجودها مع جليس السوء، كانت الوحدة ولا شك خيراً وبركة وأفضل من وجود الإنسان مع جليس السوء، لأن جليس السوء سوء وشر ووبال ونار تحرق، فجليس السوء لايرعوي ولا يرعى للناس حقاً أو ذمة، ولا يبالي بما يقول، وسواء عنده أنطق بالحسنات أم بالسيئات فالبعد عنه بر ورحمة، والقرب منه قرب من شخص لا يتقيد بالشرع ولا يقيم وزناً

---

(١)ـ أخرجه الحاكم ٣/٣٤٣، والدولابي في «الكنى والأسماء» ٢/٠٧ والزبيدي في «الإتحاف» ٦/٢٠٣ و٣٥٣، والهندي في «الكنز» (٢٤٨٤٦).

لقضية الحق والباطل ومن يصغي إلى جليس السوء فإنما يقطف من سيئاته، ويأخذ من باطله ويعرض نفسه لغضب الله القوي الجبار.

والثانية من هذه العظات البليغات النافعات قول الصادق المصدوق ﷺ: «والجليس الصالح خير من الوحدة».. لأنَّ الجليس الصالح يُذكر بالله تعالى حاله ومقاله وفعله فالجلوس معه سعادة وهناء وخير ورخاء وعافية وإحسان وقرب من الله الواحد الديان، ولقد بين النبيﷺفي حديث آخر الأثر المترتب على الجلوس مع الأول أو الثاني، حيث يقول ﷺ:

«مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك ـ أي يعطيك ـ وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير يحرق ثيابك أو تجد منه رائحة خبيثة»[1]

إنَّ قضية وجود العقل في الإنسان تحمل على طلب المزيد من الخير وكل كريم ينفع، كما تحمل على النفور من الشر وكل خبيث ضار حتى يحقق الشخص لنفسه أكبر قسط من السعادة في هذه الحياة العاجلة وفي تلك الحياة الآجلة التي يسير إليها بخطى واسعة بمضي الأيام والليالي لأنها مطايا الإنسان إلى الأجل المحتوم فكل يوم يمر على الإنسان في هذه الدنيا يبعده عنها ويقربه من الآخرة دار القرار والبقاء الأبدي السرمدي الذي لا ينقضي ولا ينتهي. وكلما استزاد الإنسان من الخير تحصل على الزاد النافع الذي يدخل السرور على نفسه ويدخل الطمأنينة على قلبه ويجعله عزيزاً مهاباً ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾.. [المنافقون:٨]

والعظة الثالثة في الحديث الشريف قول نبيناﷺ: «وإملاء الخير خير من السكوت».. لأن إملاء الخير وهو النطق به وإظهاره إعلان له ورفع لرايته وتسجيل لما فيه من الحق الأبلج والنور المشرق الوضاء وذلك ولا شك خير من السكوت عنه لأنه في السكوت عنه إخفاء لفضله وإماتة لوجاهته وقوته،

---

(١) ـ أخرجه البخاري (٢١٠١) و(٥٥٣٤) والبغوي ١٠٠/٥ والتبريزي في «المشكاة» (٥٠١٠)، والزبيدي في «الإتحاف» ٣٥١/٦...
وأخرجه بلفظ: «مثل الجليس الصالح مثل العطار».. أحمد ٤٠٤/٤ والحاكم ٢٨٠/٤، والمنذري في «الترغيب» ٣٤٨/٢ و٥٠/٤، والحميدي (٧٧٠) وأبو داود (الأدب) ب ١٩، والهيثمي في «المجمع» ٦١/٨ وغيرهم.

فالسكوت عن إملاء الخير ضعف ورذيلة وجبن وخور، والمؤمن قوي بهذا الخير كما أن الخير سلم الفلاح والربح والتجارة والنجاح قال تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾ [الحج:٧٧]..

فرتب الفلاح على ما سبق من الفضائل ومن بينها فعل الخير وإظهاره وإعلاء رايته وإشهاره.

وأما العظة الرابعة في الحديث فهي قول النبي ﷺ: «والسكوت خير من إملاء الشر».. لأن السكوت عن إملاء الشر إخفاء له وهو إخفاء لباطل أي قضاء عليه والقضاء على الشر طاعة لله عز وجل وقربة إليه سبحانه وتعالى وهو يدل على طهارة النفس ونبل الطبع وسمو الفطرة والبعد عن هوى النفس الأمارة بالسوء ورحم الله القائل:

والنفس من خيرها في خير عافية والنفس من شرها في مرتع وخم
تطغى إذا مكنت من لذة وهوى طغي الجياد إذا عضت على الشكم

إن السكوت عن إملاء الشر يريح النفس ويريح المجتمع ويبعد عن الظن والقلاقل ويجعل النفس البشرية آمنة مطمئنة، وإثارة الشر وتلقينه فساد وخلل يلحق بالمجتمع فيصدع الشمل ويفسد ذات البين ويجعل هذه الحياة جحيماً لا يطاق، وشقاء لا يحتمل ومن شأن هذا الخلل أن يحدث شقاء بين الناس ويجعل حياتهم نكدة ويجعل عيشهم مراً لا يحتمل ولا يطاق.

إنَّ كل إرشاد وجهنا إليه الصادق المصدوق المبلغ عن الله تعالى في اتباعه والعمل به تحقيق السعادة وجلب الطمأنينة والراحة وفي البعد عن اتباعه شقاء وبلاء يلحق الفرد ويلحق الجماعة البشرية، فالخير كله في اتباع ما جاءنا به رسول الله ﷺ لأنه من عند الله والشر كله في التجافي عنه والتنكر له والله سبحانه هو الموفق للخير والهادي إلى سواء السبيل...

* * *

التحذير من هجران المسْلم

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « لا

يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»..[1]

أختي المسلمة: إنه لا يليق بالمسلم أن يسيء الى أخيه المسلم كما لا يليق به الهجر لأن كلا منهما قوة لأخيه وعون له في السراء والضراء، والقطيعة والبغضاء ضعف، ومن أجل ذلك حذر منه القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ [الأنفال:٤٦] فرتب الفشل على التنازع والفشل ضياع وإذلال وإهانة وفقدان للهيبة، مما يغري الأعداء بالمسلمين ويحملهم على الاستخفاف بهم والإساءة إليهم.

فعلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها نساءً ورجالاً أن يحكموا كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ إذا طرأ نزاع بينهم لأي سبب من الأسباب وأن يرضوا بقبول حكم الله تعالى والخضوع له والنزول عنده إن أرادوا لأنفسهم سعادة في هذه الحياة.

★ ★ ★

الصلاة يمحو الله بها الخطايا

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات يبقى من درنه شيء؟» قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: «فكذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»[2]..

---

(١) ـ أخرجه مسلم (البر والصلة) ب٨ رقم ٢٦، وأبو داود (٤٩١٢) والبيهقي في «السنن» ٦٣/١٠، والمنذري في «الترغيب» ٤٥٦/٣، والتبريزي في «المشكاة» (٥٠٣٧)، وابن أبي حاتم في «علل الحديث» (٢٤٥٤) والهيثمي في «المجمع» ٦٧/٨، وابن عساكر ٤٤٦/٧.

(٢) ـ أخرجه البخاري ١٤١/١، ومسلم (مساجد) ٢٨٣ والترمذي (٢٨٦٨) والنسّائي ٢٣١/١ وأحمد ٣٧٩/٢ والدارمي ٢٦٧/١ والبيهقي في «السنن» ٣٦١/١ و٦٢/٣ و٢٨٦/٨ والبغوي في «شرح السنة» ١٧٥/٢ والتبريزي في «المشكاة» (٥٦٥).

وروى مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر»[1]..

أختي المسلمة: أعتقد أن المسلمين لم يفرطوا في شأن من شؤون دينهم كما فرطوا في الصلاة مع أن الله سبحانه شرع لها الأذان ولم يشرعه لشيء غيرها تذكيراً بها وتوجيهاً إليها وعلّمنا أن نسميها فلاحاً في الأذان وفي الإقامة فهي فلاح وظفر ونجاح ولم يضع الله سبحانه لعمل من الأعمال «الفلاح» غيرها وأمر نبيه ﷺ أن يأمر أهله بها تعليماً له ﷺ ولأمته قال الله سبحانه:

﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾ [طه: ١٣٢]..

وفي هذا زجر لمن يتكاسل عنها ويشغله طلب الكسب والسعي في جلب الرزق عن أن يتوهم أن ذلك يجدد له رزقاً أو يحقق له خيراً فقد تكفل سبحانه بالرزق، وكلف بالطاعة ولكن الناس يعكسون فيطلبون الرزق وهو لا يزيد على ما لهم، ويتركون الصلاة وفيها فلاحهم وهذا من عمى القلب وطمس البصيرة كما قال ابن عطاء السكندري: اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة فيك.

فإياكن أن تتبعن خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ومروا أولادكم بالصلاة لسبع سنين وأضربوهم عليها إذا بلغوا عشراً وإن هم لا يصلون فإنكم عنهم مسؤولون...

ولا تستهينوا بالصلاة فإنها مفتاح الرزق ونور القلب، وهي شيء يسير بالتعود ومن ذاق حلاوتها لم يفرط فيها أبداً، ومن تأمل ما في كتاب الله

---

(١) - أخرجه مسلم (الطهارة) ٢١٤ و١٥ و١٦ وابن ماجه (٥٩٨) والترمذي (٢١٤) وأحمد ٢/٣٥٩ و٤٠٠ و٤١٤ والبيهقي في «السنن» ٢/٤٦٦ و٤٦٧ و١٠/١٨٧ والطبراني في «الكبير» ٤/١٨٥ وأبو عوانة ٢/٢٠ والبغوي ١/٥١٥ و٣/٢٥٧ وفي «شرح السنة» ٢/١٧٧ وابن خزيمة (٣١٤) و(١٨١٤) والشجري في «الأمالي» ١/٢٧٠، والزبيدي في «الإتحاف» ٣/٩ و٤٨٢ و٨/٥٣٠ و٥٤٢ وابن عدي ٧/١٦٢٤ والطبري ١/٣٨٦ وابن كثير ١/٢١٩ و٤/٢٨٥، والتبريزي في «المشكاة» (٥٦٤) والبخاري في «التاريخ الكبير» ٦/١٤١.

الكريم من الحث عليها علم مكانتها ومنزلتها، ومن تتبع ذلك وجده كثيراً متعددا كقوله سبحانه:

﴿**وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إنَّ الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين**﴾ [هود:١١٤]...

وهذا مصداق الحديث الذي نحن بصدده «أرأيتم لو أنَّ نهراً على باب أحدكم..» ولهذا جاء في بعض الروايات أنّ النبي ﷺ بعد أن قاله قرأ هذه الآية الكريمة.

واقرئي قول الله سبحانه: ﴿**أتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**﴾ [العنكبوت:٤٥]..

فمن استعصى عليه أمر الرزق فعليه بالصلاة، ومن استعصت عليه النفس فعليه بالصلاة، واعلمي - أصلحك الله - أن الصلاة هي مفتاح الهداية كما قال سبحانه في أول كتابه وهو يعدد صفات المتقين ويبين أنهم هم المهتدون: ﴿**فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وممّا رزقناهم ينفقون**﴾ [البقرة:٢ و٣]..

وهكذا فتداركي أمرك أصلحك الله...

★ ★ ★

أقرب ما يكون العبد من ربه

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**».[1]

أختي المسلمة: إن من بين أركان الصلاة السجود، وهو وضع الجبهة

---

(١) ـ أخرجه مسلم (الصلاة) ٢١٥، وأبو داود (٨٧٥)، والنسائي ٢/٢٢٦، وأحمد ٢/٢٤١، والبيهقي في «السنن» ٢/١١٠، والمنذري في «الترغيب» ١٠/٢٤٩، وابن كثير ٨/٤٦١، والحافظ في «الفتح» ٢/٣٠٠ و١١/١٣٢، والتبريزي في «المشكاة» (٨٩٤)، والزبيدي في «الإتحاف» ٣/٢٠ و٥/٣٣، والطبراني في «الكبير» ١٠/٩٦، والهيثمي في «المجمع» ٢/١٢٧، وابن سعد ٢/٤٥.

على الأرض خضوعاً لله تعالى الذي خلق هذه الجبهة والذي خلق كل شيء فقدره تقديراً ومن أجل ذلك كان وضع الجبهة على الأرض في السجود يمثل أعلى حالات القرب من الله المعز المذل الذي يقول للشيء كن فيكون.

★ ★ ★

خروج المرأة إلى المسجد

عن ابن عمر رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا استأذنت أحدكُم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها»[1]..

أختي المسلمة: شرع الله تعالى للنساء مشاركة الرجال في العبادات الاجتماعية، كصلاة الجمعة والجماعة والعيدين، ولم يوجب عليهن ذلك تخفيفاً ورحمة، وها هو صلوات الله وسلامه عليه، في هذا الحديث ينهى الرجل أن يمنع امرأته من ارتياد المسجد، لصلاة الجماعة والجمعة والعيدين، وسماع الوعظ والإرشاد من الخطب التي تذاع في المناسبات، أو الدروس الدينية التي تلقى دائماً، في بيوت الله، ويخصص بعضها للسيدات وإذن فلا يجوز للرجل أن يحول بين امرأته وبين هذه الدروس ما دامت تخرج للمسجد محتشمة، وتلبس لباس الوقار، وتمشي في الطريق على استحياء وتعرف من دروس الدين التي تتلقاها في المسجد ما لها وما عليها من حقوق وواجبات، ويا حبذا لو عنيت وزارة الأوقاف بعمل مقصورات في المساجد لتشهد فيها السيدات الجمع والجماعات وتستمع إلى الخطب الدينية

---

(١) ـ أخرجه مسلم (الصلاة) ١٣٤، وأحمد ٢/٧، والبيهقي في «السنن» ٣/١٣٢ و٥/٢٢٤، والدارمي ١/١١٧ وعبد الرزاق (٥١٢٢) وابن خزيمة (١٦٧٧) والحميدي (٦١٢)، والنسائي (المساجد) ب ١٥، والتبريزي في «المشكاة» (١٠٥٩)، والحافظ في «الفتح» ٢/٣٥١.

وأخرجه بلفظ: «إذا استأذنكم نساؤكم بالليل إلى المسجد» البخاري ١/٢١٩ والبيهقي في «السنن» ٣/١٣٢ والبغوي في «شرح السنة» ٣/٤٤٠.

وأخرجه بلفظ: «إذا استأذنكم نساؤكم إلى المساجد..» أحمد ٢/١٤٣ و١٥٦، وابن أبي شيبة ٢/٣٨٧ ومسلم (الصلاة) ١٣٧ وغيرهم.

والمحاضرات التي تذاع في هذه المساجد، لتتلقى المرأة في الجامعة الإسلامية دروس الدين والفضيلة وتنقلب إلى بيتها معلمة لأبنائها ما تتعلمه في المسجد من دين وعلم وحكمة، ولا ينبغي للرجل المسلم أن يردَّ رغبة زوجته أو فتاته في المسجد، حيث تؤدي فرضها جماعة خلف صفوف الرجال فتفوز بثواب الجماعة، وتتعلم الحكمة والعلم من أصول الدين، ووظيفة كل من الرجل والمرأة في الحياة، وقد جعل الاسلام للمرأة حق الولاية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالرجال تماماً فقال تعالى:

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾ [التوبة: ٧١]..

فأثبت الله تعالى للمؤمنات الولاية المطلقة مع المؤمنين، وفرض عليهن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالرجال كما فرض عليهن طلب العلم فللمرأة حق القول والكتابة وإبداء الرأي والنقد الحر الصريح الشامل.. ها هو أمير المؤمنين يخطب على المنبر فينهى الناس عن التغالي في المهور تيسيراً للزواج، ويرى تفريجاً لأزمة الزواج أن يحدد المهر فلا يزيد على أربعمائة درهم، فاعترضت له امرأة من قريش، فقالت: أما سمعت يا عمر ما أنزل الله في كتابه: **﴿وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً﴾**[النساء: ٢٠] فقال: اللهم غفراً كل الناس أفقه من عمر.. وفي رواية قال: امرأة أصابت وأخطأ عمر وصعد المنبر وأعلن رجوعه عن قوله.

وهذا الحادث يشهد أن السيدات كن يحضرن الجمع والجماعات مع الرجال على عهد رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين، وكان المسجد الجامعة الكبرى للرجل والمرأة على السواء، وكان للمرأة ما للرجل في ميدان العلم والفقه في الدين، فتخرج من هذه الجامعة كثيرات من المعلمات الشاعرات والأديبات فاشترك النساء مع الرجل في اقتباس العلم بهداية الاسلام، فكان منهن راويات الأحاديث النبوية والمصنفات والمبرزات في فنون العلم المختلفة وقد سما الإسلام بالمرأة حين أنقذها من الظلم الذي كانت تعانيه في جميع جهات المعمورة قبل أن تشرق عليها شمس الاسلام سموا بلغ الغاية المثلى في الكمال، فأعطى المرأة حق الرأي والمشورة والإجارة فإذا أجارت حربيا

محكوماً عليه بالإعدام وشفعت له، أجاز الاسلام إجارتها وقبل حكمها وشفاعتها كما أنجز الرسول ﷺ إجارتها أم هانئ وقال قولته الخالدة التي جرت مجرى الأمثال «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ» وكان ذلك يوم فتح مكة كما جاء في الصحيحين أن أم هانئ رضي الله عنها قالت للنبيﷺ يوم فتح مكة: قد أجرت رجلين من أحمائي فقال ﷺ:

« قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ»(١)..

وفي بعض الروايات: أنّها أجارت رجلاً فأراد أخوها علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يقتله فشكته إلى النبي ﷺ فقبل شكايتها وأجاز جوارها، فالمرأة تأخذ الأمان للقوم المحاربين، وينفذ تأمينها لهم وعلى المسلمين ألا يردوه عليها اقتداء بصاحب الشرع ﷺ واحتراماً للمرأة المسلمة وتقديراً لشأنها، وجعل هذا حقاً من حقوقها السياسية في الإسلام، وهذه منحة لم يمنحها للمرأة أي دين غير الإسلام، والذي جعل المرأة نصف النوع، فلها حق الإيمان بالله واليوم الآخر والمبايعة كالرجل تماماً ولها حق العلم والحياة والرأي والتوجيه وغشيان المساجد والاشتراك في الصلاة وسماع الخطبة والعلم والعمل في حدود الحشمة والوقار وعدم الفتنة أو إظهار الزينة. وفي صدر الإسلام طلبت السيدات المؤمنات من رسول اللهﷺ أن يخصص لهن يوماً يسمعن فيه آيات الله والحكمة ويعلمن واجبهن في المجتمع الإنساني ليقمن به كما ينبغي فأجابهن رسول الله ﷺ إلى ما طلبن وحدد لهن يوماً خاصاً يلقاهن فيه فيعظهن ويأمرهنّ ويعلمهن...

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «قال النساء للنبيﷺ: غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك! فوعدهن يوماً لقيهن فيه،

---

(١) ـ أخرجه البخاري ١/١٠٠ و٤/١٢٢ و٨/٤٦، ومسلم (صلاة المسافرين) ٨٢ وأبو داود (٢٧٦٣) وأحمد ٦/٣٤١ و٣٤٢ و٣٤٣ و٤٢٤ و٤٢٥ والبيهقي في «السنن» ٩/٩٥، والحاكم ٤/٤٥ و٥٣، وسعيد بن منصور (٢٦١٢) ومالك في «الموطأ» (١٥٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٥/٨١ والدولابي في «الكنى والأسماء» ٢/٨٢، والطبراني في «الصغير» ٢/٦٧، وابن عساكر ٤/١٠ وابن سعد ٢/١/٦٣ و١٠٤، وابن كثير في «البداية» ٤/٢٨١ و٣٠٠ وابن عدي ٧/٢٠١٨ وابن الجارود في «المنتقى» (١٠٥٥) والدارمي ٢/٢٣٥ وعبد الرزاق (٩٤٣٨).

فوعظهن وأمرهن»[1]..

وقالت عائشة رضي الله عنها: «نِعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»..

فالفقه في الدين وعلوم الدين ليس وقفاً على الرجال في الإسلام، بل هو على الشيوع قسمة بين الرجال والنساء على السواء فليأخذ كل على قدر استعداده، وما يفتح الله عليه به، والعلم نور الله يضعه في قلب من شاء مساواة الرجل، أو حتى التفوق عليه، أن تؤدي رسالتها في حق الولاية من طريق النشر، أو الإذاعة أو الكتابة في الصحف السيارة باعتبارها المنبر العام كما لها الحق في أن تذهب يوم الجمعة إلى المسجد الذي تختاره لتستمع إلى الخطبة وتسترشد بدرس الأسبوع بشرط إذن الزوج لها، وأن يكون المسجد من المساجد التي أعدّ فيها مكان خاص للنساء، وأن تكون غير سافرة ولا متبرجة ولا مخشية الفتنة، وجعل لها ما للرجل حتى في الآخرة ودرجاتها العليا فقال تعالى:

﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيبة ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ [النحل:٩٧]..

★ ★ ★

كيف تخرجين إلى صلاة العيد

عن أم عطية رضي الله عنها قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن في الفطر والأضحى العواتق والحيض وذوات الخدور، فأما الحُيَّض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين قلت: يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب؟ قال:

«لتلبسها أختها من جلبابها»[2]..

---

(١) ـ أخرجه البخاري وقد سبق تخريجه.

(٢) ـ أخرجه البخاري ٨٨/١ و٩٩ و٦٧/٢ و١٩٦، ومسلم (العيدين) ب ١ رقم ١٢، وابن ماجه (١٣٠٧) وأحمد ٨٥/٥، والحميدي (٣٦١) والبيهقي في «السنن» ٣٠٦/٣=

أختي المسلمة: راوية هذا الحديث أم عطية الأنصارية واسمها نسيبة بنت الحارث كانت من كبار نساء الصحابة وكانت تغسل الموتى وتغزو مع رسول الله ﷺ رضي الله عنها.

ومعنى العواتق جمع عاتق، وهي الشابة أول ما تدرك وقيل التي قاربت البلوغ.

والحُيّض جمع حائض وهي التي نزل منها الدم المعروف.

والخدور جمع خِدر ـ بكسر الخاء ـ وهو الناحية في البيت كان يجعل عليها ستر فتكون فيه الجارية البكر فذات الخِدر الجارية البكر.

وهذا الحديث يقضي بإخراج النساء يوم العيدين إلى المصلى احتفالاً بهذا اليوم لما فيه من البركات والنفحات، ولا فرق بين البكر والثيب والشابة والعجوز والحائض والطاهرة ويستثنى من ذلك المعتدة من طلاق أو وفاة، وذات العذر المانع، ومن يترتب على خروجها فتنة كما في نساء هذا الزمن اللاتي يخرجن متبرجات بالزينة. وللعلماء في هذا الموضوع كلام كثير وخلاف طويل يناسب الإشارة إليه ليعمل كل مكلف بما يناسبه من أقوال العلماء.

قال بعض العلماء من الشافعية والحنابلة إن خروجهن مستحب لنيل هذه البركات عملاً بمختلف الروايات من الأحاديث الثابتة..

وجمهور العلماء على التفرقة بين الشابة والعجوز فأجازوه للعجوز فقط وهو خلاف ظاهر الأحاديث وعمل السلف الأولين إلاّ إذا كان يترتب على خروج الشابة فتنة والواقع أن هذا معنى تستوي فيه الشابة والعجوز فربَّ شابة متسترة أو غير مغرية ورب عجوز بالعكس.

ومن العلماء من أطلق القول بالكراهة، وهو قول مالك وأبي يوسف كما نقله الشوكاني، وهو مروي عن الثوري وابن المبارك وغيرهما وادعى بعضهم أنه كان في صدر الاسلام ثم نسخ ولكن لا دليل على ذلك، وصرح بعض السلف بأن من الحق على المرأة أن تخرج في العيدين، وحكاه

= وابن خزيمة (١٤٦٦)، والتبريزي في «المشكاة» (١٤٣١) وأبو حنيفة في «المسند» (٥٩)، والشيخ في «الصحيحة» ٢/١٥٢ وغيرهم.

القاضي عياض عن أبي بكر وعلي وابن عمر.

وروى ابن أبي شيبة عن أبي بكر وعلي أنهما قالا: حق على كل ذات نطاق الخروج إلى العيدين، ولعل هذا أقرب إلى معاني الأحاديث، والواقع أنه لم يمكن أن يكون هناك خلاف في أن المرأة إذا ترتب على خروجها فتنة للرجال فهو ممنوع في كل زمان ومكان لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح قولاً واحداً فلينظر المسلمون فيما صار إليه حال المرأة اليوم، وما كان أحق أن تعلم المرأة دينها وأن توجه التوجيه السليم لتستقيم ويستقيم المجتمع في ظل استقامتها، وصدق رسول الله ﷺ: «ما تركت فتنة بعدي أضر على الرجال من النساء»[1]..

وقد بينت أم عطية أن الحائض كانت تمنع من دخول المصلى ولكنها تشارك فيما عدا ذلك من سماع المواعظ والاشتراك في الأدعية المستجابة في هذا اليوم إن شاء الله فإن لله سبحانه نفحات في أيام الدهر ومنحا أيام العيد فليقدر المسلمون ذلك المعنى وليقبلوا على الله في هذه الأيام بالتكبير المشروع والذكر والمحافظة على الصلاة وعدم التشاغل عنها بالزيارة فإن الزيارة صلة فهي قربة لله ولا يصح أن تكون شاغلاً عن الصلاة وما أفظع ما قلب المسلمون أوضاع الدين وتوجيهاته فاتخذوها لهواً ولعباً ولا حول ولا قوة إلاّ بالله...

أما كيفية الخروج إلى العيد، فعن علي كرم الله وجهه قال: من السنّة أن يَخْرُجَ إلى العيد ماشياً وأن يأكل قبل أن يخرج..

يدل حديث علي رضي الله عنه على السنّة وهو أن يخرج المصلي إلى صلاة العيد ماشياً إن استطاع ذلك وقد ورد في ذلك عدة أحاديث وفي بعض الروايات زيادة أنه كان يرجع من طريق غير الذي خرج منه، ولها قال الفقهاء

---

(١) ـ أخرجه البخاري ١١/٧، ومسلم (الذكر والدعاء) ب ٢٦ رقم ٩٧ و٩٨، والترمذي (٢٧٨٠) و(٢٧٨١)، وأحمد ٢٠٠/٥، والبيهقي في «السنن» ٩١/٧، والطبراني في «الكبير» ١٣٣/١ وعبد الرزاق (٢٠٦٠٨) والزبيدي في «الإتحاف» ٤٣٣/٧، والتبريزي في «المشكاة» (٣٠٨٥) وابن عساكر ٣٩٥/٢ والخطيب ٣٢٩/١٢ وأبو نعيم في «الحلية» ٣٥/٣، وابن أبي شيبة ٦٥/١٥ وابن كثير ١٣٩/٥، والسيوطي في «الدر المنثور» ١٨٠/٤، والهندي في «الكنز» (٤٤٥٠٣).

باستحباب المخالفة بين طريق الخروج والعودة إن تيسر ذلك، وأما الأكل قبل الخروج إلى الصلاة فهو خاص بعيد الفطر المسارعة إلى قبول ضيافة الله سبحانه بعد الخروج من الصوم، لكن في عيد الأضحى السنة الأكل بعد الصلاة والذبح حتى يأكل الرجل من أضحيته إن كان مضحياً.

وكل ذلك يتساوى فيه الرجل والمرأة على السواء..

روى ابن ماجه وغيره أن النبي ﷺ «كان لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل ولا يأكل يوم الأضحى حتى يرجع ـ فيأكل من أضحيته ـ»[1]

قال ابن المنير: وقع أكله ﷺ في كل من العيدين في الوقت المشروع لإخراج صدقتهما الخاصة بهما فإخراج صدقة الفطر قبل الذهاب إلى المصلى، وإخراج صدقة الأضحى بعد ذبحها وهو توجيه لطيف حسن.

★ ★ ★

الصدقة واجبة على المرأة والرجل على السواء

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تصدق بعدل ثمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلاّ الطيب فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها، كما يربي أحدكم فلوه حتى تصير مثل الجبل»[2]

الفلو، بكسر الفاء المجمعة وسكون اللام، هو المهر الذي يعتز به صاحبه ويحسن تعهده وتربيته...

(١) ـ أخرجه البخاري ٢/٢١، وأحمد ٥/٣٥٣، وابن ماجه (١٧٥٥) والبيهقي في «السنن» ٣/٨٢٢ و٢٨٣، والزبيدي في «الإتحاف» ٣/٤٨٠ والتبريزي في «المشكاة» (١٤٣٣) والبغوي في «شرح السنة» ٤/٣٠٦ والحافظ في «تغليق التعليق» (٣٧٩) والشجري في «الأمالي» ٢/٤٩.

(٢) ـ أخرجه البخاري ٢/١٣٤ و٩/١٥٤، وأحمد ٢/٣٣١، والبيهقي في «السنن» ٤/١٧٧ و١٩٠، والمنذري في «الترغيب» ٢/٣، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٢٥)، والعلي الغفاري في «مختصر العلو» (٨٦)، وابن كثير ١/٤٨٧، والزبيدي في «الإتحاف» ٤/١٢٦ و١٤٦ و١٦٥ والألباني في «إرواء الغليل» ٣/٣٩٣، والسيوطي في «الدر المنثور» ١/٣٦٥.

وهذا الحديث الشريف يعطي أمرين: الأول منهما: أنَّ الكسب الطيب الحلال هو المقبول في الصدقات عند الله رب العالمين والأمر الآخر هو حسن الجزاء على هذه الصدقة الحلال وأن الله يربي هذا الثوب وينميه لمتصدق حتى يكون من الكبر والضخامة مثل الجبل.

الناس في هذه الحياة الدنيا يختلفون اختلافاً كبيراً في اليسر والعسر وفي الغنى والفقر وفي القوة والضعف وفي اتساع الحيلة ثمرة لكبر العقل والقدرة على كسب المال، وفي ضيق النفس وفقدان الحيلة مما يترتب عليه العوز والفقر والاحتياج ولله في خلقه شئون، من أجل ذلك رغب الشارع الحكيم في الصدقة والبذل وتقدم العون للمحتاجين إليه من المؤمنين وغيرهم من سائر البشر فإن الناس جميعاً لآدم فهم من حيث النسب والأصل ينتسبون إلى أب واحد وإلى أم واحدة ورحم الله القائل:

الناس من جهة التمثيل أكفاء أبوهم آدم والأم حواء

ويقول الله رب العالمين: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا..**﴾[الحجرات:١٣].. نعم إن التعارف بين الناس يجلب المودة ويحمل على الإحسان والبر، أما التناكر والخلاف والبغضاء فإن ذلك سبب الجفاء وأصل العناء والتقاطع والبلاء ولا يستقيم أمر الناس في دنياهم إلا في ظلال الود والتعارف والتعاطف والتعاون مهما تناءت أوطانهم واختلفت لغاتهم وتباعدت ديارهم، والعنصريات التي تحمل الناس على الفرقة والتباغض لا يصح أبداً التمكين لها من النفس البشرية لأن التمكين لها من تلك النفس يسوق إلى الكبر والقطيعة وهما مهب الشقاء في دنيا البشر، والصدقة إلى المحتاجين إليها عنوان المرحمة بين الناس وأصل الفضائل وقد جعل الله عز وجل لها هذا الثواب الجزيل وإنه لن يضيع بين الله والناس عامل له في التقى أو في الفضائل والمحامد سوق رائجة وعمل مبرور مشكور، وإذا كان الإنسان يستثمر ماله من أجل النمو والزيادة استثماراً تجارياً مع بني جنسه فإن استثمار هذا المال عن طريق التصدق منه أزكى وأجزل وأكمل وأفضل قال تعالى:

﴿**مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء**﴾..[البقرة:٢٦١]

ومن هنا قال العلماء: إن بخل البخيل عن التصدق سوء ظن بوعد الله تعالى فإنه لو كان مؤمناً صادق الإيمان بوعد الله تعالى في الخلف أو في مضاعفة العطاء عند التصدق لما بخل بالصدقة ولكانت معاملته مع الله تعالى في مقدمة التعامل ثقة في وعده وانتظاراً لحسن العطاء والخلف منه سبحانه وتعالى وهو عز وجل لا يضيع أجر من أحسن عملاً وهو القائل أيضاً:

﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾..[سبأ: ٣٩]

إن الإيمان الصادق الصحيح وحسن الظن في الله تعالى صاحب هذه الدنيا الذي بيده مقاليد الأمور كلها يسوق إلى فعل الخير ولا سيما في أبواب البذل والصدقة عند الحاجة إلى البذل والدقة والله تعالى في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه وصدق الله العظيم حيث يقول لنبيه الصادق الأمين: ﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً﴾..[الأنفال: ٧٠]

★ ★ ★

كيف تنفق المرأة من مال زوجها

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها، غير مُفْسِدَة كان لها أجرها بما أنفقت، ولزوجها أجْرُهُ بما كسب، وللخازن مثل ذلك، لا ينقص بعضهم أجْر بعض شيئاً»[1]..

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا أنفقت المرأة من كسب زوجها عن غير أمره فلها نصف أجره»[2]

---

(١) ـ أخرجه البخاري (١٤٢٥) و(١٤٣٧) و(١٤٣٩) و(١٤٤٠) و(١٤٤١) و(٢٠٦٥)، ومسلم (الزكاة) ٨٠، وأحمد ٤٤/٦ و٢٧٨، والبيهقي في «السنن» ١٩٢/٤، والزبيدي في «الإتحاف» ٤٠٥/٥.

(٢) ـ أخرجه البخاري (٢٠٦٦) و(٥١٩٢) و(٥١٩٣) و(٥٣٦٠)، والنسائي (الزكاة) ٤٧، وأبو داود (١٦٨٧)، وعبد الرزاق (٧٢٧٢) و(١٦٦١٩)، والتبريزي في «المشكاة» (١٩٤٨)، والهندي في «الكنز» (٤٥١٢٤)

وأخرجه بلفظ: «إذا أنفقت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة..» البخاري ١٣٩/٢، =

أختي المسلمة: ندب صاحب الشرع ﷺ المرأة المسلمة إلى الإنفاق من طعام زوجها غير مفسدة ولا مسرفة بل في حدود الاعتدال والمعروف وبما يتفق وحالة الزوج، وأعطاها في سبيل الصدقة باعتباره كاسباً لهذا الطعام والمتاع ومالكاً له على الحقيقة أجر المتصدقين في سبيل الله المضاعف لهم في الجزاء أضعافاً مضاعفة من غير أن ينقص من أجر زوجته شيئاً. فتفضل سبحانه وتعالى فأعطى كلاً من الزوج والزوجة أجراً كاملاً، فلم يوزع الثواب بينهما مناصفة، وإنما أعطى لكل منهما ثواب الصدقة كاملاً والله واسع عليم، وكذلك الخازن الأمين على المال أو مخزن الحبوب أو الطعام، الموكل من قبل المالك بتصريفه على الوجه الذي أذن له به، إذا أدى هذا الخازن وظيفته بأمانة، وأسرع إلى إعانة الملهوفين، فصرف لهم ما أذن له فيه، كاملاً غير منقوص وطيبة به نفسه، فإن له أجراً كأجر صاحب المال لا ينقص أجر بعضهم من بعض شيئاً، بل يعطي الله لكل منهما جزاء المتصدقين في سبيل الله كاملاً غير منقوص والله تعالى يعطي بغير حساب، وكل معونة تقدمها الزوجة أو الخازن في حدود العرف والمألوف، ولو كان غير طعام، فإن لهما من الأجر على هذه المعاونة المشروعة، مثل ما للزوج وإن كان كاسباً للمال ومثل ما للمالك، وإن كان خليقاً بالجزاء الأوفى من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئاً فلا يطغى طرف على طرف بل الجميع في ساحة البر والخير سواء، فللمرأة إن كان عندها من الملابس ما يزيد عن حاجتها ورأت عارياً فكسته بشيء من ثيابها فلها أجر من ستر مسلماً ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، وللزوج باعتباره هو الذي اكتسب المال الذي اشترى به هذا الثوب الذي سترت به عورة مسلم، ثواباً مثل ذلك، ومن يسَّرَ على معسر يسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة، وكذلك الخازن مع صاحب المخزن تماماً والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه. ويرى الإسلام التعاون بين المؤمنين على البر والتقوى دائماً والبر باب واسع كالخير لا حد له، ولما كان إطعام الطعام، وإغاثة الجائع والمحروم من الأمور التي

= ومسلم (الزكاة) ٨١، وابن ماجه (٢٢٩٤)، وأبو داود (١٦٨٥)، وأحمد ٦/٤٤، وعبد الرزاق (٧٢٧٥)، والبغوي في «شرح السنة» ٢/٥٩، والحميدي (٢٧٦)، وابن أبي شيبة ٦/٥٨٢، والألباني في «الصحيحة» (٧٣٠) و(٧٣١).

يجب أن يعاون فيها الناس بعضهم بعضاً لأنها أمس من غيرها من الحاجات وأكثرها، وكانت المرأة تملك من شؤون البيت الهيمنة على الطعام الذي به قوام حياة أسرتها وكانت أمينة عليه أمانة الخازن على ما في المخزن، وموكلة في تصريفه على ما جرى عليه العرف بين الناس، خص أحكم الخلق ﷺ النفقة من طعام بيتها لمزيد مدخلية المرأة ووظيفتها في الطعام، وإلاّ فالإسلام يرغّب الجميع إلى التعاون التام في كل مرافق الحياة كتعاون الأخوة، ويذكر مثلاً من الماعون الذي يجب ألاّ يمنع بين المسلمين، وذلك كطلب الجائع كسرة من الخبز يسد بها رمقه أو شربة من الماء يطفئ بها ظمأه، أو طلب الجار من جاره، شيئاً من الملح يصلح به طعامه، أو بعض الأواني يستعملها في مناسبة، أو خميرة تطلبها المرأة من أختها لتخمر بها عيشها، كل هذه أمور قد تبدو تافهة ولكنها تعظم في الأجر حتى إنه لقد وردت الآثار الكثيرة التي تعطي من عاون جاره الفقير بشيء من هذا أجراً بمقدار الطعام الذي أصلحه الملح أو بمقدار الطعام الذي طبخ في القدر الذي عاونته به، أو بمقدار الخبز الذي خبز بالخميرة التي عاونت بها المرأة جارتها مهما كان كثيراً فكأنها تصدقت في سبيل الله بمقدار ذلك الخبز الذي أصلحته الخميرة، فلها أجره كاملاً، وللزوج مثل أجرها من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. وهذا الحديث يعتبر تفويضاً للمرأة بأن تنفق من مال زوجها على ما يصلحها ويصلح بنيها وأسرتها المنوطة بها في بيت الزوجية المعروف، وبما يتسع له رزق زوجها من غير إسراف ولا تقتير، ولها أيضاً أن تطعم المحروم، والجائع، والمسكين، بما جرى به العرف وبما لا يضر بحال زوجها المالي، ولا تسمح المروءة الإسلامية بأن تمنع المرأة ما اعتاد الناس أن يتقارضوه من بعضهم البعض، من طعام، أو ملح، أو أوانٍ، أو خميرة، أو متاع ما بحسب العرف والمعتاد، ويقول بعض العلماء: إنّ هذا من حق الزوجة، ولو لم يأذن لها الزوج في ذلك لأن منع مثل هذه الأمور التي تمس الحاجة إليها ولا بد من تبادلها بين الناس بعضهم بعضاً وبخاصة القاطنين في منزل واحد والجار الجنب والجار ذي القربى ومن إليهم ـ يدخل في عموم قوله تعالى: ﴿ويمنعون الماعون﴾ [الماعون:٧] وبعض العلماء يقول: ـ لا بد من استئذان الزوج وصاحب الملك فليس للزوجة أن تتصرف في مال زوجها أو متاعه إلاّ بإذنه،

وليس للخازن، أن يتصرف في شيء مما تحت يده إلاّ بإذن صاحب الملك ـ عملاً بقول النبي ﷺ: «لا يحل مال امرئ مسلم إلاّ عن طيب نفس منه»[1].

ويتوسط بعض العلماء فيقول: لا بد من الإذن في الأمور التي يسوغ الشرع منعها، أما في متاع البيت، وما اعتاد الناس أن يعاون فيه بعضهم بعضاً، وليس من المروءة منعه ولا يتفق وسماحة الإسلام أمثال ما ذكرنا من الملح والماء والقدر، فلا يحتاج ذلك إلى الإذن من زوج أو مالك، لأن الإذن العام من صاحب الشرع ﷺ بل الأمر منه صلوات الله وسلامه عليه موجه إلى كل مسلم ومسلمة، وفي هذا الحديث الذي نحن بسبيله ما يشير إلى هذا المعنى حديث ترغيب النبي ﷺ المرأة بأن تنفق في سبيل الله من طعام بيتها، ومثل الطعام، أدواته ووسائله من باب أولى وأعطى كلاً من الزوجة المتصدقة والزوج الكاسب للمتصدق به ثواباً عظيماً كاملا، وفي هذا توجيه لهما معاً إلى التعاون على البر وكسب هذا الأجر، فإن شحت نفس أحدهما بهذا فعلى الثاني أن يذكره بشكر النعمة، وبأن أقل مراتبه هذا التعاون وبالإنذار الشديد الذي وصف به أصحاب الويل بأنهم يمنعون الماعون والماعون كل ما يستعان به، فإن كان الزوج هو الذي منع وشح وهدد زوجته إن هي أنفقت أو تصدقت أو تصرفت في شيء ما، تكون مستعدية فعلى الزوجة الامتثال، بعد النصح والتوجيه الحكيم لما يجب أن يكون عليه المؤمنون الصادقون من السماحة وعلو الهمة، والمروءة ومكارم الأخلاق ويكون الزوج والحالة هذه هو الذي حرم نفسه وزوجته من أجر الصدق وثواب الإحسان، ومقام الشكر، وإن كان الزوج سمحاً كريماً يحب من زوجته أن تطعم وتأسو وتعاون وتعين، ولكنها زوجة بخيلة، لا تستجيب لهذا الحب ولا لهذا الإذن الكريم فبخلت وأمرته بالبخل فقد حرمت نفسها من الخير والبر والشكر، أما هو فله ثواب نيته، وأجر فضيلة السماحة فيه وإنما الأعمال بالنيات.

---

(١) ـ أخرجه الإمام أحمد ٥/٧٢، والبيهقي في «السنن» ٦/١٠٠ و٨/١٨٢، والدارقطني ٣/٢٦، والهيثمي في «المجمع» ٤/١٧٢، والحافظ في «تلخيص الحبير» ٣/٤٥، والشيخ في «الإرواء» ٥/٢٧٩ و٦/١٨٠، وابن عبد البر في «التمهيد» ١/٢٠٢، والهندي في «الكنز» (٣٩٧).

وكثيراً ما تقع منازعات بين الزوجين، بسبب من هذا القبيل مما يضطر أحدهما وخصوصاً الزوجة إلى عدم التقيد بغرض صاحبه، ولقد سألت هند امرأة أبي سفيان رسول الله ﷺ في ذلك فقالت يا رسول الله إنَّ أبا سفيان رجل شحيح فهل عليَّ جناح أن آخذ من ماله سراً، فقال: «خذي ما يكفيك أنت وبنيك بالمعروف»[1]

وفي حديث بيعة النساء لما قال النبي ﷺ: «ولا يسرقن» قالت هند: إنَّ أبا سفيان رجل شحيح وإني أصبت من ماله هنات، فلا أدري أيحل لي أم لا؟ فقال أبو سفيان: ما أصبت من شيء فيما مضى فهو لك حلال، فضحك رسول الله ﷺ..

والأخذ بالمعروف معناه الاعتدال في الأخذ بحسب حال الزوج ورزقه اتساعاً وضيقاً وبحسب المعتاد المألوف بين الناس بحيث لا ينكره العقلاء منهم، ومن هنا اشترط النبي ﷺ أن تكون المرأة في هذا الإنفاق غير مفسدة يعني متجاوزة الحد الذي يطيقه الزوج ويجب عليها أن تنظر إلى حاله، وتوازن أبواب ميزانيته وتسلك سبيلاً وسطاً يرضيه ويرتاح له ليضاعف الله لها وله الأجر كما ضاعف للخازن وصاحب المخزن في الأجر وأشركهما فيه بسابغ فضله من غير أن ينقص بعضهم أجر بعض شيئاً.

وليس لهذا الإنفاق حد محدود بل هو يختلف باختلاف الناس وبحسب أرزاقهم، وبيئتهم، وأدب الإسلام يدعو الجميع زوجاً وزوجة وخازناً ومالكاً أن يتعاونوا على البر والتقوى كل فيما هو بسبيله، وفي حدود

---

(١) ـ أخرجه البخاري (٢٢١١) و(٢٤٦٠) و(٣٨٢٥) و(٥٣٥٩) و(٥٣٦٤) و(٥٣٧٠) و(٦٦٤١) و(٧١٦١) و(٧١٨٠)، والنسائي ٢٤٧/٨ وابن ماجه (٢٢٩٣)، وأحمد ٣٩/٦ و٥٠ و٢٠٦، والدارمي ١٥٩/٢، والبيهقي في «السنن» ٤٦٦/٧ و٤٧٧ و١٤١/١٠ و٢٧٠، والشافعي (٢٦٦) و(٢٨٨)، والحميدي (٢٤٢)، والحافظ في «تغليق التعليق» (٧٧٠) والشيخ في «الإرواء» ٢٢٧/٧، والساعاتي في «بدائع المنن» (١٧٢٤)، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٣٣٨/٢ و٣٣٩، والتبريزي في «المشكاة» (٣٢٤٢) والحافظ في «تلخيص الحبير» ٩٤/٣ و٥٢/٤، والبغوي في «شرح السنة» ٢٠٤/٨ و٣٢٧/٩، وابن سعد ١٧٢/٨، وابن أبي شيبة ٥٨٤/٦، وابن عساكر ٤٠٩/٦، وأبو داود (٣٥٣٢)، وابن الجارود في «المنتقى» (١٠٢٥).

ما شرع لهم..

والإنفاق كالسيل كلما زاد مدده، ازداد مده والله يعطي بغير حساب والله شاكر عليم، فعلى المسلمين أن يتأدبوا بهذا الأدب الإسلامي الخالد، وأن يتعاونوا على البر والتقوى ولا يتعاونوا على الإثم والعدوان. وإن التاريخ ليحدثنا في إعجاب عن موقف امرأة أعرابية مسلمة مع ابن عباس رضي الله عنهما وقد حج بالناس لما حصر عثمان رضي الله عنه، فنزل ذات يوم منزلاً، وطلب من غلمانه طعاماً، فلم يجدوا شيئاً، فقال: اذهبوا في هذه البرية لعلكم تجدون راعياً أو خيمة فيها لبن أو خبز، فمضوا حتى وقفوا على عجوز في فناء خبائها فسلّموا عليها وقالوا لها: أعندك طعام نبتاعه؟ فقالت: أما للبيع فلا، ولكن عندي ما يكفيني أنا وأبنائي، قالوا: وأين بنوك؟ قالت: في مرعى لهم وهذا أوان أوبتهم، فقالوا: وما أعددت لهم، قالت: خبزة تحت هذا الرماد الحار، قالوا: جودي لنا بشطرها، قالت: أما الشطر فلا أجود به وأما الكل فخذوه، فقالوا: تمنعين النصف، وتجودين بالكل؟ قالت: نعم، لأن إعطاء النصف نقيصة وإعطاء الكل فضيلة، فأنا أمنع ما يضعني، وأمنح ما يرفعني، وأعطتهم الخبزة، و لم تسألهم من هم ولا من أين جاءوا؟ فرجعوا إلى ابن عباس وأخبروه بخبر المرأة العجوز فعجب منها وقال: احملوها إلي الساعة، فعادوا إليها وقالوا لها: إنَّ صاحبنا يريد أن يراك، قالت: ومن صاحبكم؟ قالوا:عبد الله بن عباس، قالت: وأبيكم هذا هو الشرف الأعلى وماذا يريد مني؟ قالوا: يريد إكرامك ومكافأتك، قالت: والله لو كان ما فعلته معروفاً ما كنت لآخذ عنه بدلاً، فكيف وهو شيء يجب أن يشارك فيه بعض الناس بعضاً، فألحوا عليها حتى ذهبوا بها، فلما وصلت إليه سلمت، فرد عليها السلام وقرب مجلسها ثم قال: ممن أنت يا خالة؟ فقالت: من قبيلة بني كلب. قال: وكيف حالك، فقالت: آكل الخبز المليل ـ أي ما أنضج تحت النار والرماد الحار ـ وأكتفي منه بالقليل، وأشرب الماء من عين صافية وأبيت ونفسي من الهموم خالية، فازداد منها استغراباً ثم قال: لو جاء بنوك الآن وهم جياع فماذا كنت تصنعين؟ فقالت: يا هذا لقد عظمت عندك خبزتي حتى أكثرت فيها الكلام فلو أشغلت فكرك عن هذا فإنه يفسد المروءة، فقال لغلمانه: أحضروا لي أولادها، فأحضروهم، فأدناهم منه وقال: إني لم أدعكم

وأمكم لمكروه، وإنما أحب مساعدتكم بمال، فقالوا: نحن في كفاف من الرزق والحمد لله فوجّه مالك لمن يستحقه، فقال: لا بد أن يكون لي عندكم شيء تذكرونني به وأمر لهم بعشرة آلاف درهم وعشرين ناقة مع فحلها، فقالت العجوز: ليقل فيه كل واحد منكم بيتاً من الشعر وأنا أتبعكم..

فقال الأكبر:

شهدت لك اليوم بالمكرمات ... وطيب الفعال وصدق الخبر

وقال الأوسط:

تبرعت بالجود قبل السؤال ... فقال كريم عظيم الخطر

وقال الأصغر:

وحق لمن كان ذا فعله ... أن يسترق رقاب البشر

فقالت العجوز:

فعمّرك الله من ماجد ... ووقيت كل الردى والضرر

★ ★ ★

بذل الأموال في سبيل الله

عن زيد بن خالد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا»..[1]

أختي المسلمة: إن هذا الدين دين التعاون على الخير، ومثل المسلمين كمثل الجسد الواحد يتجاوب بعضه مع بعض ويحس كل عضو منه بإحساس الآخر، والله سبحانه يقول في كتابه الكريم: ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله**﴾ [التوبة: ٧١] ورحمة

(١) ـ أخرجه النسائي ٤٦/٦، وأحمد ١٩٣/٥، والحافظ في «تلخيص الحبير» ٨٩/٤، والحميدي (٨١٨)، والترمذي (١٦٢٩)، والمنذري في «الترغيب» ٢/ ٢٥٤.
وأخرجه البخاري ٣٢/٤، ومسلم (الإمارة) ١٣٥، و١٣٦، والبيهقي في «السنن» ٢٤٠/٤ و٢٨/٩ و٤٧ و١٧٢، والحاكم ٨٢/٢، والطبراني في «الكبير» ٢٨٠/٥=

الله سبحانه ورضاه هي خير ما ترجوه وتتمناه.

وهي لمن جمع معاني الولاية للمؤمنين فلم يتخذ منهم عدداً و لم يقصر في قضاء حق ولا آثر الدنيا والهوى على خير يقدمه لأخيه.

أختي المسلمة: لقد كفل الله سبحانه الرحمة للمتعاونين على الخير والمشجعين على البر، وجعل بفضله لمن يشجع على الخير والبر مثل أجر فاعله كما جعل لمن سن سنة حسنة ونبه إلى فضيلة ومكرمة أجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

وفي هذا الحديث الشريف أن من جهز الغازي في سبيل الله واشترك معه فيما يستعد به لقتال الظالمين ومقاومة المجرمين فإن ذلك الإنسان الكريم يعده الله سبحانه وتعالى من المجاهدين لأنه يسر مهمة الجهاد لطرد المجرم ومقاومة المعتدي الغاشم.

فليكن كل من قدم للمجاهد قطرة أو قطرات من دمه وبذلها لتعويض ما فقد من صحته له أجر ذلك المجاهد لأنه أعانه على مهمته وشجع إخوانه الآخرين كلا على تضحيته، ذلك لأن من علم أن وراءه قلوباً كريمة ونفوساً رحيمة وجد حلاوة التضحية ولمس لذة الجهاد ومضاعفته، فرعى الله نفس كل إنسان عرف السبيل إلى البر والإحسان، إن الله يحب المحسنين.

★ ★ ★

الشهر الذي يحط فيه الخطايا

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوما وحضر رمضان: «أتاكم رمضان شهر بركة، يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب الدعاء، ينظر الله عز وجل إلى تنافسكم فيه ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيرا فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل»[1]...

= و٢٨٢، والبغوي في «شرح السنة» ١٠/٣٥٩ و١١/١٨.

(١) ـ أخرجه بهذا اللفظ الهيثمي في «المجمع» ٣/١٤٢، والسيوطي في «الدر المنثور» =

أختي المسلمة: يقول الصادق المصدوق ﷺ معلما ومبيناً لمزايا شهر الصوم: «أتاكم رمضان شهر بركة»، يشرح الرسول الكريم ﷺ مزية هذا الشهر العظيم من أنه بركة وخير وإحسان ورضوان من الله تعالى صاحب هذه الدنيا التي تعيش فيها الكائنات على اختلاف اجناسها وأشكالها وألوانها، ثم وضح ﷺ هذه البركة وما تنطوي عليه من المعاني فقال: يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب الدعاء، أمور ثلاثة هي أقصى ما يتمناه المتمني وتشتاق اليه نفوس الأحرار الأخيار الأبرار من الناس، وهي نزول الرحمة، ويراد منها الإحسان والكرم من الله سبحانه وتعالى.

وثانيها، حط الخطايا وإزالتها، حيث إن الصوم يحمل الصائمين المنيبين إلى الله عز وجل على التوبة والإخلاص والإقبال عليه سبحانه وتعالى وبهذا تمسح الخطايا وتغفر السيئات.

وثالثها، استجابة الدعاء حيث إن النفس صفت وأقبلت على المنعم الوهاب جل جلاله وعز سلطانه.

والمعنى إجمالاً، أن الله سبحانه وتعالى يتجلى على عباده الصائمين في هذا الشهر الكريم فينزل الرحمة والإحسان ويعطيهم الخير والرضوان، ثم يحط الخطايا عن التائبين المنيبين المقبلين عليه سبحانه وتعالى، وكما يحط عنهم تلك الخطايا يستجيب دعاءهم ويحقق رجاءهم ويمكن لهم في شؤون دينهم ودنياهم ويجعلهم ممن صلحت أحوالهم باستقامة أعمالهم.

* * *

الصوم مكفر لصغائر الذنوب وكبائرها

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُرَغّبُ في قيام

= ١/١٨٨.

وأخرجه بألفاظ متقاربة النسائي ٤/١٢٩، والتبريزي في «المشكاة» (١٩٦٢)، والمنذري في «الترغيب» ٢/٩٩، والهندي في «الكنز» (٢٣٦٦١) و(٢٣٦٩١) و(٢٣٦٩٢) و(٢٤٢٨٣) و(٢٤٢٦٩).

رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة، فيقول: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[1]..

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله فرض صيام رمضان، وسننت لكم قيامه، فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[2]..

أختي المسلمة: رمضان فرصة ذهبية لأمة محمد ﷺ من ذكر وأنثى، فهو شهر كريم تفتحت أيامه ولياليه بالفتح المبين ففيه أنزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، واقترنت ليلة القدر منه بتجويد آية الافتتاح:

﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق* خلق الإنسان من علق* اقرأ وربك الأكرم الذي علَّم بالقلم* علَّم الإنسان ما لم يعلم**﴾..[العلق: ١ ـ ٥]

لا جرم فرض الله علينا نحن أمة القرآن الصيام، وسن لنا رسول القرآن ﷺ قيامه، لنجتلي أيامه ولياليه، ونتذوق كل لحظة فيه، نجتلي أيامه المشرقة بالصوم شكراً للمنعم على ما أنعم بالقرآن وبرسول القرآن ﷺ، ونجتلي لياليه بالتراويح وقراءة القرآن ومدارسته، والتهجد والبر بأوسع معانيه.. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الله فرض عليكم صيام رمضان، وسننت لكم قيامه».. ترغيب أكيد على أن قيام شهر رمضان سنة أكيدة عن النبي ﷺ فهو يذكرنا بعظيم الأجر والثواب ويحثنا على إحياء لياليه بالعبادة والذكر والشكر، عناية منه ﷺ بأمته، ودلالة

(١) ـ أخرجه البخاري ١/١٦ و٣/٣٣ و٥٨ و٥٩، ومسلم (صلاة المسافرين) ١٧٣ و١٧٤ وأبو داود (١٣٧١)، والترمذي (٨٠٨)، والنسائي ٣/٢٠١ و٢٠٢ و٤/١٥٤ و١٥٥ و١٥٦ و١٥٧ و١٥٨ و٨/١١٨، وأحمد ٢/٢٨١ و٤٠٨ و٤٢٣ و٤٧٣ و٤٨٦ و٥٢٩، والدارمي ٢/٢٦، والبيهقي في «السنن» ٢/٤٩٢ و٤٩٣، وعبد الرزاق (٧٧١٩)، و«المجمع» ٢/١٧٣، والمنذري في «الترغيب» ٢/٩١، ومالك في «الموطأ» ١/١١٣، والخطيب ٦/١١٦ و١١/٣٥٩، والبغوي في «شرح السنة» ٤/١١٦، والتبريزي في «المشكاة» (١٢٩٦)، والشيخ في «الإرواء» ٤/١٤، وابن عساكر ٤/٢٣٧.

(٢) ـ أخرجه الإمام أحمد ١/١٩١، والنسائي ٤/١٥٨، والمنذري في «الترغيب» ٢/١٠٥، والهندي في «الكنز» (٢٣٧٢٢)، والسيوطي في «جمع الجوامع» (٤٨٨٤).

للمؤمنين على محل الفضل وأوقات النفحات، وموسم البر والرحمات والإنعام والإحسان، فهو شهر تطهير حسي ومعنوي، ومن هنا قال أبو هريرة رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة، يعني لا يأمرهم بقيام أمر وجوب وفرض وتحتيم، وإنما أمر ندب وترغيب وتشويق وتأكيد حتى لا يحرموا في شهر التطهير والنفحات من التطهير والنفحات ومن ذلك الترغيب قوله في الحديث الذي نحن بسبيله:

«من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».. القرآن ومدارسته، والتزام حدوده، وعمل البر في أية صورة من صوره بقصد إحياء لياليه والتعرض لنفحات الله فيه، والإنابة إلى الله وطلب مغفرته ورضوانه، ومعنى «إيماناً» أي تصديقاً بما وعد به الصادق المصدوق ﷺ من الجزاء المترتب على قيام رمضان، وهو غفران ما تقدم من ذنبه، ومعنى «احتساباً» أي مخلصاً في هذا القيام يؤديه طيبة به نفسه، لا يبتغي به إلاّ وجه الله، ولا يحمله عليه رياء ولا سمعة، ولا طلب مغنم كهؤلاء الذين يساقون إلى البر مكرهين: وظاهر الحديث يدل على أن من قام رمضان أي أحيا لياليه بالعبادة والصلاة والذكر والقرآن ومدارسته لا يحمله على هذا القيام إلاّ الإيمان والتصديق بما أعد الله للقائمين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولا يدفعه على هذا القيام إلاّ الإخلاص شكراً لربه الذي جعله من أمة محمد ﷺ.. نقول: إنّ ظاهر الحديث يدل على الغفران المرتب على القيام لكل الذنوب التي تقدمت رمضان في سنته كلهاكبيرة أو صغيرة وإن خصها بعض شراح الحديث بالصغائر المتعلقة بالله تعالى، كما أن ظاهر الرواية التي رواها الإمام أحمد وغيره من أصحاب السنن «إنّ الله فرض صيام رمضان، وسننت لكم قيامه، فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»... فهذه الرواية تدل على أن الغفران والتطهير شامل للذنوب كلها صغيرها وكبيرها، متعلقة بالعباد أو الحق فيها خالص لله تعالى لأن الله تعالى يقول: ﴿**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم**﴾.. [الزمر:٥٣]..

ويقول عز وجل: ﴿**إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن**

يشاء﴾ [النساء:٤٨].

فهو سبحانه صاحب الأمر كله، وهو سبحانه إذا قبل أرضى عنه أصحاب الحقوق عليه، لأن القلوب بيده يصرفها كيف يشاء فالأولى حمل المغفرة على أوسع معانيها، لأن رحمته واسعة، وفضله أوسع وأعظم، وطبعاً هذا التطهير التام الذي يغسل الذنوب المتقدمة جميعاً مرتب على الصيام الحقيقي والقيام الحقيقي...

أما الصيام الصوري الذي يمسك صاحبه عن المفطرات الحسية فلا يأكل ولا يشرب، ولكنه لا يمسك عن المفطرات المعنوية كالسب والغيبة وقول الزور، فهذا وإن سقط عنه الفرض، ولكن لا ثواب له ولا أجر ولا مغفرة، ولا ينتفع بالصوم في جسمه وروحه غسلاً وتطهيراً وإشراقاً وكذلك القيام الصوري الذي يدفع إليه حب المحمدة من الناس والتظاهر بالصلاح والتقوى والتفاخر بعمل البر، فهذا قيام مصنوع لا يترتب الغفران عليه والتطهير والعطاء والجزاء، بل هو مردود على صاحبه، لأن المعول عليه في القبول إخلاص القلب للرب فيما يعمل ﴿وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ [سورة البينة: ٥]

وفي رواية ثالثة عن أبي هريرة رضي الله عنه: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».. وقد علمت أختي المسلمة وأخي المسلم أنَّ معنى القيام إحياء ليالي رمضان بالعبادة وبخاصة صلاة التراويح ومدارسة القرآن وقراءته وسماعه وتفهم أسراره وتعاليمه للعمل بها...

وفي رواية: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».. وقد علمت أن معنى «إيماناً» تصديقاً و«احتساباً» إخلاصاً لكن الله تعالى فرض علينا صيام أيامه فتمسك عن المفطرات الحسية والمعنوية طيلة الشهر من مطلع الفجر إلى غروب الشمس والنبي ﷺ سن لنا قيامه وإحياء لياليه بالعبادة ومن أفضلها صلاة التراويح، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ صلى في المسجد ـ صلاة التراويح ـ في رمضان فصلى ناس بصلاته، ثم صلى من القابلة فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الثالثة فلم يخرج إليهم، فلما أصبح قال: «قد رأيت الذي صنعتم، ولم يمنعني من الخروج

إليكم لأني خشيت أن تفرض عليكم»[1] وذلك في رمضان، فصلاة التراويح سنة مؤكدة عن النبيﷺ وقد أقامها الناس فرادى كما سنها رسول اللهﷺ لغاية زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأقامها عمر وجمع الناس عليها، وأقامها علي رضي الله عنهم جميعاً وقد قال عليه الصلاة والسلام:

«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضّوا عليها بالنواجذ..»[2]

وقد خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان وإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلي الرجل بنفسه ويصلي الرجل ومعه يصلي رهط. فقال: لو أني جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، فجمعهم على أبي بن كعب فصلى بهم التراويح عشرين ركعة ومحلها بعد صلاة العشاء، وقد سنها عمر للرجال والنساء، وتتحصل فضيلة السنة

---

(١) - أخرجه مسلم (صلاة المسافرين) ١٧٧، ومالك في «الموطأ» ١/١١٣، والنسائي ٣/٢٠٢، وأبو داود (١٣٧٣)، والبيهقي في «السنن» ٢/٤٩٢، والبغوي في «شرح السنة» ٤/١١٧ والهندي في «الكنز» (٢١٥٤٢) و(٢١٥٤٤)

وأخرجه البخاري بلفظ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ حُجرةً - من حصير - في رمضان فصلى فيها ليالي، فصلى بصلاته ناس من أصحابه، فلما علم بهم جعل يقعد، فخرج إليهم فقال: «قد عرفت الذي رأيت من صنيعكم، فصلوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته، إلاّ المكتوبة» (٧٣١) و(٦١١٣) و(٧٢٩٠).

وفي رواية للبخاري أيضاً قال: ضعوا ذلك ليلتين أو ثلاثاً، حتى إذا كان بعد ذلك جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يخرج، فلما أصبح ذكر ذلك للناس،، فقال: «إني خشيت أن تكتب عليكم صلاة الليل» (٧٢٩) و(٧٣٠) و(٩٢٤) و(٢٠١١) و(١١٢٩) و(٢٠١٢) و(٥٨٦١).

(٢) - أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٨) والحديث مختلف في تصحيحه فقد صححه الترمذي وابن حبان والحاكم، وصححه من علمائنا الشيخ الألباني... وضعفه ابن القطان الفاسي المتوفى سنة (٦٢٨ هـ) لجهالة حال عبد الرحمن بن عمرو السُّلمي، وقد ضعفه من علمائنا الشيخ حسان عبد المنان وقد جمع طرق الحديث وألف في ذلك رسالة أسماها «حوار مع الشيخ الألباني في مناقشة لحديث العرباض بن سارية» وهي جديرة بالاطلاع فقد اتسمت هذه الرسالة بالروح العالية والنهج القويم الذي اتبعه المؤلف بالرد على من صححه ولم يستعمل الألفاظ القبيحة والبذيئة التي استعملها مخالفوه فهكذا تكون العلماء...

بصلاتها في البيت أو في المسجد ولكن اجتماع الرجال لأدائها في المسجد فيه إظهار الشعائر، وتكثير سواد المسلمين، وائتلاف قلوبهم وتنشيط الكسلان منهم، الاّ أن البيت أفضل وخاصة لمن يؤمن أهل بيته في قيام رمضان وصلاة التراويح، وينبغي للإمام في المسجد أن يخفف بالناس ويقرأ بالسور القصار أو ما في حكمها كالآيات..

أختي المسلمة: احرصي على أن تكوني مشغولة بطاعة الله في ليالي رمضان ما دمت غير نائمة ليتحقق معنى القيام وتجيء ثمرته المرتبة عليه من الغفران والرحمة والعطاء.. والدين يسر ولا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها..

واعلمي أن أفضل القيام قراءة القرآن، هداني الله وإياك إلى ما يحب ويرضى إنه سميع مجيب...

★ ★ ★

هل على الحامل والمرضع صوم؟؟

عن أنس بن مالك الكعبي أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة وعن الحبلى والمرضع الصوم»[1].

أختي المسلمة: هذه هي سماحة الإسلام فلك الإفطار في السفر وذلك في أي سفر يطلق عليه اسم السفر وكذلك وضع عن المسافر شطر الصلاة الرباعية فعليك أن تصلي الظهر والعصر والعشاء ركعتين...

وقد دل الحديث أيضاً على أن الحبلى لها أن تفطر وكذلك المرضع لأن ذلك يضر بصحتها ففي الحديث: «لا ضرر ولا ضرار»[2]..

(١) ـ أخرجه الإمام أحمد ٣٤٧/٤ و٢٩/٥، والنسائي ١٨١٨/٤ والترمذي (٧١٥)، وابن ماجه (١٦٦٧)، والبيهقي في «السنن» ١٥٤/٣ والدولابي في «الكنى والأسماء» ١٤/١ و٨٤/٢، والحافظ في «تلخيص الحبير»، ٢٠٣/٢، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ٤٢٣/١ وابن عبد البر في «الاستذكار» (٣٠)، وابن سعد ٣٠/٧ وغيرهم.

(٢) ـ أخرجه ابن ماجه (٢٣٤٠) و(٢٣٤١) وأحمد ٣١٣/١ والبيهقي في «السنن» ٦٩/٦ و٧٠ و٤٥٧ و١٣/١٠ والحاكم ٥٨/٢، والطبراني في «الكبير» ٨١/٢ و٣٠٢/١١ =

أما القضاء فليس فيه تقييد ولا تحديد، وكما أنه لا يشترط الفور، لا يشترط التتابع في قضاء رمضان، فمن قضى يوماً ثم قضى يوماً آخر بعد فترة طويلة أو قصيرة أجزأه ذلك، فقد روى ابن عمر عن النبيﷺ قال: «قضاء رمضان إن شاء فرق وإن شاء تابع».

وقال ابن عباس: لا بأس أن يفرق لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**فعدة من أيام أخر**﴾[البقرة: ١٨٤]. وذلك هو مذهب الجمهور من الفقهاء..

ومهما يكن، فإن الأفضل الفور والمتابعة تبرئة للذمة لمن استطاع ذلك، وقول عائشة رضي الله عنها «كان يكون عليّ صوم من رمضان فما أستطيع أن أقضي إلاّ في شعبان وذلك لمكان رسول الله ﷺ» وذلك لاشتغالها بخدمة النبي ﷺ ورهن إشارته في كل ما يطلب، وينبغي العلم بأن الصوم فريضة كريمة لها آثارها العظيمة وان الله سبحانه فرض على كل مسلم قادر أن يصوم ثلاثين يوماً إذا لم يظهر هلال شوال قبل ذلك بيوم.. ولغير لمن اضطر إلى إفطار بعض أيامه لمرض أو سفر أو حيض أو غير ذلك فمن استهان بشيء مما يجب فيه القضاء كما يفعله بعض المسلمين فقد ظلم نفسه ومن ترك القضاء والحالة هذه كان دليلاً على أنه لا يشعر بمسؤولية الواجب وأنه رجل ضعيف الشخصية وأنه يصوم ما يصومه مع الناس مجاراة لهم ومسايرة لأوضاعهم أو نزولاً على حكم تقاليد الناس وأنظمة الأكل والشرب في الأسرة التي يعيش فيها...

أختي المسلمة: اخلصي لله في أعمالك وانصحي لله ورسوله ولنفسك وخذي تكاليف الإسلام بقوة ونفّذيها بعزيمة صادقة وقلب سليم حتى يرى الله سبحانه منك الإخلاص والصدق، واعلمي أن لله نفحات فتعرضي لنفحات الله وادعيه دائماً وخاصة وأنت صائمة فإن دعوة الصائم الصادق مستجابة فكوني مع الله والله الموفق.

★ ★ ★

= والهيثمي في «المجمع» ٤/١١٠ والدارقطني ٣/٧٧ و٤/٢٢٧ و٢٢٨، والساعاتي في«بدائع المنن» (١٣٣٠) والشافعي (٢٢٤) والشيخ في «الصحيحة» (٢٥٠) وفي «الإرواء» ٣/٤٠٨ و٤١٣ و٦/٦٧ و٧/٤٤ و٢٢٩.

هذه دعوتك في ليلة القدر

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قلتِ: يا رسول الله إذا وافيت ليلة القدر فبمَ أدعو؟ قال: «قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني»[1]..

إعلمي أختي المسلمة: أن اليلة القدر هي ليلة الشرف العظيم حيث نزل القرآن الكريم فيها قال تعالى:

﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر* وما أدراك ما ليلة القدر* ليلة القدر خير من ألف شهر* تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر* سلام هي حتى مطلع الفجر﴾..[القدر:١ ـ ٥]

وقال تعالى في هذا الشأن أيضاً: **﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾**[الدخان:٣] إنه من أجل ذلك شرفت هذه الليلة، وعظم جانبها، وأضحى ثواب العباد فيها خيراً من ثوابها في ألف شهر وأن الملائكة تتنزل فيها من أجل كل أمر قضاه الله تعالى للعام المقبل أي في تلك السنة، وينبغي أن يعلم أنه ليس معنى قضاء الله تعالى للأشياء وتقديرها في ليلة القدر بدء التقدير والإنشاء بتحديد المواقيت وضبط الشئون والأحوال، فإن ذلك أزلي قديم سبق به علم الله عز وجل وإنما معنى ذلك إظهار هذه الأمور للملائكة وكشفها لهم كي يضبطوها في صحفهم ويقوموا فيها بأمر الله عز وجل على الوجه الذي أمرهم به..

وقد كان النبي الكريم ﷺ يعطي العشر الأواخر من شهر رمضان عناية خاصة في العبادة والطاعة فإذا دخلت شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله. وشد المئزر كناية عن الجد والاجتهاد في الأعمال الصالحة التي ترفع الإنسان

---

(١) ـ أخرجه الترمذي (٣٥١٣)، وابن ماجه (٣٨٥٠)، وأحمد ٦/١٧١ و١٨٢ و١٨٣ و٢٠٨ و٢٨٥، والحاكم ١/٥٣٠، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٥٥)، وابن كثير ٨/٤٧٢، والبغوي ٧/٢٧٦ والمنذري في «الترغيب» ٤/٢٧٣، وابن السني (٧٦٣)، والنووي في «الأذكار» (١٧٣)، والخطيب ١٢/١٨، والسيوطي في «الدر المنثور» ٦/٣٧٧، والهندي في «الكنز» (٣٢٧٩) و(٣٧١٦) و(٢٤٢٨٢) وغيرهم...

درجات عند الله عز وجل، ولما رأت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها اجتهاد النبي ﷺ في العبادة وعرفت منه فضل ليلة القدر سألته قائلة:

يا رسول الله: لو أدركت ليلة القدر ووافيتها فبمَ أدعو؟

قال لها قولي: «اللهم إنك عفو تحب العفو فأعف عني» وإنما أمرها ﷺ بطلب العفو من الله عز وجل لأنه المطلب الأسمى الذي يدخل أهله عند الاستجابة والتحقق في دائرة القبول والإحسان والرضوان، وفي ذلك السعادة الحقة التي يؤملها المؤملون وينتظرها المخلصون الذين يرجون الفوز والنجاة وليس معنى ذلك أن الدعاء في ليلة القدر قاصر على هذا الدعاء وإنما معناه: أن الدعاء الأفضل هو هذا الدعاء، وللمسلم والمسلمة الدعاء في ليلة القدر بما يشتهي من صالح الأدعية التي تشتمل على خير الدين والدنيا، وكل دعاء فيها مقبول ومستجاب إذا توفرت شروط الدعاء من طهارة القلب والإخلاص لله رب العالمين وحسن الظن في الله تعالى لأنه عز وجل عند حسن ظن عبده.

فعلى المسلم والمسلمة الراغبين في المزيد من الأجر والثواب من الله عز وجل أن ينهضوا للطاعات فيها عساهم أن ينالوا من الله عز وجل أعلى الدرجات وأن يصلوا إلى السعادة الحقة التي يطمئن معها قلبهم وينشرح معها صدرهم ويكونوا بها من الفائزين..

إن ليلة القدر فرصة من الفرص التي تجيء مرة واحدة في العام وهي فرصة يتحقق معها الخير الجزيل، وذلك لا يكون إلا بالإقبال على العبادة وكثرة البر بالفقراء والمحتاجين من الناس، وخير العباد فيها ما يكون بتلاوة القرآن الكريم الذي نزل فيها حيث كان نزوله جملة من عند الله تعالى إلى اللوح المحفوظ في ليلة قدر، ثم نزل من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا في ليلة قدر، ونزل بعد ذلك منجماً مقسطا على حسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة وكان أول ما نزل قوله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق..**﴾ [العلق: ١] وكان ذلك ليلة القدر أيضاً وقت أن كان ﷺ في غار حراء وهو جبل بينه وبين مكة نحو ثلاثة أميال حيث جاء جبريل وقال له: اقرأ.. الخ. فلا ننسَ هذا الدعاء الذي علمه رسول الله ﷺ

لعائشة: «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني»..

★ ★ ★

ما يكفر الله به الذنوب

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»(١)

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «الحج المبرور ليس له جزاء إلاّ الجنة»(٢).

أختي المسلمة: الحج فريضة قديمة فرضها الله سبحانه على جميع الأنبياء والمرسلين وعلى أممهم منذ عهد إبراهيم إذ طهر البيت الكريم

---

(١) ـ أخرجه البخاري (١٨١٩) و(١٨٢٠)، ومسلم (الحج) ٤٣٨ وأحمد ٢/٢٢٩، والبغوي في «شرح السنة» ٧/٤٠، والطبري ٢/١٦١ والمنذري في «الترغيب» ٢/١٦٣، والبيهقي في «السنن» ٥/٢٦١، وابن خزيمة (٢٥١٤)، وأبو نعيم في «الحلية» ٨/١٢٦، والتبريزي في «المشكاة» (٢٥٠٧٩، والزبيدي في «الإتحاف» ٤/٢٧١، وابن عدي ٧/٢٤٨٠، والبغوي في «التفسير» ١/١٨٢، والهندي في «الكنز» (١١٨٣٢).

وأخرجه بلفظ زاد فيه «هذا البيت» النسائي ٥/١١٤ وابن ماجه (٢٨٨٩)، وأحمد ٢/٤١٠، والبيهقي في «السنن» ٥/٦٧ و٢٦١، والحافظ في «الفتح» ٤/٢٠، والشجري في «الأمالي» ٢/٦٧، والخطيب ١١/٢٢٢ وأبو نعيم في «الحلية» ٧/١٤٣ و٨/١٢٦ وغيرهم.

وأخرجه بلفظ: «غفر له ما تقدم من ذنبه» الترمذي (٨١١).

(٢) ـ أخرجه البخاري ٢/٣، ومسلم (الحج) ٤٣٧، والترمذي (٩٣٣) والنسائي ٥/١١٣ و١١٥، وابن ماجه (٢٨٨٨)، وأحمد ٢/٢٤٦ والطبراني في «الكبير» ١/١٨٢، والحميدي (١٠٠٢)، وابن خزيمة (٢٥١٣) و(٣٠٧٣)، والهيثمي في «المجمع» ٣/٢٠٧، والخطيب ٩ك٦٢ والشيخ في «الإرواء» ٣/٢٤١، والهندي في «الكنز» (١١٧٨٥) و(١١٨٣٤)، والزبيدي في «الدر المنثور» ٢/٢١٠، والشجري في «الأمالي» ٢/٥٦، والبخاري في «التاريخ الكبير» ١/١٣٣، وابن الجارود في «المنتقى» (٥٠٢)، وابن عساكر ٦/٣٨٢، وأبو نعيم في «تاريخ أصفهان» ٢/٢٦١، وابن عدي ٥/٢١٤٦، والشيخ في «الصحيحة» ٣/١٩٨.

للطائفين والقائمين والركع السجود، وإذ أذن في الناس بالحج فأتوه رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق.

وهو من أفضل العبادات وأعمقها في المعاني الروحية والرياضية والبدنية والعقلية والنفسية حتى قال بعض العلماء إنه أفضل العبادات لأنه جمع بين التضحية بالمال والمشقة بالبدن والواقع أنه قد يشركه في ذلك بعض العبادات كالجهاد في سبيل الله.

وقد فرضه الله سبحانه على من استطاع إليه سبيلاً فوجد النفقة الفاضلة عن حاجته وخاصّته. فمن ألزم نفسه به من غير أن يكون عنده سعة فقد أساء إلى نفسه أو أهله ولكن بعض الناس يحج ليقال له الحاج فلان والحاجة فلانة فهذا مراء بالدين غير مقبول عند الله كما أن من قدر عليه وقصر فيه فهو مهمل في حق دينه مستهين بأمر ربه. وقد أطلق الله سبحانه عليه أنه من الكافرين تشنيعاً عليه وتحقيراً لشأنه إذ يقول سبحانه:

﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ [آل عمران:٩٧]..

المقام بغناه عن العبد وعمله للاشادة بهذه العبادة الكريمة وتمجيد أمرها فهي عمل جليل يستأهل أن يصف الله سبحانه نفسه بأنه غني عنه وأن العبد يعمله لنفسه. ويقول النبي ﷺ: «من مات و لم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً»(١).

والواقع أن الحج من التكاليف الشاقة التي تتطلب بذل المجهود والاستهداف فيه للمخاطر فمن بذل ذلك كله في سبيل الله فقد دل على إخلاصه لوجهه وإيثاره لمرضاته واستحق تلك المثوبة التي نوه بها رسول الله ﷺ في الحديثين الشريفين وفي غيرهما كما ورد في المتفق عليه أيضاً أنه ﷺ سئل أي العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله» قيل: ثم ماذا؟ قال:

---

(١) ـ أخرجه الزبيدي في «الاتحاف» ٤/.٢٦٧.

وأخرجه بلفظ: «من مات ولم يحج حجة الإسلام في غير مرض حابس أو حاجة ظاهرة..» الحافظ في «تلخيص الحبير» ٢/٢٢٢، والزيلعي في «نصب الراية» ٤/٤١٢. وابن عدي ٤/١٦٢٠، والسيوطي في «الدر المنثور» ٢/٥٦.

«الجهاد في سبيل الله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور»[1]..

وقال العلماء: إنّ الحج المبرور هو الذي لا ترتكب فيه معصية. مشتقٌّ من البر وهو الطاعة.

وعلامة ذلك الحج المبرور، أن يعود الحاج خيراً مما كان عليه متجهاً إلى عبادة الله بعد أن فاز برضاه ولا كلام في أن الحج يكفر صغائر الذنوب، وأما الكبائر فلا بد لها من التوبة أو عفو الله، غير أن هذا الحديث يبشر بعفو الله، لأنَّ من رجع كيوم ولدته أمه فلا إثم عليه ولا مؤاخذة إذ المولود الجديد بر طاهر لا مسؤولية عليه ولا عقاب.

وكذلك قوله ﷺ في الحج المبرور إنه ليس له جزاء إلاّ الجنة، بشارة بأن الحاج إذا أحسن في تلك المواطن الكريمة والمعاهد العظيمة وتعرض لنفحات الله كان جديراً أن يوفقه الله سبحانه لعمل البر دائماً وأن ينسى حفظته كل ما كان ارتكب من سيئة ذلك لمن خشي ربه وأخلص في كل شعائره وقدر قيمة تلك الرحلة وما تكبد من مجهود وحمل من أعباء فعمل صالحاً ولم يشرك بعبادة ربه أحداً، ولقد طالما لمسنا في حال الناس، وقد دخلوا في تلك الأماكن المقدسة أنهم رفضوا تلك المخالفات، وصاروا ربانيين لا يخافون إلاّ ذنبهم ولا يرجون إلاّ ربهم لا همّ لهم إلاّ طواف مع الطائفين أو تلاوة من الذكر الحكيم، أو استغفار وضراعة أو قنوت وطاعة كل أوقاتهم أو جلها مغمور بالطاعة وكل نفوسهم أو جلها مسوقة إلى المنافسة في الخيرات، والتزود في تلك الأماكن وتلك الأيام الممدودات، فربما لم يجدوا هذه الفرص المتاحة من بعد، وقد لا يظفرون بمثلها إذا مضت فهم يسارعون إلى مغفرة من ربهم وجنة عرض السماوات والأرض، لا يشغلهم ولد ولا مال ولا أهل،...

واعلمي أختي المسلمة أنَّه لا خير لإنسان إلاّ في دين يحول بينه وبين الشهوات، ويكبت فيه تلك الغرائز المهلكات حتى يسير فيها على نهج الدين

---

(١) ـ أخرجه مسلم (٨٨)، والنسائي ٦/١٩، والبخاري في «التاريخ الكبير» ٢/٣١٢ و٨/٣٧، وأحمد ٥/١٥٠ و١٦٣ و٤٥١ و٦/٣٧٢، والدارمي ٢/٣٠٧، والبيهقي في «السنن» ٦/٨١ و٢٧٣ و٩/٢٧٢ و١٠ ٢٧٣ والشيخ في «الصحيحة» ٣/٤٧٨، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٢٠٩ و(٢٢٦) و(٣٠٥).

القويم، والصراط المستقيم، صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور...

★ ★ ★

المسموح به عند المصائب والأحزان

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في ابنه ابراهيم وهو يجود بنفسه:

«إنَّ العين تدمعُ، والقلبَ يحزنُ، ولا نقول إلاّ ما يُرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيمُ لمحزونون»(١)

المحزون: من وقع عليه الحزن بخلاف الحزن والحزين فإنه من وقع منه الحزن.

وكان ﷺ ينبه بذلك على أن الحزن ليس من فعله ولكنه واقع به من غيره كرهاً ولا يكلف الإنسان بفعل غيره.

أختي المسلمة: في «الصحيحين» أن أنس بن مالك دخل مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين الحداد وكان ظئراً لإبراهيم ـ أي زوجاً لمرضعته ـ فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم «ابنه» فقبله وشمه ثم دخلا عليه بعد ذلك وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان ـ أي تدمعان ـ فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «يا ابن عوف، إنها رحمة» ثم أتبعها بأخرى فقال ﷺ: «إن العين تدمع..» الحديث...

كان النبي ﷺ قد اختار مرضعاً لإبراهيم اسمها خولة بنت المنذر، وكنيتها: أم سيف، وزوجها البراء، ويكنى أبا سيف، والظئر: المرضع،

---

(١) ـ أخرجه البخاري (١٣٠٣)، والبغوي في «شرح السنة» ٤٢٩/٥، وابن مسعد ٨٩/١/١، والتبريزي في «المشكاة» (١٧٢٢)، والنووي في «الأذكار» (١٣٤).
وأخرجه مسلم (٢٣١٥)، وأبو داود (الجنائز) ب٢ ٨، وابن ماجه (١٨٩) وابن أبي شيبة ٣٩٣/٣، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٤٣٠/٥ وفي «السنن» ٦٩/٤.

وزوجها يسمى كذلك ظئراً. وكان هذا الرجل حداداً وقد دخل النبي ﷺ يعود ابنه ومعه أنس خادمه فقبّله وشمه رحمة به وعطفاً عليه ثم عاد إليه فوجده في النزع الأخير فبكى فاستغرب ذلك منه عبد الرحمن بن عوف (من كبار المهاجرين السابقين) ووجه السؤال إلى النبي ﷺ بأنه: كيف يفعل كما يفعل سائر الناس الذين لا يصبرون عند المصائب، ويتفجعون عند النوازل والنبي ﷺ ينهى عن ذلك وينكره عليهم، فأجابه النبي ﷺ بأن ذلك ليس مما ينكره الدين ولا يأباه بل إنه على العكس يقره ويرضاه، فإن ذلك رحمة ما دام لا يقترن بما يغضب الرب مما يصدر من الجاهلين، والرحمة صفة صالحة كريمة.

وفي لفظ مسلم ما يلقي ضوءاً على تلك القصة الهادية إلى بعض السنة من أمره ﷺ:

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ولد الليلة غلام فسميته باسم أبي ابراهيم» ثم دفعه إلى أم سيف امرأة قين يقال له أبو سيف فانطلق يأتيه ويتبعه واتبعته فانتهينا إلى أبي سيف وهو ينفخ بكيره قد امتلأ البيت دخاناً فأسرعت المشي بين يدي رسول الله ﷺ فقلت: يا أبا سيف أمسك جاء رسول الله ﷺ فأمسك فدعا النبي بابنه فضمه إليه وقال: ما شاء الله أن يقول، فقال ﷺ فدمعت عينا رسول الله ﷺ فقال: «تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون» وقد أخرج مسلم بعد هذا الحديث عن أنس بن مالك قال: ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ ثم ذكر شيئاً من عطفه على إبراهيم.

وقد مات ابراهيم وهو ابن ثمانية عشر شهراً. وقال ابن حزم: مات قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر، واتفقوا على أنه ولد سنة ثمان.

اعلمي أختي المسلمة أنَّ هذا الحديث يفسر البكاء المباح، والحزن الجائز، وهو ما كان بدمع العين، ورقة القلب من غير سخط لأمر الله وهو شيء دل عليه هذاالحديث، وفيه مشروعية ضم الولد وتقبيله وشمه ومشروعية الرضاع وعيادة الصغير والحضور عند المحتضر، وجواز الاخبار عن الحزن وإن كان الكتمان أولى لغير المشرع ﷺ.. واستدل به بعض العلماء

على جواز نداء الميت ومن في حكمه ممن لا يفهم الخطاب.

وقد قال أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته: بأبي أنت وأمي، فالنداء على هذا الوجه مشروع درج عليه السلف.

وصح عن ابن عمر أنه كان إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر الصديق، السلام عليك يا أبتاه...

ومن وصايا الرسول ﷺ ما روته أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

«إذا حضرتم المريض، أو الميت، فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون»..

قالت: فلما مات أبو سلمة أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، إنَّ أبا سلمة قد مات. قال:

«قولي: اللهم اغفر لي وله، وأعقبني منه عقبى حسنةً»

قالت: فقلت: فأعقبني الله من هو خير لي منه، محمداً ﷺ[1].

وقالت أيضاً: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد تصيبُه مصيبةٌ فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيراً منها، إلاّ أجره الله في مصيبته، وأخلف له خيراً منها»[2]

★ ★ ★

---

(١) ـ أخرجه مسلم (٩١٩)، وأبو داود (٣١١٥)، والترمذي (٩٧٧)، وابن ماجه (١٤٤٧)، وأحمد ٢٩١/٦ و٣٢٢، وعبد الرزاق (٦٠٦٦) والتبريزي في «المشكاة» (١٦١٧)، والنسائي ٤/٤، والبيهقي في «السنن» ٣٨٤/٣ و٦٥/٤، والمنذري في «الترغيب» ٣٤٧/٤، والشجري في «الأمالي» ٢٥٢/١، وابن عبد البر في «التمهيد» ١٨١/٣ واللفظ لمسلم.

(٢) ـ أخرجه مسلم (٩١٨)، وأحمد ٣٠٩/٦، والمنذري في «الترغيب» ٣٣٦/٤، وابن عبد البر في «التمهيد» ١٨٣/٣، والزبيدي في «الإتحاف» ١٠٣/٥، وابن تيمية في «الكلم الطيب» (١٤١)، والنووي في «الأذكار» (١٣٢)، وابن كثير ٢٨٥/١، والسيوطي في «الدر المنثور» ٦٥٧/١.

الصبر في الضراء والشكر في السراء

عن أبي يحيى صهيب بن سفيان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له.»[1]..

أختي المسلمة: إن من شأن المؤمن الصادق في إيمانه الواثق بربه، المعتمد عليه، والمفوض في أمره كله إليه، أنه إذا أصابته في هذه الدنيا حالات من حالاتها فيها السرور والبهجة، وانشراح الصدر، وراحة النفس شكر الله تعالى على هذه الأنعم فكان أمره بهذا الشكر خيرا له، وإن أصابته في دنياه حالات فيها الضر والألم، وفيها الشدائد التي لا تخطر على البال، وفيها ما يقلق النفس، ويزعج الخاطر، صبر على ذلك فكان صبره على مكاره الحياة خيرا له، وهكذا يكون المؤمن في كل أحواله على خير حتى يلقى الله عز وجل.

إن المؤمن المخلص لله تعالى في عقيدته يعلم علم اليقين أن كل ما يجري في دنيا البشر إنما هو بقضاء الله تعالى وبقدره، وأن ما شاء الله كان ووقع ونزل، وأن ما لم يشأه لم ولن يقع، ولو اجتمع الخلق جميعاً على أن يقع ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، لأنه تعالى هو وحده الفاعل المختار، وهو وحده الذي يجير ولا يجار عليه، وهو وحده الذي يقول للشيء: كن فيكون، وصدق رسول الله ﷺ حين قال لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنه: «وأعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك».

وبعد فإن من يريد الحياة السعيدة الكريمة من ذكر أو أنثى عليه أن يتمسك بمعاني هذا الحديث الشريف وأن يقف عندها، وأن يلتزم بإرشادها، فيشكر المنعم جل جلاله وعز سلطانه في حال الرخاء، ويصبر في حال الشدة

---

(١) ـ أخرجه مسلم في «الزهد» ٦٣، والتبريزي في «المشكاة» (٥٢٨٧)، والحافظ في «الفتح» ١٠/١٠٩، والمنذري في «الترغيب» ٤/٢٧٨ وابن كثير ١/٢٨٣ و٣/٤٤٦ و٤/١٨٩ وسيد في «ظلال القرآن» ٤/٢٣٧٨ والهندي في «الكنز» (٧١٠).

والبلاء.

وقد قيل:

وكل بساط قوم سوف يطوى وإن طال الزمان بهم وطابا

★ ★ ★

الصبر عند الصدمة الأولى

عن أنس رضي الله عنه قال: مر النبيﷺ على امرأة تبكي عند قبر فقال: «اتقي الله واصبري» فقالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي و لم تعرفه فقيل لها: إنه النبيﷺ فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»(1).

أختي المسلمة: هذا الحديث الجليل يدل على فضيلة الصبر ومنزلته من الدين، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه المرأة كانت تبكي ولداً لها فقدته كما تشعر بذلك رواية مسلم لهذا الحديث ويدل بعض الروايات فيه على أنه سمع منها ما يكره فكأنه ﷺ سمع صياحاً زائداً أو دعوى جاهلية ولهذا أمرها بتقوى الله التي هي أساس الصالحات ومن الصالحات الصبر بل هو من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولما كانت هذه المرأة لا تعرف النبي ﷺ فإنها خاطبته بمخاطبة كل إنسان عادي، و لم تحفل بنصيحته بل ردتها رداً فيه شيء من جفوة من لم يتم تهذيبه بالاسلام وتعاليمه الرفيعة، ولهذا قالت للنبي على أنه رجل عادي، إليك عني. أي تنح عنّي ودعني وشأني فإنك لم تصب بمصيبتي فلو كنت مصاباً بها معي لعذرتني

(1) - أخرجه البخاري (1252) و(1283)، ومسلم (الجنائز) 15، وأحمد 143/3، والبيهقي في «السنن» 65/4 و78، والبغوي في «شرح السنة» 477/5، والهيثمي في «المجمع» 2/3...
وأخرجه أبو داود (الجنائز) ب 27، وابن ماجه (1596)، والتبريزي في «المشكاة» (1728)، وابن عساكر 274/5، وابن عدي 1192/3 والسيوطي في «الدر» 158/1، والحافظ في «الفتح» 80/11 و132/13 وغيرهم.

الشدة ما أنا فيه من البلاء، ولو كانت يوم ذاك على بينة من الأمر وعلى جادة الرشد لقبلت النصح من الناصح ولو لم تعلم مكانته لأن النصح صلاح وهداية يشكر عليها من أسداها، ولكن الرسول ﷺ بخلقه الكريم وأدبه العظيم لم يقابل جفوتها إلاّ بالرضا والقبول ثم قال لها الفضل بن العباس - أخو عبد الله بن عباس هل تعرفينه؟ إنه رسول الله. فيروي مسلم في «صحيحه» في هذا الحديث «إنه أخذها مثل الموت» وذلك لما لحقها من الكرب لأنها ردت على النبي ﷺ ذلك الرد القاسي الذي لا يليق بمكانته، وهو سيد العالمين.

ثم ذهبت إلى النبي ﷺ تستقيله عثرتها وتستغفره من خطيئتها وقالت: لم أعرفك يا رسول الله...

وفي رواية لأبي هريرة أنها قالت له: والله ما عرفتك. ولكن رسول الله ﷺ لا يبالي بشيء من أمر الدنيا وما كان يغضب لنفسه إلاّ أن تنتهك حرمة الله فينتقم لها ولهذا وجهها إلى ما هو الأولى به والأشبه بصالحها الديني كأنه يقول لها: دعي ما يتعلق بشخصي وخذي ما ينفعك لمثل هذه الواقعة فإنك لم تصبري في أول هذه المصيبة والصبر عندالصدمة الأولى هو الصبر الصادق الذي يجدر أن يحرص عليه كل مسلم يلتمس الخير لنفسه وينشد الرضا عند ربه «إنما الصبر عند الصدمة الأولى» فهو الذي يظهر فيه خلق الصبر على وجهه الصحيح لقوة الشعور بالبلاء وكلما عظم الشعور به كانت قيمة الصبر عليه جليلة، فأما إذا تقادم العهد فإن ألم المصيبة يخف ولا يظهر معنى كبير للصبر لأن خفة المصيبة ينشأ من النسيان بطول العهد كما قالوا كل شيء يبدأ صغيراً ثم يكبر إلاّ المصائب فإنها تبدأ كباراً ثم تهون على مر الأيام، فهذه المرأة جاءت صائرة إلى أمر النبي صابرة على جمر المصاب فبين لها أن حق هذا الصبر أن يكون في أول الأمر.

والصبر على البلاء قسم من أقسام الصبر الثلاثة التي هي الصبر على طاعة الله والصبر عن معصية الله. والصبر على البلاء الذي تكرهه النفوس بطبعهاوتأباه وقد ورد فيه كثير من الآيات القرآنية الكريمة كقوله سبحانه:

﴿ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

[البقرة:١٥٥ـ١٥٦]..

وقوله سبحانه: ﴿**وبشر المخبتين *الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**﴾ [الحج: ٣٤ـ٣٥]..

وهكذا ينوه الله سبحانه بشأن الصبر ولا سيما هذا النوع، ويصفه النبي ﷺ في حديث مسلم الطويل بأنه ضياء لصاحبه لأنه يخرجه من حلك الضنك والضيق ويجعل جمال حياته مشرقاً رحيباً وخيراً له من الحرج والضجر كما يقول سبحانه في كتابه الكريم: ﴿**وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم**﴾ [البقرة:٢١٦]..

وفي «الصحيحين» من حديث أبي سعيد: «ما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر»[1] ووصف النبي ﷺ المؤمن بأن أمره كله خير، في حديث صهيب الرومي عند مسلم عن النبي ﷺ «عجباً لأمر المؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء شكر فكان خيراً له»[2]..

ما أعظم فضيلة الصبر وأكرمها في الدين الإسلامي الكريم وأحرصه على أن يتصف بها كل من ينتسب إليه ويدعيه فلا إيمان لمن لا صبر له، ولا مكانة في الإسلام إلاّ للصابرين.

★ ★ ★

اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد جاء ما يشغلهم

عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما، أنَّ النبي ﷺ قال: «اصنعوا

---

(١) ـ أخرجه البخاري (١٤٦٩) و(٦٤٧٠)، ومسلم (الزكاة) ب ٤٢ رقم ١٢٤، والبيهقي في «السنن» ١٩٥/٤، والمنذري في «الترغيب» ٢٧٦/٤، وأبو داود (الزكاة) ب ٢٩، والترمذي (٢٠٢٤)، والنسائي (الزكاة) ب ٨٣ وغيرهم.

(٢) ـ أخرجه مسلم (الزهد) ٦٣، والحافظ في «الفتح» ١٠٩/١٠ والتبريزي في «المشكاة» (٥٢٩٧)، والزبيدي في «الإتحاف» ١٤٠/٩، والمنذري في «الترغيب» ٢٧٨/٤، وابن كثير ٢٨٣/١ و٤٤٦/٣ و١٨٩/٤، والهندي في«الكنز» (٧١٠)، والسيوطي في =

لآل جعفر طعاماً فقد أتاهم ما يشغلهم؟[1].

أختي المسلمة: استُشهد الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في غزوة مؤتة بأرض الشام بعد أن أخذ اللواء بيمينه فقطعت فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه وظل يقاتل حتى استُشهد رضي الله عنه، ووجد في بدنه بعد موته اثنتان وسبعون ضربة بسيف أو طعنة برمح وقالﷺ:

«إنَّ الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة».. يقول عبد الله بن جعفر رضي الله عنه: لما بلغه نعي جعفر قال ﷺ: «اصنعوا لآل جعفر طعاماً، فقد أتاهم ما يشغلهم»

وعن أسماء رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول اللهﷺ فدعا بني جعفر فرأيت رسول الله ﷺ يشمهم، وتذرف عيناه فقلت: يا رسول الله أبلغك نعي جعفر؟ قال: نعم، قتل اليوم هو وأصحابه، فرجع رسول الله ﷺ إلى إهله فقال: «اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد أتاهم ما يشغلهم» والمراد بآل جعفر ذريته من الاشتغال بأمر التجهيز والتكفين ومن الأحزان والهموم لفقد عميدهم وعائلهم وقد أمر أحكم الخلقﷺ بصنع الطعام لآل جعفر لأنهم شغلوا بمصيبتهم عن إعداد الطعام لأنفسهم وسواء كان الأمر بإعداد الطعام لآل بيت النبوة من قرابة جعفر بن أبي طالب، أو لجميع الأصحاب، فقد دل الحديث على استحباب إعداد الطعام لأهل الميت ودعوتهم إلى الأكل منه حتى لا يشغلهم الحزن عن الأكل والشرب، ويتأكد إعداد الطعام وصنعه على الأهل وذوي القربى والجيران، ومواساة أهل الميت وتعزيتهم، وتبشيرهم بالصبر وعظم الأجر، ولكن الناس اليوم عكسوا القضية فأصبحوا ينتظرون هم من أهل الميت أن يمدوا لهم الموائد ويعدوا الأطعمة المختلفة

= «الدر» ١/١٥٤ و٥/٢٣٤.

(١) ـ أخرجه أبو داود (٣١٣٢) والترمذي (٩٩٨) وابن ماجه (١٦١٠) وأحمد ١/٢٠٥، والبيهقي في «السنن» ٤/٦١، والحاكم ١/٣٧٢، والدارقطني ٢/٧٩، وعبد الرزاق (٦٦٦٥) و(٦٦٦٦)، والبغوي في «شرح السنة» ٥/٤٦٠ والتبريزي في «المشكاة» (١٧٣٩)، والساعاتي في «منحة المعبود» (٨٠٨) والحافظ في «تلخيص الحبير» ٢/١٣٨، وابن عدي ٣/١٢٤٧، والهندي في «الكنز» (٤٢٦١٦) و(٤٢٦٣٠).

كأنهم في أفراح لا في أتراح، وكأنه لم يكفهم مصيبة الموت من أهل الميت وقد يكونون ذرية ضعفاء، وقد أحدث الأغنياء من المسلمين هذه البدعة الذميمة فجعلوا من الموت مناسبة للرياء والتفاخر فأسرفوا على أنفسهم في السرادقات والمقاعد والمقاصف، وفي القراء المحترفين الذين يساومون على الأجر، ويفرضون مبالغ باهظة على أهل الميت ليتلاعبوا بالقرآن، ويمضغوا كلماته، ويحرفوه تحريفاً بغيضاً، ويوقعوه كما توقع أنغام الموسيقى، ولا يتقون الله في التجويد وحسن الأداء ما داموا يجدون مستمعين جهلاء كل همهم حسن الصوت وحلاوة التطريب والتوقيع، وقد قلد الأغنياء في هذه اللوثة المجرمة الفقراء فجعلوا يستدينون ليظهروا ويتفاخروا هم الآخرون بالإسراف الفظيع على ميتهم ويعلم الله أن الميت لا يستفيد شيئاً من هذا التظاهر الكاذب، إن لم يعذب بسببه إن كان أوصى به كما يفعل الجاهلون.

ولقد كنا ننعي على الناس إسرافهم في الأفراح فإذا بنا نجدهم يتنافسون في المآتم والإسراف فيها أكثر من تنافسهم وإسرافهم في الافراح، وهذه عادة جاهلية كان أهل الميت يتخذون طعاماً يجتمع عليه الناس في اليوم الثالث أو السابع أو الخميس الكبير وقد سئل الإمام أحمد بن حنبل عن هذه العادة فقال من أفعال الجاهلية وعنه كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعتهم الطعام من النياحة على الميت، ويفهم منه أن اتخاذ الطعام من أهل الميت مكروه، كراهة تحريم، لأن النياحة حرام، والمعدود من الحرام حرام، فلو أوصى جاهل من الأغنياء بأن يصرف في مأتمه ألف جنيه مثلاً ـ سرادق وفراشون بكذا، وطعام للمعزين بكذا، وقارئ من مشاهير القراء بكذا ـ فلا تنفذ وصية وإن نفذها أهله عذب بهذا اللون من النياحة الكاذبة التي لم يرد بها وجه الله بل وجه الشيطان من الرياء والفخر الكذوب وفي الحديث: «إنَّ الميت ليعذب ببكاء أهله عليه»[1] وحمله العلماء على من أوصى بالنياحة

(١) ـ أخرجه البخاري ٢/١٠١ و٥/٩٨، ومسلم (الجنائز) ١٦ و١٨ و١٩ والنسائى ٤/١٧ وأبو داود (٣١٢٩) وأحمد ١/٤١ و٤٢ و٤٥ و٥٤ و٢/٣٨، والبيهقي في «السنن» ٣/٧٣ و٤/٧١ و٧٢ و٧٣، والحاكم ٢/٤٧١ وعبد الرزاق (٦٦٧٥) و(٦٦٩٢)، وابن أبي شيبة ٣/٣٩١، والطبراني في «الكبير» ١٢/٢٦٩، والبغوي في «شرح السنة» ٥/٤٤٠ والشافعي (٥٤٦)، والحافظ في «تلخيص الحبير» ٢/١٣٩ والمنذري=

والبكاء عليه، وعد العلماء من النياحة هذا الإسراف الفظيع في المأتم قالوا: وتكره الضيافة من طعام أهل الميت ثلاثة أيام، لأن إطعام الطعام يكون في السرور لا في المصائب والشرور، وهي بدعة غاية في القبح، ولو فرض ودعيت إلى وليمة ميت فلا تجب الدعوة لأن في إجابتها تعاوناً على الإثم والعدوان لا على البر والتقوى، وقالوا: يكره اتخاذ الضيافة في أيام المصيبة لأنها أيام حزن وأسف فلا يليق بها ما يكون في السرور وإن اتخذ طعام للقراء كان حسناً، وينبغي أن يرسل الطعام الذي اتخذه أهل الميت صدقة على ميتهم للفقراء في بيوتهم، لا أن يدعى الفقراء إليه في بيت الميت، أو عند قبره، ولكن الناس في هذا الزمان الذي انقلبت فيه الأوضاع يعدون الطعام الفاخر الذي لا يقدم إلاّ في الأفراح ليمدوا به الموائد للأغنياء في المآتم، ويطردون الفقراء إن حاموا حول الحمى، أو يضعونهم مزجر الكلب، ليقدموا إليهم الفضلات، وقد يعدون أطعمة مختلفة، لتقدم على حسب نظام الطبقات المختلفة، فالجيد للأغنياء، والمتوسط لمتوسطي الحال، والرديء للقراء ألا ساء ما يزرون.

قال العلماء: ويكره الإفراط في مدح الميت عند جنازته، وإذا أوصى الميت باتخاذه الطعام بعد موته فالوصية باطلة ـ قال قاضخان في فتاواه ـ: لو أوصى باتخاذ الطعام للمأتم بعد وفاته، ويطعم الذين يحضرون للتعزية قال الفقيه أبو جعفر: يجوز ذلك في الثلث ويحل للذين يطول مقامهم عنده، وللذي يجيء من مكان بعيد يستوي فيه الاغنياء والفقراء، ولا يجوز للذي لا تطول مسافته ولا مقامه.. وعن الشيخ الإمام أبي بكر البلخي وقد سئل عن رجل أوصى بأن يتخذ الطعام بعد موته للناس ثلاثة أيام قال: الوصية باطلة، فإن لم يوص الميت بشيء من هذا القبيل واتخذ ورثته من مالهم الطعام والنياحة وعادات جاهلية ليس لها أصل في الإسلام، ولا يحبها الله ورسوله، نعم يستحب اتخاذ طعام لأهل الميت من غيرهم بمقدار ما يشبعهم يوماً وليلة..

قال ابن الهمام: يستحب تهيئة طعام لأهل الميت ليشبعهم يومهم

= ٣٤٩/٤.

وليلتهم ويلح عليهم في الأكل لأن الحزن يمنعهم من ذلك فيضعفون...

قال العلماء: وكما يوصي الميت باتخاذ الطعام لا يوصي أيضاً بدفع شيء إلى من يقرأ عند قبره بشيء فالوصية باطلة، وقال تاج الشريعة في شرح الهداية: إن القراءة بالأجرة لا يستحق بها الثواب، لا للميت ولا للقارئ وقال الحافظ العيني في شرح الهداية: ويمنع القارئ للدنيا والآخذ والمعطي آثمان.

وكذلك لا يوصى بتجصيص القبور وتشييدها واتخاذ القباب عليها، وعقر الذبائح عندها، فإن النبي ﷺ قال: «لا عقر في الإسلام»[1] فكل هذه من أعمال الجاهلية، ولا تنفذ فيها الوصية، ومن باب أولى لا يجوز لأهل الميت فعلها، لأنها من النياحة المكروهة في الإسلام، واعلم أن العبادات ثلاثة أقسام: مالية محضة كالصدقة، وبدنية محضة كقراءة القرآن ومركبة منهما كالحج والجهاد، وقد اتفق العلماء على أن الأولى منها وهي المالية الخالصة كالصدقة على الميت تنفعه ويصل إليه ثوابها، وكذلك الدعاء له بالرحمة والمغفرة.. وأما القسم الثاني والثالث ففيهما خلاف، بعض العلماء يقول بوصول الثواب للميت، والبعض الآخر يقول بعدم وصوله، فلو قرأ شيئاً من القرآن، أو صلى ركعتين ووهب ثواب الصلاة والقراءة للميت، فإن الثواب يصل عند الأكثرية من العلماء، ولا يصل عند الأقل، ولكن الصدقة والدعاء محل إجماع في وصول الثواب...

أما هؤلاء القراء المحترفون الذين يؤجرون للقراءة في المآتم، فلا يجوز أخذهم الأجرة نظير القراءة، لأنَّ القرآن لا يباع وإنما يستحقها القارئ الفقير التقي الذي يحسن الأداء وتعطى له بصفة الصدقة على الميت، وقد ينتفع الميت بقراءته إن أخلص في نيته ووهب ثواب القراءة له، وأما القراء الماجنون الذين يتلاعبون بالقراءة ولا يحسنون الأداء، ويترنمون بحسن أوصاتهم، وأنغام توقيعاتهم، ويتقاضون على هذا الإثم مالاً حراماً فلا ينفعون الميت

(١) ـ أخرجه أبو داود (٣٢٢٢) وأحمد ١٩٧/٣، والبيهقي في «السنن» ٥٧/٤ و٣١٤/٩، وعبد الرزاق (٦٦٩٠)، وابن حبان (٧٣٨ ـ موارد الظمآن)، والبغوي في «شرح السنة» ٤٦١/٥ و٢٢٧/١١، والسيوطي في «الدر المنثور» ٢١١/٦، والهندي في «الكنز» (١٢٢١٥).

بقراءتهم، ولا ينتفعون بالمال الحرام الذي أخذوه بالباطل حين اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً مهما كان في أعين الجاهلين عظيماً.

يقول الشيخ سيد حسن الشقرا: كنا نعزي في أحد الأغنياء فوجدنا كل هذه البدع والمآثم في جنازته ومأتمه، فمقبرة الأسرة مشيدة تبز مساكن الأحياء، والمهرجون عند الدفن من المنافقين الذين يطرون الموتى بما ليس فيهم ويبالغون في مدحهم ابتغاء الزلفى والمنفعة الدنيوية عند ذويهم، ولا يزكى على الله أحد كالذباب، والسرادقات التي أعدت للمعزين من الرجال والنساء والموائد التي تمد هنا وهناك، والقراء والقارئات والمحترفون والمحترفات، والتظاهر والتفاخر من أهل الميت بهذا وذاك.

كل ذلك جعلني أهمس في أذن بعض أهل الرأي من ذوي قرابة الميت الأقربين، بأن هذا كله إسراف وابتداع لا يرضاه الإسلام فقال: هذه عوايد إن لم نفعلها سلقنا الناس بألسنة حداد وقالوا: الميت فطيس.. ومعزى مفيش.. ولسنا فقراء.

قلت: ياالله للمسلمين يخافون من الناس ولا يخافون من الله ويحيون البدع ويميتون السنن.. ولكنه الجهل قاتل الله الجهل... اهـ.

ولا نريد أن نطيل بما يكون من لغو عند قراءة القرآن وخاصة عند النساء، أضف إلى ذلك شرب السجائر والخوض في حديث الدنيا والغيبة والنميمة والكلام بما لا يرضي الله سبحانه نسأل الله أن يجنبنا وإياكم السوء وأن يردنا إلى ديننا رداً جميلاً والحمد لله رب العالمين.

★ ★ ★

من طال عمره وحسن عمله

عن عبد الله بن بسر الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الناس من طال عمره وحسن عمله»[1].

(١) ـ أخرجه المنذري في «الترغيب» ٤/٢٥٢، والزبيدي في «الإتحاف» ٧/٣٣٨ و٨/٥٩٤ وابن عبد البر في «الاستذكار» ١/٢٣٩ والهندي في «الكنز» (٤٢٦٤٨).

أختي المسلمة: العمر وإن طال فما تحته طائل، وكل نعيم لا محالة زائل، وعمر الإنسان في هذه الدنيا هو الأعوام التي يعيشها وهي مكونة من الشهور، والشهور مكونة من الأسابيع، والأسابيع مكونة من الأيام، والأيام مكونة من الساعات، والساعات مكونة من الدقائق، والدقائق مكونة من الثواني ورحم الله القائل:

دقات قلب المرء قائلة له إنَّ الحياة دقائق وثوان

والرسول ﷺ يقول: «إنَّ كل يوم يمر على ابن آدم يناديه فيقول: أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد، اعمل في ما استطعت فلست بعائد إليك أبداً»..

نعم إنَّ كل يوم يمر على الإنسان في دنياه يبعده عنها ويقربه من مصيره المحتوم، فمرور الأيام تنقيص من العمر وفتفتة للأجل، والأيام هي صحائف الأجل، فما مضى منها فات وانقضى والمؤمل من غيرها قد يجيء وقد لا يجيء فإنه لا تدري نفس ماذا تكسب غداً ولا تدري إن كانت ستصل إليه أم لا تصل. وهذا الحديث الشريف الذي صدرنا به المقال يعطي أن خير الناس في الدنيا من طال عمره فيها وحسن عمله لأن من طال عمره وحسن عمله يكسب في كل يوم من الأعمال الصالحة مكسباً جديداً يضاف إلى حسناته السابقة في الأيام الماضية فيزداد بطول الأجل حسنات وتكثر طيباته وتعلو درجاته، ومعنى هذا أن طول العمر مع العمل الصالح نعمة كبرى من نعم الله عز وجل وفضل سابغ من جوده سبحانه وتعالى، والعمر عطية من الله واهب الوجود لكل موجود، وإن العبد مسؤول عن عمره في ما أفناه فقد ورد أن النبي ﷺ قال: «لا تزول قدما عبد ـ أي يوم القيامة ـ حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ وعن بدنه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه؟ وعن علمه فيم عمل به»(١)..

نعم إن كل نعمة أنعم الله تعالى بها على عبده هو مسؤول عنها يوم

---

(١) ـ أخرجه الترمذي (٢٤١٧) والدارمي ١/١٣٥، والهيثمي في «المجمع» ١٠/٣٤٦ والمنذري في «الترغيب» ٤/٣٩٦ والخطيب ١٢/٤٤٠، والطبراني في «الكبير» ١١/١٠٢ وابن عساكر ٥/١٢، والهندي في «الكنز» (٣٩٠١٢)، والشيخ في «الصحيحة» (٩٤٦).

الدين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم وإذا كان خير الناس من طال عمره وحسن عمله فشر الناس من طال عمره وساء عمله، لأن بسوء العمل يكتسب في كل يوم سيئات تضاف إلى ما مضى من سيئات فيثقل وزن تلك السيئات ويزاد صاحبها بثقل هذا الوزن ووبالاً على وبال ونكالاً على نكال، فيكون بسبب ذلك من الأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا فيلقون ربهم مفلسين من الحسنات محملين بالأوزار والسيئات فيصيرون إلى النار وبئس القرار، وصدق الله العظيم حيث يقول لنبيه الكريم:

﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار* مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾. [ابراهيم: ٤٢-٤٣]..

إنّ طول العمر فرصة في التنافس في أعمال البر والصالحات التي ترفع صاحبها درجات وفرصة في الازدياد من العلوم والمعارف وأنواع الثقافات التي تضيف إلى عمر الإنسان وإن طال أعماراً أخرى فإن الإطلاع على تاريخ الأمم الغابرة والوقوف على أحوال الدول التي سبقت إلى الدار الآخرة يجعل الإنسان وكأنه يعيش مع هؤلاء الذين رحلوا عن الدنيا وتركوها لمن بعدهم كما سيتركها من جاء بعدهم إلى من سيجيء بعده من سائر الناس، وهكذا دواليك طبقة من الناس تسلم زمام الأمور إلى الطبقة التي تليها وتأتي بعدها لعمارة هذا الكون البديع الفسيح إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وحتى تقوم الساعة وصدق الله العظيم حيث يقول:

﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين* ثم جعلناه نطفة في قرار مكين* ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين* ثم إنكم بعد ذلك لميتون* ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٦]..

★ ★ ★

انقطاع عمل الإنسان بعد موته إلاّ من ثلاث

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علمٍ ينتفع به أو ولد صالح يدعو له».[1]..

أختي المسلمة: الموت هو الحد الفاصل بين الدنيا والآخرة والدنيا هي دار التكليف بالعمل وإذا زال التكليف بالعمل فلا عمل والجزاء أثر من آثار العمل.

يقول النبي ﷺ: إذا مات الإنسان انقطع عمله فهذا شيء لا يورده النبي ﷺ ليفيد به أمرا جديداً ولكنه ﷺ يريد أن يستثني منه هذه الثلاثة ويبين أنها تعد عملا للإنسان ويستمر أجرها وثوابها لأنها آثار باقية وهي: الصدقة الجارية، أو العلم النافع، أو الولد الصالح الذي يدعو لأبويه.

★ ★ ★

الحسنات والسيئات

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل قال: «إنَّ الله عز وجل كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن همّ بها وعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، ومن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هَمَّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة»[2]..

---

(١) ـ أخرجه مسلم (وصية) ١٤، وأبو داود (٢٨٨٠)، والترمذي (١٣٧٦)، والنسائي ٦/٢٥١، وأحمد ٢/٣٧٢، والبيهقي في «السنن» ٦/٣٧٨، والبغوي في «شرح السنة» ١/٣٠٠، والتبريزي في «المشكاة» (٢٠٣)، والطحاوي في «مشكل الآثار» ١/٩٥، وابن كثير ٧/٤٤٠، والشجري في «الأمالي» ١/٦٩ و٧٠، والدولابي في «الكنى والأسماء» ١/١٩٠.

(٢) ـ أخرجه البخاري ٨/١٢٨، ومسلم (الايمان) ٢٠٨، وأحمد ١/٣١٠ و٣٦٠ و٣٦١، =

أختي المسلمة: «أَلْهَمّ» هو حديث النفس وله درجات نهايتها العزم المصمم الذي يطلق عليه السيئة في بعض الاستعمال...

هذا حديث قدسي يرويه النبي ﷺ عن ربه بشأن كَتب الحسنات والسيئات أنه أمر الملائكة أن تكتبها فتحصيها على العبد في كتابه الذي يشهد عليه يوم القيامة كما قال سبحانه: ﴿**وإنّ عليكم لحافظين * كراماً كاتبين * يعلمون ما تفعلون**﴾ [الانفطار: ١٠-١٢]..

وقال جل شأنه في سورة ق ﴿**ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد**﴾ [ق:١٨]..

ومعنى رقيب مراقب لما يصدر منه ليكتبه عليه، ومعنى كونه عتيداً أنه حاضر مهيأ لذلك. ومعنى كونه سبحانه بين ذلك أنه عرف الحفظة كيف يكتبون فلا يحتاجون إلى الاستفسار عنه.

وقد علّمنا سبحانه على لسان نبيه ﷺ أن كتابة السيئة لا يتم بمجرد نيتها وإدراكها كالحسنة وإنما يتم بوقوعها بما تفعل أو استفراغ الجهد في سبيل تنفيذها.

كما روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «قالت الملائكة: رب عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فيقول: ارقبوه فإن عملها فاكتبوها له بمثلها وإن تركها فاكتبوها له حسنة إنما تركها من هداي»[(1)].. فما أعظم فضل الله سبحانه وأكرم إحسانه بعباده.

كما أن كتابة الحسنة على العبد لا يتم بمجرد الميل والرغبة إلاّ إذا صحب ذلك عزم مصمم. وقوله في الحديث «كتبها الله» معناه أنه سبحانه يأمر الحفظة بكتابتها لأنهم الذين يباشرون ذلك.

وقوله ﷺ بشأن من همّ بالحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن همّ بها وعملها كتبها الله سبحانه عشر حسنات إلى سبعمائة

= والتبريزي في «المشكاة» (٢٣٧٤)، وابن كثير ١/٥٠٤ والزبيدي في «الإتحاف» ٢٩٣/٧ و١٧٩/٩، والمنذري في «الترغيب» ٥٦/١ و٥٩ وغيرهم.

(١) ـ أخرجه مسلم (الإيمان) ٢٠٥، وأحمد ٣١٧/٢، وأبو عوانة ٨٤/٦ والزبيدي في «الإتحاف» ٢٩٦/٧ وفي «الاتحافات السنية» (٦١) و(٢٤٠)، والهندي في «الكنز» (١٠٣٤٦) والعراقي في «المغني عن حمل الأسفار» ٤١/٣.

ضعف إلى أضعاف كثيرة تنويهاً بكرم الله العظيم وإحسانه العميم، فمن لم يعمل حسنة كان قد نوى فعلها وعزم عليه ولكنه لم يتم له ذلك يعدها الله سبحانه له حسنة كاملة وكونها كاملة تأكيد لذلك وتقرير له ودفع لتوهم خلاف ما يدل اللفظ عليه من تمام الحسنة عند الله، وهذا يقرر ما جاء في الحديث: «إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى»[1].. فأما إذا عملها فإن الله سبحانه يجعلها عشر أمثالها كما نص عليه القرآن الكريم:

﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلاّ مثلها وهم لا يظلمون﴾ [الأنعام: ١٦٠]

فهذا جانب الحسنة إذا فعلت أو لم تفعل بعد العزم والتصميم.

فأما جانب السيئة فإن عدم فعلها بعد الهم بها تعتبر حسنة عند الله سبحانه وفي جنب إحسانه فهو سبحانه يأمر الملائكة أن يكتبوها حسنة كاملة لأنه إنما تركها من أجل الله وخشية من غضبه وانتقامه، وذلك حسنة منه لأنه خشي ربه وراقب اطلاعه وعلمه فإذا هم بالسيئة وفعلها كانت عند الله سبحانه سيئة واحدة لا عشر سيئات كما كان في الحسنة فيا لهذا الفضل والإحسان العظيم فقد شاء الله سبحانه أن يعامل المسيء بعدله وهذا في الحقيقة كرم وإحسان ولا معقب له في حكمه وهو سريع الحساب.

وأما قوله ﷺ: «إلى سبعمائة ضعف» فإنه يفيد أن تضعيف الحسنة إلى عشر أمثالها مجزوم به كما ورد في القرآن الكريم في أواخر سورة الأنعام...

وأما ما زاد على العشرة فإنه شيء جائز وقد قال العلماء: إنّ الله

---

(١) - أخرجه البخاري (١) و(٥٤) و(٢٥٢٩) و(٣٨٩٨) و(٥٠٧٠) و(٦٦٨٩) و(٦٩٥٣)، ومسلم (الإمارة) ١٥٥، والترمذي (١٦٤٧) والنسائي ١/٥٨ و٦/١٥٨ و٧/١٣، وابن ماجه (٤٢٢٧) وأبو داود (٢٢٠١) والشهاب (١١٧١) و(١١٧٢) و(١٢٧٣) وأحمد ١/٢٥، والبيهقي في «السنن» ١/٤١ و٢١٥ و٢٩٨ و٢/١٤ و٦/٣٣١ و٧/٣٤١، والمنذري في «الترغيب» ١/٥٦، وابن كثير ٢/٣٤٥ والحميدي (٢٨) والبغوي في «التفسير» ١/٤٣١ وفي «شرح السنة» ١/٤٠١ والتبريزي في «المشكاة» (١) والشجري في «الأمالي» ١/٩، وابن كثير في «البداية» ١٠/١١٨ و١١/٥٥ و١٤/١٨٠ والخطيب ٤/٢٤٤ و٦/١٥٣ و٩/٣٢٦ وأبو نعيم في «الحلية» ٦/٣٤٢ و٨/٤٢ وفي «تاريخ أصفهان» ٢/١٥ و٢٢٧، والحافظ في «تلخيص الحبير» ١/٥٥ والزبيدي في «الإتحاف» ٢/٣٨٠ و٣٨١ و٣/١٠٠ و١٣٧ و٥/٢٤٥ و٢٤٦.

سبحانه يعامل العبد بالزيادة على العشرة بحسب الزيادة في الاخلاص وصدق العزم وحضور القلب، وتعدي النفع كالصدقة الجارية والعلم النافع والسنة الحسنة، وشرف العمل ونحو ذلك. ـ قاله الحافظ ابن حجر في شرح الحديث في كتاب الرقاق من صحيح البخاري.

أختي المسلمة: لعلك رأيت في هذا الحديث صوراً بما يتعلق بعملك وأنَّ الله يحصي عليك كل حسنة وسيئة صغيرة أو كبيرة أو أنه سبحانه يرضى من عبده أن يهمّ بالحسنة ليكتبها بفضله حسنة كاملة وإن لم يفعلها. وأنه يرضى من عبده أن يعدل عن السيئة إذا همّ بها خوفاً من مقام ربه فيكتبها بفضله حسنة كاملة فإن عملها كتبت سيئة واحدة، وأنه سبحانه يكتب الحسنة إذا عملها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء سبحانه كما رأيت في البيان السابق.

وبعد: فهل تجدي مع هذا المجال المهذب للنفوس مهما كانت جامحة إلاّ أن تنكر حق الله فتتعرض لما اختارت لنفسها من الشقوة والسحق والتعس...

★ ★ ★

علاج الخطأ والتقصير

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»[1].

أختي المسلمة: الإنسان دخل هذه الدنيا بفضل الله وإحسانه وهو ضعيف عليها، يعيش في أرض الله يأكل ويشرب ويسرح ويمرح ويجيء

---

(١) ـ أخرجه الإمام أحمد ١٩٨/٢، والدارمي ٣٠٣/٢، والترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، والحاكم ٢٤٤/٤، والبغوي في «شرح السنة» ٩٢/٥، والشجري في «الأمالي» ١٩٨/١، والتبريزي في «المشكاة» (٢٣٤١)، وابن أبي شيبة ١٨٧/٣، وأبو نعيم في «الحلية» ٣٣٣/٦ والزبيدي في «الإتحاف» ٤٠٩/١ و٥٩٦/٨، وأخرجه العراقي في «المغني» ٤٤/٤ بلفظ: «وخير الخطائين المستغفرون».

ويذهب ويعمل وينام حتى يأتيه الأجل المكتوب المحتوم غير أنه في عمله معرض للتقصير في جنب الله تعالى، لأنه خلق بحسب الأصل من الطين قال تعالى:

﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين* ثم جعلناه نطفة في قرار مكين* ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين* ثم إنكم بعد ذلك لميتون* ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ [المؤمنون: ١٢-١٦].

هذا هو الإنسان موضوع علم الطب، وهذا هو الإنسان مهبط البحث في تكوينه، ورحم الله القائل عنه:

دواؤك فيك وما تشعر ... وداؤك منك وما تبصر
وتزعم أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

إن هذا الإنسان بحكم خَلقه فيه الكثير من القصور، معرض للخطأ والتقصير لا فرق بين كبير العقل وصغيره، وعملاقه ومتوسطه، لأنه عبد خاضع لحكم الله وسلطانه، ولأنه مع ماهو معرض له من الكمال معرض للنقص فهو كما قال رسول الله ﷺ: «خطاء»، ولكن الله عز وجل جعل لدائه دواء، وجعل لتقصيره وخطئه علاجاً ألا وهو: حسن المتاب والرجوع إلى الله عز وجل والتنصل من المخالفة بتركها والإعراض عنها والندم على فعلها وعقد العزم الصادق على عدم العودة إليها، قال تعالى:

﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً* وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾ [النساء: ١٧-١٨]

إنّ الله عز وجل فتح باب التوبة على مصراعيه لمن يعمل السوء بجهالة وطيش وحمق وسفه، ثم يعود إليه من قريب لأنه سبحانه وتعالى كريم يقبل توبة عبده إذا اعتذر إليه من النقيصة التي وقع فيها، **﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾** [النساء: ١١٠]..

إنّ المعصية ظُلمة تلحق القلب فتؤثر فيه تأثيراً سيئاً وتكسبه القسوة والبلادة وفساد الإدراك، يقول الإمام الشافعي:

شكوت إلى وكيع سوء حظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصي

والمعاصي إذا تتابعت كانت نكتة سوداء في القلب، فإذا تاب العبد وأقلع غسل القلب بالتوبة وإلاّ تتابعت تلك النكت حتى يسود القلب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال:

«إنَّ المؤمن إذا أذنب كانت نُكْتَةٌ سوداءُ في قلبهِ، فإن تاب ونزع واستغفر، صُقِلَ قلبه، فإن زاد زادت، فذلك الرَّانُ الذي ذكره الله في كتابه ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾»[المطففين ١٤][(1)]

والتوبة النصوح وقاية من سوء الخاتمة، وهي ترفع العبد درجات وتبدل سيئاته حسنات، قال تعالى:

﴿إلاّ من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً* ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً﴾ [الفرقان: ٧٠ - ٧١]..

وقد دعانا رب العالمين إلى التوبة بصيغة الأمر فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ [التحريم:٨].

ومن تاب إلى الله تعالى فعليه أن يكثر من الاستغفار ليصل إلى الخير الكثير والرزق الوفير، قال رسول الله ﷺ:

«من لزم الاستغفار، جعل الله له من كل ضيق فرجاً، ومن كل هم مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»[(2)].

---

(١) ـ أخرجه ابن ماجه (٤٢٤٤)، وأحمد ٢/٢٩٧، والبيهقي في «السنن» ١٠/١٨٨، والحاكم ١/٥١٧، والمنذري في «الترغيب» ٤/٩٢، وابن كثير ٨/٣٧٣، والبغوي ٧/٢٢ وفي «شرح السنة» ٥/٨٩، والطبري ١/٨٧ و٣٠/٦٢، والآجري في «الشريعة» (١١١)، والتبريزي في «المشكاة» (٢٣٤٢)، والزبيدي في «الإتحاف» ٥/٥٨ و١٠/٥٤٩.

(٢) ـ أخرجه أبو داود (١٥١٨)، وابن ماجه (٣٨١٩)، والبغوي في «شرح السنة» ٥/٧٩، والطبراني في «الكبير» ١٠/٣٤٢، وابن عساكر ٤/٢٤٨ و٤٠٣، وأبو نعيم في «الحلية» ٣/٢١١، والتبريزي في «المشكاة» (٢٣٣٩).

★ ★ ★

رحمة الله بالعباد

عن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»..(١).

أختي المسلمة: جاء هذا الحديث النبوي الشريف مبيناً أن صاحب هذه الدنيا الذي خلق الإنسان وخلق غيره من سائر الكائنات يبسط يده بالليل ليصطلح معه مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليصطلح معه مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها أي إلى أن تظهر العلامات الكبرى لقيام الناس من قبورهم للحساب في يوم تشيب من هوله الولدان، ويقول فيه الظالم يا ليتني كنت ترابا، هكذا يقرر أشرف الخلق سيدنا محمد ﷺ فيقول: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»، كرم عظيم من الله المحسن الكريم ورحمة منه إلى عباده المسيئين إلى أنفسهم، فإن الإساءة ولو كانت إلى الغير تقع أول ما تقع على المسيء نفسه كما أن الإحسان ولو إلى الغير يقع على المحسن نفسه قال تعالى ﴿**إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها**﴾ [الإسراء:٧] ورحم الله تعالى أمير الشعراء أحمد شوقي حيث يقول في مؤلفه المنثور المسجوع (أسواق الذهب):

الخير ثوابه فيه وإن أبطأ والشر عقابه فيه وقلما أخطأ

فيا أيتها الأخوات المسلمات في مشارق الأرض ومغاربها وفي شمالها وجنوبها الزموا الإحسان واجتنبوا الإساءة وأعلمن أن الجزاء من جنس العمل وأنه كما يدين الفتى يدان وكما تدين الفتاة تدان وكما تفعل

(١) ـ أخرجه مسلم (التوبة) ٣١، وأحمد ٤/٣٩٥، والبيهقي في «السنن» ٨/١٣٦ و١٠/١٨٨، والتبريزي في «المشكاة» (٢٣٢٩) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٢١)، والمنذري في «الترغيب» ٤/٨٨، وابن كثير ٦/١٣٠، والساعاتي في «منحة المعبود» (٢٢٨١)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٥٦٢)، والشيخ في «صحيح الجامع» (١٨٧١).

تجازى، وأن من تعمل مثقال ذرة من الخير تجد ثوابها محضرا، ومن تهمل مثقال ذرة من الباطل والشر تجد عقابها كذلك محضرا والديان لا يموت وهو عليم خبير وهو بالمرصاد لا تخفى عليه خافية، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وأن مصير الجميع إليه ولو طال الزمان.

★ ★ ★

جواز عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح

حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا مرحوم قال: سمعت ثابتاً البُناني قال: كنتُ عندَ أنسٍ وعندهُ ابنةٌ له، قال أنس: جاءتِ امرأةٌ إلى رسول الله ﷺ تعرضُ عليه نفسَها قالت: يا رسول الله، ألك بي حاجة؟ فقالت بنتُ أنس: ما أقلَّ حياءها، واسوأتاه. قال: «هي خيرٌ منكِ، رغبت في النبي ﷺ فعرضت عليه نفسها».[١]

بوّب له البخاري باب: «عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح» قال ابن المنير في الحاشية: من لطائف البخاري أنه لما علم الخصوصية في قصة الواهبة استنبط من الحديث مالا خصوصية فيه وهو جواز عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح رغبة في صلاحه فيجوز لها ذلك، وإذا رغب فيها تزوجها بشرطه.

وفي الحديث: جواز عرض المرأة نفسها على الرجل وتعريفه رغبتها فيه وأن لا غضاضة عليها في ذلك، وأن الذي تعرض المرأة نفسها عليه بالاختيار لكن لا ينبغي أن يصرح لها بالرد بل يكفي السكوت.

★ ★ ★

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥١٢٠) و(٦١٢٣)، وابن ماجه (٢٢٠١)، وأحمد، والسيوطي في «الدر المنثور» ٥/٢٠٩).

عدم جواز نكاح المكره

حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان عن ابن جريج عن ابن أبي مُليكة عن أبي عمرو ـ وهو ذكوان ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، يُستأمَرُ النساء في أبضاعهن؟ قال: «نعم» قلت: فإن البكر تستأمر فتستحي فتسكت، قال: «سُكاتها إذنُها».

بوّب له البخاري باب: «لا يجوز نكاح المكره»[(١)].

قال ابن بطال: ذهب الجمهور إلى بطلان نكاح المكره، وأجازه الكوفيون قالوا: فلو أكره رجل على تزويج امرأة بعشرة آلاف وكان صداق مثلها ألفاً صح النكاح ولزمته الألف وبطل الزائد، قال: فلمّا أبطلوا الزائد بالإكراه كان أصل النكاح بالإكراه أيضاً باطلاً اهـ.

فلو كان راضياً بالنكاح وأكره على المهر كانت المسألة اتفاقية يصح العقد ويلزم المسمىبالدخول، ولو أكره على النكاح والوطء لم يحد ولم يلزمه شيء، وإن وطئ مختاراً غير راض بالعقد حد.

★ ★ ★

زواج الثيّب

حدثنا إسماعيل قال: حدثني مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عبد الرحمن ومُجَمع بن يزيد بنِ جارية عن خنساء بنت خدام الأنصارية «أنَّ أباها زوَّجها وهي ثيّب فكرهت ذلك، فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها»[(٢)].

بوّب له البخاري باب: «إذا زوج الرجل ابنته وهي كارهة فنكاحه مردود، هكذا أطلق، فشمل البكر والثيب، لكن حديث الباب مصرح فيه

---

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٦٩٤٦)، وابن الجارود في «المنتقى» (٧٠٨).

(٢) ـ أحرجه البخاري في «صحيحه» (٥١٣٨) و(٥١٣٩) و(٦٩٤ف) و(٦٩٦٩).

بالثيوبة، فكأنه أشار إلى ما ورد في بعض طرقه..

ورد النكاح إذا كانَت ثيباً فزوجت بغير رضاها إجماع.

وليس لمجمع بن يزيد في البخاري سوى هذا الحديث، وقد قرنه فيه بأخيه عبد الرحمن بن يزيد ووثقه جماعة وماله في البخاري أيضاً سوى هذا الحديث.

★ ★ ★

وجوب رد المهر على الرجل إذا كرهت المرأة

حدثنا أزهرُ بن جميل، حدثنا عبد الوهاب الثقفي، حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس أنَّ امرأةَ ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس ما أعتِبُ عليه في خُلقٍ ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «أتردينَ عليه حديقته؟» قالت: نعم. قال رسول الله ﷺ «اقبل الحديقة وطلقها تطليقة»[1]

قال أبو عبد الله لا يُتابع فيه عن ابن عباس.

بوّب له البخاري باب: «الخلع» وهو في اللغة فراق الزوجة على مال، مأخوذ من خلع الثوب لأن المرأة لباس الرجل معنى.

ذكر أبو بكر بن دريد في «أماليه» أنه أول خلع كان في الدنيا أن عامر ابن الظرب زوج ابنته من ابن أخيه عامر بن الحارث بن الظرب، فلما دخلت عليه نفرت منه، فشكا إلى أبيها فقال: لا أجمع عليك فراق أهلك

---

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٢٧٣) و(٥٢٧٤) و(٥٢٧٥) و(٥٢٧٦) و(٥٢٧٧)، والنسائي ٦/١٦٩، وابن ماجه (٢٠٥٦) و(٢٠٥٧)، والبغوي في «شرح السنة» (١١٩٤٩)، وأحمد ٤/٣، والبيهقي في «السنن» ٧/٣١٣ و٣١٤ والزيلعي في «نصب الراية» ٣/٢٤٤ و٢٤٥، والدار قطني ٣/٢٥٥، والبزار ٢/٢٠٠، وعبد الرزاق (١١٧٥٩)، والطبري ٢/٢٨١، والتبريزي في «المشكاة» (٣٢٧٤)، والزبيدي في «الإتحاف» ٥/٣٩٣، والهندي في «الكنز» (١٥٢٨٠)، وابن أبي حاتم في «علل الحديث» (١٢٩٠) و(١٣٠٦) والسيوطي في «الدر المنثور» ١/٢٨٠.

ومالك، وقد خلعتها منك بما أعطيتها. قال: فزعم العلماء أنَّ هذا كان أول خلع في العرب.اهـ

وأما أول خلع في الإسلام - ويسمى أيضاً فدية وافتداءً، فقد أجمع العلماء على مشروعيته - وأول مختلعة في الإسلام حبيبة بنت سهل كانت تحت ثابت بن قيس.

قولها: «ولكني أكره الكفر في الإسلام» وكأنها أشارت إلى أنها قد تحملها شدة كراهتها له على إظهار الكفر لينفسخ نكاحها منه، وهي كانت تعرف أن ذلك حرام لكن خشيت أن تحملها شدة البغض على الوقوع فيه، ويحتمل أن تريد بالكفر كفران العشير إذ هو تقصير المرأة في حق الزوج.

قوله: «اقبل الحديقة وطلقها تطليقة» هو أمر إرشاد وإصلاح لا إيجاب.

★ ★ ★

الزواج بعد الوضع

وقال الليث: حدثني يونس عن ابن شهاب قال: حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: أن أباه كتب إلى عمر بن عبد الله بن الأرقم الزهري يأمره أن يدخل على سبيعة بنت الحارث الأسلمية فيسألها عن حديثها وعمّا قال لها رسول الله ﷺ حين استفتته. فكتب عمر بن عبد الله بن الأرقم إلى عبد الله ابن عتبة يخبره أن سبيعة بنت الحارث أخبرته أنها كانت تحت سعد بن خولة - وهو من بني عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدراً - فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل، فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تَعَلَّت من نفاسها تجمَّلت للخُطّاب، فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك - رجل من بني عبد الدار - فقال لها: مالي أراك تجملت للخُطّاب ترَجِّين النكاح؟ فإنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعةُ أشهر وعشر. قالت سبيعة: فلما قال لي ذلك: جمعت عليَّ ثيابي حين أمسيتُ وأتيتُ رسولَ الله ﷺ فسألته عن

ذلك، فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حَملي، وأمرني بالتزوج إن بدا لي.[1]

بوب له البخاري باب: «فضل من شهد بدراً»

★ ★ ★

الرجوع للزوج الأول

حدثني عبد الله بن محمد، حدثنا سفيان عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها جاءت امرأة رفاعة القُرَظيِّ إلى النبيﷺ فقالت: كنت عند رفاعة فطلقني فأبتَّ طلاقي، فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير، وإنما معهُ مثلُ هُدْبةِ الثوب. فقال: «أتريدين أن ترجعي إلى رِفاعة؟ لا،حتى تذوقي عُسَيلَتَهُ ويذوقَ عُسَيْلَتَكِ» وأبو بكر جالس عنده، وخالد بن سعيد بن العاص بالباب ينتظر أن يؤذن له. فقال: يا أبا بكر ألا تسمعُ إلى هذه ما تجهر به عند النبي ﷺ.[2]

بوّب له البخاري باب «شهادة المختبئ» وبوب له أيضاً أبواب عدة منها باب «إذا طلقها ثلاثاً ثم تزوجت بعد العدة زوجاً غيره فلم يمسها» أي هل تحل للأول إن طلقها الثاني بغير مسيس؟

وقد وقع لامرأة أخرى قريب من قصتها فأخرج النسائي من طريق سليمان بن يسار عن عبيد الله بن العباس أي ابن عبد المطلب «أن الغميصاء أو الرميصاء أتت النبي ﷺ تشكو من زوجها أنه لا يصل إليها، فلم يلبث أن

---

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٩٩١) و(٥٣١٩).

(٢) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٦٣٩) و(٥٢٦٠) و(٥٢٦١) و(٥٢٦٥) و(٥٣١٧) و(٥٧٩٢) و(٥٨٢٥) و(٦٠٨٤)، ومسلم (النكاح) ١١١، والترمذي (١١١٨)، وابن ماجه (١٩٣٢)، والبيهقي في «السنن» ٧/٣٧٤ والحميدي (٢٢٦)، وابن الجارود في «المنتقى» (٦٨٣)، والبغوي في «شرح السنة ٩/٢٣٢ وفي «التفسير» ١/٣٣١، والتبريزي في «المشكاة» (٣٢٩٥)، والزيلعي في «نصب الراية» ٣/٢٣٧، والشيخ في «إرواء الغليل» ٦/٩٧ وسعيد بن منصور (١٩٨٥)، والحاكم في «مفتاح معرفة علوم الحديث» (١٢٩) و(١٣٠).

جاء فقال: إنها كاذبة ولكنها تريد أن ترجع إلى زوجها الأول فقال: «ليس ذلك لها حتى تذوق عسيلته».

ومن طريق أيوب عن عكرمة «أن رفاعة طلق امرأته فتزوجها عبد الرحمن بن الزبير، قالت عائشة: فجاءت وعليها خمار أخضر فشكت إليها - أي إلى عائشة - من زوجها ورأتها خضرة بجلدها، فلما جاء رسول الله ﷺ والنساء يصرن بعضهن بعضاً قالت عائشة: ما رأيت ما يلقى المؤمنات، لجلدها أشد خضرة من ثوبها، وسمع زوجها فجاء ومعه ابنان له من غيرها، قالت: والله مالي إليه من ذنب إلاّ أن ما معه ليس بأغنى عني من هذه - وأخذت هدبة من ثوبها - فقال: كذبت والله يا رسول الله، إني لأنفضها نفض الأديم، ولكنها ناشزة تريد رفاعة قال: «فإن كان ذلك لم تحل له» الحديث.

وكأن هذه المراجعة بينهما هي التي حملت خالد بن سعيد بن العاص على قوله الذي وقع في رواية الباب.

ومن طريق شعيب عنه قال: فسمع خالد بن سعيد قولها وهو بالباب فقال: يا أبا بكر ألا تنهي هذه عما تجهر به عند رسول الله ﷺ فوالله ما يزيد رسول الله ﷺ على التبسم.

وفيه ما كان الصحابة عليه من سلوك الأدب بحضرة النبي ﷺ وإنكارهم على من خالف ذلك بفعله أو قوله لقول خالد بن سعيد لأبي بكر الصديق وهو جالس: «ألا تنهى هذه؟» وإنما قال خالد ذلك لأنه كان خارج الحجرة، فاحتمل عنده أن يكون هناك ما يمنعه من مباشرة نهيها بنفسه، فأمر به أبا بكر لكونه كان جالساً عند النبي ﷺ مشاهداً لصورة الحال، ولذلك لما رأى أبو بكر النبي ﷺ يتبسم عند مقالتها لم يزجرها، وتبسمه ﷺ كان تعجباً منها، إما لتصريحها بما يستحي النساء من التصريح به غالباً، وإما لضعف عقل النساء لكون الحامل لها على ذلك شدة بغضها في الزوج الثاني ومحبتها في الرجوع إلى الزوج الأول ويستفاد منه جواز وقوع ذلك.

قوله: «حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك» قال الأزهري: معنى العسيلة حلاوة الجماع الذي يحصل بتغييب الحشفة في الفرج. وقيل: معنى العسيلة النطفة.

وقال جمهور العلماء: ذوق العسيلة كناية عن المجامعة وهو تغييب حشفة الرجل في فرج المرأة، وزاد الحسن البصري: حصول الإنزال.

قال أبو عبيد: العسيلة لذة الجماع والعرب تسمي كل شيء تستلذه عسلاً.

قال ابن المنذر: أجمع العلماء على اشتراط الجماع لتحل للأول.

★ ★ ★

عدة المتوفى عنها زوجها

قالت زينبُ: وسمعتُ أمَّ سلمةَ تقول: جاءت امرأةٌ إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إنَّ ابنتي توفي عنها زوجُها، وقد اشتكت عينها، أفتَكحلها؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا ـ مرتين أو ثلاثاً كل ذلك يقول: لا ـ ثم قال رسول الله ﷺ : «إنما هي أربعة أشهر وعشر، وقد كانت إحداكنَّ في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول».[1]

قال حُميد: فقلت لزينب: وما ترمي بالبعرة على رأس الحول؟ فقالت زينب: كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت حِفشاً ولبست شر ثيابها و لم تمس طيبا حتى تمر بها سنة، ثم تؤتى بدابةٍ ـ حمارٍ أو شاةٍ أو طائر ـ فتفتضُّ به، فقلما تفتضُّ بشيء إلاّ مات، ثم تخرج فتعطى بعرةً فترمي بها، ثم تراجعُ بعدُ ما شاءت من طيبٍ أو غيره.

سُئل مالك: ما تفتضُّ به؟ قال: تمسح به جِلدَها.[2]

---

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٣٣٦) و(٥٣٣٨) و(٥٧٠٦) ومسلم (الطلاق) ٥٨، وأبو داود (الطلاق) ب ٣٤، والترمذي (١١٩٧)، والنسائي ٦/١٨٩، والبيهقي في «السنن» ٧/٤٢٨ و٤٣٧، وابن كثير ١/٤٢٠، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٢/٤٧، والشافعي (٣٠٠)، والحميدي (٣٧١٢)، ومالك في «الموطأ» ٢/٥٩٧، وابن عبد البر في «التجريد» (ـ٢٢٨)، والهندي في «الكنز» (٢٨٠٠٦).

(٢) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٣٣٧)، والحميدي (٣٠٤).

بوّب له البخاري باب: «تُحِدُّ المتوفى عنها أربعة أشهر وعشراً»، قال أهل اللغة: أصل الإحداد المنع، ومنه سمي البواب حداداً لمنعه الداخل، وسميت العقوبة حداً لأنها تردع عن المعصية.

وقال ابن درستويه: معنى الإحداد منع المعتدة نفسها الزينة وبدنها الطيب ومنع الخطاب خطبتها والطمع فيها كما منع الحد المعصية.

قال النووي: فيه دليل على تحريم الاكتحال على الحادة سواء احتاجت إليه أم لا. وجاء في حديث أم سلمة في «الموطأ» وغيره «اجعليه بالليل وامسحيه بالنهار» ووجه الجمع أنها إذا لم تحتج إليه لا يحل، وإذا احتاجت لم يجز بالنهار ويجوز بالليل مع أن الأولى تركه، فإن فعلت مسحته بالنهار.

قال: وتأول بعضهم الحديث على أنه لم يتحقق الخوف على عينها، وتعقب بأن في حديث شعبة المذكور «فخشوا على عينيها» وفي رواية ابن منده: «رمدت رمداً شديداً وقد خشيت على بصرها» وفي رواية الطبراني أنها قالت في المرة الثانية: «إنها تشتكي عينها فوق ما يظن، فقال: لا «وفي رواية القاسم بن أصبغ أخرجها ابن حزم «إني أخشى أن تنفقئ عينها، قال: لا وإن انفقأت» وسنده صحيح، وبمثل ذلك أفتت أسماء بنت عميس أخرجه ابن أبي شيبة، وبهذا قال مالك في رواية عنه بمنعه مطلقاً، وعنه يجوز إذا خافت على عينها بما لا طيب فيه، وبه قال الشافعية مقيداً بالليل، وأجابوا عن قصة المرأة باحتمال أنه كان يحصل لها البرء بغير الكحل كالتضميد بالصبر ونحوه، وقد أخرج ابن أبي شيبة عن صفية بنت أبي عبيد أنها أحدت على ابن عمر فلم تكتحل حتى كادت عيناها تزيغان فكانت تقطر فيهما الصبر...

ومنهم من تأول النهي على كحل مخصوص وهو ما يقتضي التزين به لأن محض التداوي قد يحصل بما لا زينة فيه فلم ينحصر فيما فيه زينة.

وقال طائفة من العلماء: يجوز ذلك ولو كان فيه طيب، وجملوا النهي على التنزيه جمعاً بين الأدلة.

★ ★ ★

افتخار الضرة على ضرتها

حدثني محمد بن المثنى، حدثنا يحيى عن هشام، حدثتني فاطمة عن أسماء أن امرأةً قالت: يا رسول الله، إنَّ لي ضرة، فهل عليَّ جناح إن تشبعت من زوجي غير الذي يعطيني؟ فقال رسول الله ﷺ: «المتشبع بما لم يُعْط كلابس ثوبي زور».[1]

بوّب له البخاري باب: «المتشبع بما لم ينل، وما ينهى من افتخار الضرة» أشار بهذا إلى ما ذكره أبو عبيد في تفسير الخبر قال: قوله: «المتشبع» أي المتزين بما ليس عنده يتكثر بذلك ويتزين بالباطل، كالمرأة تكون عند الرجل ولها ضرة فتدَّعي من الحظوة عند زوجها أكثر مما عنده تريد بذلك غيظ ضرتها، وكذلك هذا في الرجل، قال: وأما قوله: «كلابس ثوبي زور» فإنه الرجل يلبس الثياب المشبهة لثياب الزهاد يوهم أنه منهم، ويظهر من التخشع والتقشف أكثر مما في قلبه منه.

قال: وفيه وجه آخر أن يكون المراد بالثياب الأنفس كقولهم: فلان نقي الثوب إذا كان بريئاً من الدنس، وفلان دنس الثوب إذا كان مغموصاً عليه في دينه.

وقال الخطابي: الثوب مثل، ومعناه أنه صاحب زور وكذب.

★ ★ ★

الغسل واجب على المرأة في حالة الإحتلام

حدثنا محمد بن سلام قال: أخبرنا أبو معاوية قال: حدثنا هشام عن أبيه

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٢١٩)، ومسلم (اللباس) ١٢٦ و١٢٧، وأبو داود (٤٩٩٧)، وأحمد ١٦٧/٧ و٣٤٥ و٣٤٦ و٣٥٣، والبيهقي في «السنن» ٣٠٧/٧، والطبراني في «الصغير» ١٠٦/٢، والبزار ٤٤٤/٢. والنسائي في «عشرة النساء» (٣٤) و(٣٥) و(٣٦) والدارمي في «نقض الدارمي على المريسي» (١٩٢)، والحاكم في «معرفة علوم الحديث» (٣٧)، والهيثمي في «المجمع» ٩٨/٨، والتبريزي في «المشكاة» (٣٢٤٧)، والخطيب ٢٢٢/١، والزبيدي في «الإتحاف» ٣٣٢/٢ و٥٢٦/٧، =

عن زينب ابنة أم سلمة عن أم سلمة قالت: جاءت أم سُلَيم إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إنّ الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ قال النبي ﷺ: «إذا رأت الماء» فغَطَّتْ أم سلمة ـ تعني وجهها ـ وقالت: يا رسول الله، وتحتلم المرأة؟ قال: «نعم، تربت يمينك فبم يشبهها ولدها»؟[1]

بوّب له البخاري باب «الحياء في العلم» وأورد قول مجاهد: لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر، وقالت عائشة: نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين.

والحياء من الإيمان، وهو الشرعي الذي يقع على وجه الإجلال والاحترام للأكابر، وهو محمود. وأما ما يقع سبباً لترك أمر شرعي فهو مذموم، وليس هو بحياء شرعي، وإنما هو ضعف ومهانة، وهو المراد بقول مجاهد: لا يتعلم العلم مستحي .

«إن الله لا يستحيي من الحق» أي لا يأمر بالحياء في الحق، وقدمت أم سليم هذا الكلام بسطاً لعذرها في ذكر ما تستحيي النساء من ذكره بحضرة الرجال ـ وأم سليم هي بنت ملحان والدة أنس بن مالك ـ ولهذا قالت لها عائشة كما ثبت في «صحيح مسلم»: فضحت النساء.

«إذا هي احتلمت» أي رأت في منامها أنها تجامع.

قوله: «إذا رأت الماء» يدل على تحقق وقوع ذلك، وجعل رؤية الماء شرطاً للغسل يدل على أنها إذا لم تر الماء لا غسل عليها.

★ ★ ★

الاغتسال من إناء واحد

حدثنا قَبيصةُ قال: حدثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن الأسود

= والحميدي (٣١٩).

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٣٠) و(٢٨٢) و(٣٢٢٨) و(٦٠٩١) و(٦١٢١)، ومسلم (الحيض) ٣٢، والنسائي ١/١١٥، وابن ماجه (٦٠٠)، وأحمد ٦/٣٠٦ =

عن عائشةَ قالت: كنتُ أغتسلُ أنا والنبي ﷺ من إناءٍ واحدٍ كلانا جُنبٌ.[1]

وكان يأمرني فأتزر فيباشرني وأنا حائض.[2]

وكان يُخرِجُ رأْسَهُ إليّ وهو معتكف فأغسله وأنا حائض.[3]

حدثنا إسماعيل بن خليل قال: أخبرنا علي بن مسهرٍ قال: أخبرنا أبو إسحاق ـ هو الشيباني ـ عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عائشة قالت: كانت إحدانا إذا كانت حائضاً فأراد رسول الله ﷺ أن يباشرها أمرها أن تتزر من فور حيضتها ثم يباشرها. قالت: وأيكم يملك إربه كما كان النبي ﷺ يملك إربه؟[4]

حدثنا أبو النعمان قال: حدثنا عبد الواحد قال: حدثنا الشيباني قال: حدثنا عبد الله بن شداد قال: سمعت ميمونة: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يباشر امرأةً من نسائه أمرها فاتزرت وهي حائض»[5]

بوّب له البخاري باب: «مباشرة الحائض» المراد بالمباشرة هنا التقاء البشرتين، لا الجماع.

قولها: «يملك إربه» قيل: المراد عضوه الذي يستمتع به، وقيل حاجته،

= و٣٠٢، والدارمي ١/١٩٥، والنسائي في «عشرة النساء» (١٩١) و(١٩٢)، وعبد الرزاق (١٠٩٣)، والبيهقي في «السنن» ١/١٦٨، والشيخ في «إرواء الغليل» ١/١٦٢، وابن خزيمة (٢٣٥).

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٩٩) وأحمد ٦/٣٧ و٢١٠ والبغوي في «شرح السنة ٢/٢٣، وابن عدي ٧/٢٥١٨.

(٢) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٠٠) و(٢٠٣٠)، وأحمد ٦/٥٥ وعبد الرزاق (١٢٤٨).

(٣) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٠١).

(٤) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٠٢)

(٥) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٠٣)، وأبو داود (٢٦٨)، والترمذي (الطهارة) ب ١٧٧ و(الحيض) ب ١٢، والنسائي ١/١٥١ و١٨٩، وأبي عوانة ١/٣٠٩ والدولابي =

والمراد أنه ﷺ كان أملك الناس لأمره، فلا يخشى عليه ما يخشى على غيره من أن يحوم حول الحمى، ومع ذلك فكان يباشر فوق الإزار تشريعاً لغيره ممن ليس بمعصوم، وبهذا قال أكثر العلماء، وهو الجاري على قاعدة المالكية في باب سد الذرائع.

وذهب كثير من السلف والثوري وأحمد وإسحاق إلى أن الذي يمتنع من الاستمتاع بالحائض الفرج فقط، وبه قال محمد بن الحسن من الحنفية ورجحه الطحاوي، وهو اختيار أصبغ من المالكية، وأحد القولين أو الوجهين للشافعية واختاره ابن المنذر. وقال النووي: هو الأرجح دليلاً لحديث أنس في مسلم: «اصنعوا كل شيء إلا الجماع» وحملوا حديث وشبهه على الاستحباب جمعاً بين الأدلة. وقال ابن دقيق العيد: ليس في حديث الباب ما يقتضي منه ما تحت الإزار لأنه فعل مجرد انتهى.

ويدل على الجواز أيضاً ما رواه أبو داود بإسناد قوي عن عكرمة عن بعض أزواج النبي ﷺ أنه كان إذا أراد من الحائض شيئاً ألقى على فرجها ثوباً، واستدل الطحاوي على الجواز بأن المباشرة تحت الإزار دون الفرج لا توجب حداً ولا غسلاً فأشبهت المباشرة فوق الإزار.

وفصل بعض الشافعية فقال: إن كان يضبط نفسه عند المباشرة عن الفرج ويثق منها باجتنابه جاز وإلاّ فلا، واستحسنه النووي.

ولا يبعد تخريج وجه مفرق بين ابتداء الحيض وما بعده لظاهر التقييد بقولها: «فور حيضتها»، ويؤيده ما رواه ابن ماجه بإسناد حسن عن أم سلمة أيضاً أن النبي ﷺ كان يتقي سورة الدم ثلاثاً ثم يباشر بعد ذلك، ويجمع بينه وبين الأحاديث الدالة على المبادرة إلى المباشرة على اختلاف هاتين الحالتين.

...حدثنا ابن أبي مريم، أخبرنا محمد بن جعفر قال: أخبرني زيد عن عياض بن عبد الله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى، ثم انصرف فوعظ النساء وأمرهم بالصدقة فقال: «أيها الناس، تصدقوا، فمرَّ على النساء فقال: يا معشر النساء

= في «الكنى والأسماء» ١٣٦/٢، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١٦٥/٢ و١٦٦، وابن عدي ٦٤٩/٢.

تصدقن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار» فقلن: وبم ذلك يا رسول الله؟ قال: «تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب لِلُبِّ الرجُل الحازم من إحداكن يا معشر النساء» ثم انصرف، فلما صار إلى منزله جاءت زينب امرأة ابن مسعود تستأذن عليه، فقيل: يا رسول الله، هذه زينب. فقال: أيُّ الزيانب»؟ فقيل: امرأةُ ابن مسعود. قال: «نعم، ائذنوا لها»، فأُذِنَ لها. قالت: يا نبي الله، إنك أمرت اليومَ بالصدقة، وكان عندي حُلّيٌّ لي فأردتُ أن أتصدق بها، فزعم ابن مسعود أنه وولدَهُ أحقُّ من تصدَّقتُ به عليهم. فقال النبي ﷺ: «صدق ابن مسعود، زوجُكِ وولدُكِ أحقُّ من تصدَّقتِ به عليهم»[1]

بوّب له البخاري باب: «الزكاة على الأقارب»

قال الزين بن المنير: ووجه استدلاله لذلك أن صدقة التطوع على الأقارب لما لم ينقص أجرها بوقوعها موقع الصدقة والصلة معاً كانت صدقة الواجب كذلك، لكن لا يلزم من جواز صدقة التطوع على من يلزم المرء نفقته أن تكون الصدقة الواجبة كذلك. وقد اعترضه الإسماعيلي بأن الذي في الأحاديث التي ذكرها مطلق الصدقة لا الصدقة الواجبة فلا يتم استدلاله إلاّ إن أراد الاستدلال على أن الأقارب في الزكاة أحق بها إذ رأى النبي ﷺ صرف الصدقة المتطوع بها إلى الأقارب أفضل فلذلك حينئذ له وجه.

قال ابن رشيد: قد يؤخذ ما اختاره المصنف من حديث أبي طلحة الذي صدر به الباب والذي قال: حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك عن إسحاق أن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخلٍ، وكانَ أحبٌّ أمواله

(١) ـ أخرج البخاري في «صحيحه» (٣٠٤) و(١٤٦٢) و(١٩٥١) و(٢٦٥٨)، ومسلم (الإيمان) ١٣٢، والترمذي (٢٦١٣)، وابن ماجه (٤٠٠٣) وأحمد ٣٦٣/١ و٥٢٤ و٣٣٤ و٦٦/٢ و٣٦٣، والبيهقي في «السنن» ٣٠٨/١ و٢٣٥/٤ و١٤٨/١٠، والحاكم ١٩٠/٢ و٣٠٦/٤، والزيلعي في «نصب الراية» ٩٠/٤ و٩٨، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٣٠٥/٣، والتبريزي في «مشكاة المصابيح» (١٩)، والنسائي في «عشرة السناء» (٣١٨)، والشيخ في «إرواء الغليل» ٢٠٤/١ و٢٠٥ و٣٨٥/٣، وابن منده في «الإيمان» (٧٥٦) و(٩٥٦) و(٣٦٦).

إليه بَيرُحاءَ، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشربُ من ماءٍ فيها طيب. قال أنس: فلما أُنزلت هذه الآية ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ [آل عمران: ٩٢] قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ وإنَّ أحبّ أموالي إليَّ بَيرُحاءَ، وإنها صدقةٌ لله أرجو برّها وذُخرَها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك اللهُ. قال: فقال رسول الله ﷺ: «بخ، ذلك مالٌ رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعتُ ما قلتَ، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين» فقال أبو طلحة: إفعل يا رسول الله. فقسَمَها أبو طلحة في أقاربهِ وبني عمه. الحديث (١٤٦١) و(٢٣١٨) و(٢٧٥٢) و(٢٧٥٨) و(٢٧٦٩) و(٤٥٥٤) و(٤٥٥٥) و(٥٦١١).

يؤخذ ما اختاره البخاري من حديث أبي طلحة فيما فهمه من الآية، وذلك أن النفقة في قوله تعالى: ﴿حتى تنفقوا﴾ أعم من أن يكون واجباً أو مندوباً فعمل بها أبو طلحة في فرد من أفراده، فيجوز أن يعمل بها في بقية مفرداته، ولا يعارض قوله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء﴾ [التوبة: ٦٠] لأنها تدل على حصر الصدقة الواجبة في المذكورين. وأما صنيع أبي طلحة فيدل على تقديم ذوي القربى إذا اتصفوا بصفة من صفات أهل الصدقة على غيرهم...

قلت: وسيأتي الكلام على بقية حديث امرأة ابن مسعود في الكلام على الحديث التالي...

★ ★ ★

ثبوت الرضاعة بالاستفاضة

حدثنا آدم، حدثنا شعبةُ أخبرنا الحكم عن عراك بن مالك عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذن عليَّ أفلح فلم آذن له، فقال: أرضعتك امرأةُ أخي بلبن أخي، فقالت: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدق أفلح، ائذني له»[1].

---

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٦٤٤) و(٤٧٩٦)، و(٥١٠٣) و(٥١١١) =

حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن عَمْرةَ بنت عبد الرحمن أن عائشة رضي الله عنها زوج النبيﷺ أخبرتها أن النبيﷺ كان عندها، وأنها سمعت صوت رجل يستأذن في بيت حفصة، قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله أُراه فلاناً، لعم حفصة من الرضاعة. فقالت عائشة: لو كان فلانٌ حياً ـ لعمها من الرضاعة ـ دخل عليَّ، فقال رسول الله ﷺ: «نعم، إنَّ الرَّضاعة يحرم منها ما يحرم من الولادة»[١].

حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان عن أشعث بن أبي الشعثاء عن أبيه عن مسروق أن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل النبي ﷺ وعندي رجل فقال: «يا عائشة من هذا؟» قلت: أخي في الرضاعة، قال: «يا عائشة انظرن مَن إخوانُكنَّ، فإنما الرضاعة من المجاعة»[١].

بوّب له البخاري باب: «الشهادة على الأنسب والرضاع المستفيض والموت القديم» هذه الترجمة معقودة لشهادة الاستفاضة وذكر منها النسب والرضاعة والموت القديم، فأما النسب فيستفاد من أحاديث الرضاعة فإنه من لازمه، وقد نقل فيه الإجماع. وأما الرضاعة فيستفاد ثبوتها بالاستفاضة من أحاديث الباب، فإنها كانت في الجاهلية وكان ذلك مستفيضاً عند من وقع له. وأما الموت القديم فيستفاد منه حكمه بالإلحاق قاله ابن المنير، واحترز بالقديم عن الحادث، والمراد بالقديم ما تطاول الزمان عليه، وحدَّه بعض المالكية بخمسين سنة وقيل: بأربعين.

واختلف العلماء في ضابط ما تقبل فيها الشهادة بالاستفاضة فتصح عند الشافعية في النسب قطعاً والولادة، وفي الموت والعتق والولاء والوقف

= و(٥٢٢٩) و(٦١٥٦)، والبيهقي في «السنن» ٤٥٢/٧.

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٦٤٦) و(٣١٠٥) و(٥٠٩٩) ومسلم (الرضاع) ١، والنسائي ١٠٣/٦، وأحمد ١٧٨/٦، والبيهقي في «السنن» ١٥٩/٧ و٤٥١، والبغوي ٥٠٢/١، والشيخ في «إرواء الغليل» ٢٠٣/٦ وابن الجارود في «المنتقى» (٦٨٧).

(٢) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٦٤٧) و(٥١٠٢)، والبيهقي في «السنن» ٤٦٠/٧، وأبي نعيم في «الحلية» ١١٦/٧.

والولاية والعزل والنكاح وتوابعه والتعديل والتجريح والوصية والرشد والسفه والملك على الراجح في جميع ذلك، وبلغها بعض المتأخرين من الشافعية بضعة وعشرين موضعاً وهي مستوفاة في «قواعد العلائي» وعن أبي حنيفة تجوز في النسب والموت والنكاح والدخول وكونه قاضياً، زاد أبو يوسف: والولاء، زاد محمد: والوقف، قال صاحب «الهداية» وإنما أجيز استحساناً وإلاّ فالأصل أن الشهادة لا بد فيها من المشاهدة، وشرط قبولها أن يسمعها من جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب، وقيل أقل ذلك أربعة أنفس، وقيل يكفي من عدلين، وقيل يكفي من عدل واحد إذا سكن القلب إليه.

★ ★ ★

تربية البنات

حدثنا بشر بن محمد قال: أخبرنا عبد الله، أخبرنا معمر عن الزهري قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة، فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ علينا، فأخبرته فقال: «من ابتلي من هذه البنات بشيء كنّ له ستراً من النار».[1]

بوّب له البخاري باب: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، والقليل من الصدقة» ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم﴾ [البقرة: ٢٦٥] الآية إلى قوله ﴿من كل الثمرات﴾ قال الزين بن المنير وغيره:

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٤١٨) و(٥٩٩٥)، ومسلم (البر والصلة) ٣٤٧، والترمذي (١٩١٣) و(١٩١٩٥)، وأحمد ٨٨/٦ و١٦٦ و٢٣٤، والبيهقي في «السنن» ٤٧٨/٧، وعبد بن حميد في «المنتخب» (١٤٧٣) والمنذري في «الترغيب» ٦٦/٣، والتبريزي في «المشكاة» (٤٩٤٩) وابن المبارك في «الزهد» (٧٢) و(١٤٩) و(١٥٠)، والبغوي في «شرح السنة» ١٨٧/٧ وابن أبي الدنيا في «العيال» (١٢٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» ٣٣٨/١ والهندي في «الكنز» (٤٥٣٦٣).

جمع البخاري بين لفظ الخبر والآية لاشتمال ذلك كله على الحث على الصدقة قليلها وكثيرها، فإن قوله تعالى ﴿أموالهم﴾ يشمل قليل النفقة وكثيرها، ويشهد له قوله «لا يحل مال امرئ مسلم إلاّ عن طيب نفس» فإنه يتناول القليل والكثير، إذ لا قائل بحل القليل دون الكثير.

وقد أخرجه البخاري أيضاً بلفظ: «من يلي من هذه البنات شيئاً فأحسن إليهنَّ كنَّ له ستراً من النار» وقد اختلف في المراد بالإحسان هل يقتصر به على قدر الواجب أو بما زاد عليه؟ والظاهر الثاني، فإنَّ عائشة أعطت المرأة التمرة فآثرت بها ابنتيها فوصفها النبي ﷺ بالإحسان بما أشار إليه من الحكم المذكور، فدل على أن من فعل معروفاً لم يكن واجباً عليه أو زاد على قدر الواجب عليه عد محسناً، والذي يقتصر على الواجب وإن كان يوصف بكونه محسناً لكن المراد من الوصف المذكور قدر زائد، وشرط الإحسان أن يوافق الشرع لا ما خالفه، والظاهر أن الثواب المذكور إنما يحصل لفاعله إذا استمر إلى أن يحصل استغناؤهن عنه بزوج أوغيره كما أشير إليه في بعض ألفاظ الحديث، والإحسان إلى كل أحد بحسب حاله، وقد جاء أن الثواب المذكور يحصل لمن أحسن لواحدة فقط ففي حديث ابن عباس «فقال رجل من الأعراب: أو اثنتين؟ فقال: «أو اثنتين» وفي حديث عوف بن مالك عند الطبراني «فقالت امرأة» وفي حديث جابر «وقيل» وفي حديث أبي هريرة «قلنا» وهذا يدل على تعدد السائلين.

وفي الحديث: تأكيد حق البنات لما فيهن من الضعف غالباً عن القيام بمصالح أنفسهن، بخلاف الذكور لما فيهم من قوة البدن وجزالة الرأي وإمكان التصرف في الأمور المحتاج إليها في أكثر الأحوال. قال ابن بطال: وفيه جواز سؤال المحتاج، وسخاء عائشة لكونها لم تجد إلا تمرة فآثرت بها، وأن القليل لا يمتنع التصدق به لحقارته، بل ينبغي للمتصدق أن يتصدق بما تيسر له قل أو كثر. وفيه جواز ذكر المعروف إن لم يكن على وجه الفخر ولا المنة.

وقال النووي تبعاً لابن بطال: إنما سماه ابتلاء لأن الناس يكرهون البنات، فجاء الشرع بزجرهم عن ذلك، ورغب في إبقائهن وترك قتلهن بما ذكر من الثواب الموعود به من أحسن إليهن وجاهد نفسه في الصبر عليهن.

قال: وقال شيخنا في «شرح الترمذي»: يحتمل أن يكون معنى الابتلاء هنا الاختبار، أي من اختبر بشيء من البنات لينظر ما يفعل أيحسن إليهن أو يسيء، ولهذا قيده في حديث أبي سعيد بالتقوى، فإن من لا يتقي الله لا يأمن أن يتضجر بمن وكله الله إليه، أو يقصر عما أمر بفعله، أو لا يقصد بفعله امتثال أمر الله وتحصيل ثوابه والله أعلم.

★ ★ ★

النهي عن وصل الشعر

حدثنا آدم، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مُرَّةَ قال: سمعت الحسن بنِ مسلم بن يَنّاقٍ يحدِّث عن صفيةَ بنتِ شيبة عن عائشة رضي الله عنها أنَّ جاريةً من الأنصار تزوجت، وأنها مرضت فتمعَّطَ شعرُها، فأرادوا أن يصلوها، فسألوا النبي ﷺ فقال: «لعن الله الواصلة والمستوصلة».[1]

حدثني أحمد بن المقدام، حدثنا فُضيل بن سليمان، حدثنا منصور بنِ عبد الرحمن قال: حدثتني أمي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنَّ امرأةً جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: إني أنكحتُ ابنتي، ثم أصابها شكوى فتمزق رأسها، وزوجها يستحثني بها، أفأصل رأسها؟ فسبَّ رسول الله ﷺ الواصلةَ والمستوصلة.[2]

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٢٠٥) و(٥٩٣٤)، ومسلم (اللباس) ب ٣٣ رقم ١١٥، والترمذي (١٧٥٩) و(٢٧٨٣)، والنسائي ٨/١٤٦ و١٨٨ وابن ماجه (١٩٣٣)، وأحمد ٢/٣٣٩ و٦/١١١ و٣٤٥ و٣٤٦ و٣٥٣، والبيهقي في «السنن» ٢/٤٢٦ و٧/٢٠، والبغوي في «شرح السنة» ١٢/١٠٢، والخطيب ١١/٣٠٩ والتبريزي في «مشكاة المصابيح» (٤٤٣٠)، والحميدي (٣٢١، والحافظ في «الزوائد» ٢١٥٧) والهيثمي في «المجمع» ٥/١٥٩، والطبراني في «الكبير» ١٩/٣٢٢ والمنذري في «الترغيب» ٣/١١٩.

(٢) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٩٣٥) و(٥٩٣٦) و(٥٩٤١) وسلم (اللباس) ب ٣٣ رقم ١١٧ و١١٩، وأبو داود (٤١٦٨) والنسائي ٨/١٤٥ و١٨٧ وابن ماجه (١٩٨٧)، وأحمد ١/٢٥١ و٣٣٠ و٤٦٢ و٢/٣٣٩ و٥/٢٥، والطحاوي في=

بوّب له البخاري باب: «لا تطيع المرأة زوجها في معصية» وبوب له أيضاً باب: «وصل الشعر»

قوله: «فتمعط» أي خرج من أصله، وأصل المعط المد كأنه مد إلى أن تقطع، ويطلق أيضاً على من سقط شعره.

قوله: «فتمزق» أي تقطع.

★ ★ ★

الهدية للأقرب فالأقرب

حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا شبابةُ، حدثنا شعبة، حدثنا أبو عمران قال: سمعت طلحة بن عبد الله، عن عائشة رضي الله عنها قلت: يا رسول الله إنَّ لي جارين فإلى أيهما أهدِي؟، قال: «إلى أقربهما منكِ باباً».[1]

بوّب له البخاري باب: «أي الجوار أقرب» وطلحة بن عبد الله رجل من بني تيم بن مرة وليس لطلحة بن عبد الله في البخاري سوى هذا الحديث.

قال ابن بطال: لا حجة في هذا الحديث لمن أوجب الشفعة بالجوار لأن عائشةَ إنما سألت عمن تبدأ به من جيرانها بالهدية فأخبرها بأن الأقرب أولى.

قال الحافظ: وأجيب بأن وجه دخوله في الشفعة أن حديث أبي رافع يثبت شفعة الجوار فاستنبط من حديث عائشة تقديم الأقرب على الأبعد للعلة في مشروعية الشفعة لما يحصل من الضرر بمشاركة الغير الأجنبي بخلاف الشريك في نفس الدار واللصيق للدار.

★ ★ ★

= «مشكل الآثار» ٤١/٢، والطبراني في «الكبير» ٢٠٤/١١، والهيثمي في «المجمع» ١٦٩/٥، وابن عدي ١٦٢٠/٤.

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٢٥٩) و(٢٥٩٥) و(٦٠٢٠) وأحمد ٢٣٩/٦، والبيهقي في «السنن» ٢٧٥/٦، والحاكم ١٦٧/٤، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٢٨/٤، والبغوي ٥٢٣/١، وفي «شرح السنة» ١٩٧/٦ والهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٦٦/٨، والخطيب ٢٧٥/٧، وابن كثير ٢٦٣/٢ والساعاتي في «منحة المعبود» (٢٠٣٧)، والطبراني في «الكبير» ٤٢١/١٩ و٤٢٢، والتبريزي في «مشكاة المصابيح» (١٩٣٦)، وابن المبارك في «المسند» (٢٢٨) و(٢٥٩) و(٢٤٤).

النفقة على الأقارب

حدثنا عمر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش قال: حدثني شقيق عن عمرو بن الحارث عن زينب امرأة عبد الله رضي الله عنهما.

قال: فذكرته لإبراهيم فحدثني إبراهيم عن أبي عُبيدةَ عن عمرو بن الحارث عن زينب امرأة عبد الله بمثله سواءً قالت: كنتُ في المسجدِ فرأيتُ النبي ﷺ فقال: «تَصَدَّقْن ولو مِن حُلِيّكنّ» وكانت زينبُ تُنفِق على عبد الله وأيتام في حجرها. فقالت لعبد الله: سل رسول الله ﷺأيجزى عني أن أُنفِقَ عليك وعلى أيتامي في حجري من الصدقة؟ فقال: سلي أنتِ رسولَ الله ﷺ. فانطلقتُ إلى النبي ﷺ فوجدت امرأةً منَ الأنصارِ على البابِ حاجتها مثل حاجتي فمرَّ علينا بِلالٌ فقلنا: سل النبي ﷺ أيجزى عني أن أنفِقَ على زوجي وأيتامٍ لِي في حجري. وقلنا: لا تُخبرْ بنا. فدخل فسأله فقال: «من هما؟ قال: زينبُ. قال: «أيُّ الزيانب؟ قال: امرأة عبد الله. قال: «نعم، ولها أجران، أجر القرابة وأجر الصدقة».(1)

حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا عبدة، عن هشام، عن أبيه، عن زينب بنت أم سلمة، عن أم سلمة قالت: قلتُ: يا رسول الله، إليَ أجرٌ أن أُنفقَ على بني أبي سلمةَ؟ إنما هم بَنِيَّ. فقال: «أنفقي عليهم، فلك أجرُ ما أنفقتِ عليهم».(2)

بوّب له البخاري باب «الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر».

(1) - أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٤٦٦)، ومسلم (الزكاة) ٤٦ والنسائي (الزكاة) ب ٨٠، وأحمد ١/٤٢٥ و٣/٥٠٢، و٦/٣٦٣، وابن خزيمة (٢٤٦٣)، والساعاتي في «منحة المعبود» (١٦٤٢)، والحافظ في «تغليق التعليق» (٥١٤)، والبغوي في «شرح السنة» ٦/١٨٦، والنسائي في «عشرة النساء» (٣١٩) و(٣٢، ٩)، وفي «الأسماء المبهمة» (٥٢٤)، وابن أبي شيبة ٣/١١٠ و١١١، وابن أبي عاصم (٤٦٣).

(2) - أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٤٦٧) و(٥٣٦٩)، وأحمد ٦/٣١٠، وابن حبان في «موارد الظمآن» (٨٣١) للهيثمي، وأبي نعيم في «الحلية» ٢/٦٩، وابن كثير ٥/٦٨، وعبد الرزاق (١٩٦٢٨) و(١٩٦٩٦)، والتبريزي في «مشكاة المصابيح» (١٩٣٣).

قال ابن رشيد: أعاد الأيتام في هذه الترجمة لعموم الأولى وخصوص الثانية، ومحمل الحديثين في وجه الاستدلال بهما على العموم لأن الإعطاء أعم من كونه واجباً أو مندوباً.

واستدل بهذا الحديث على جواز دفع المرأة زكاتها إلى زوجها، ويؤيد ذلك أن ترك الاستفصال ينزل منزل العموم، فلما ذكرت الصدقة ولم يستفصلها عن تطوع ولا واجب فكأنه قال: تجزئ عنك فرضاً كان أو تطوعاً..

وفي الحديث الحث على الصدقة على الأقارب، وفيه الحث على صلة الرحم وجواز تبرع المرأة بمالها بغير إذن زوجها، وفيه عظة النساء، وترغيب ولي الأمر في أفعال الخير للرجال والنساء، والتحدث إلى النساء الأجانب عند أمن الفتنة، والتخويف من المؤاخذة بالذنوب وما يتوقع بسببها من العذاب وفيه فتيا العالم مع وجود من هو أعلم منها، وطلب الترقي في تحمل العلم.

قال القرطبي: ليس إخبار بلال باسم المرأتين بعد أن استكتمتاه بإذاعة سر ولا كشف أمانة لوجهين: أحدهما: أنهما لم تلزماه بذلك وإنما علم أنهما رأتا أن لا ضرورة تحوج إلى كتمانهما. ثانيهما: أنه أخبر بذلك جواباً لسؤال النبي ﷺ لكون إجابته أوجب من التمسك بما أمرتاه به من الكتمان، وهذا كله بناء على أنه التزم لهما بذلك. ويحتمل أن تكونا سألتاه، ولايجب إسعاف كل سائل.

★ ★ ★

الهدية للقريب وإن كان مشركاً

حدثنا عبيد بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن أسماءَ بنتِ أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قَدِمَتْ عليَّ أمِّي وهي مشركةٌ في عهد رسول الله ﷺ، فاستفتيت رسولَ الله ﷺ قلتُ: إنَّ أمي قدمت وهي راغبةٌ، أفأصِلُ أمي؟ قال: «نعم، صلي أُمَّكِ».(1)

(1) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٦٢٠) و(٣١٨٣) و(٥٩٧٨) و(٥٩٧٩)، وأحمد ٦/٣٤٤ و٣٤٧، والزبيدي في «الإتحاف» ٦/٣١٢، وابن كثير ٨/١١٦.

بوّب له البخاري باب: «الهدية للمشركين» وقول الله تعالى: ﴿**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين**﴾ [الممتحنة:٨].

والمراد بيان من يجوز بره منهم، وأن الهدية للمشرك إثباتاً ونفياً ليس على الإطلاق، ومن هذه المادة قوله تعالى: ﴿**وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفًا**﴾ [لقمان: ١٥] . ثم البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحابب والتوادد المنهى عنه في قوله تعالى: ﴿**لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوآدون من حاد الله ورسوله**﴾ [المجادلة:٢٢]، فإنها عامة في حق من قاتل ومن لم يقاتل والله أعلم.

قال الخطابي: فيه أن الرحم الكافرة توصل من المال ونحوه كما توصل المسلمة، ويستنبط منه وجوب نفقة الأب الكافر والأم الكافرة وإن كان الولد مسلماً.

★ ★ ★

الغناء في العيد

حدثنا أحمد قال:حدثنا ابن وهب قال: أخبرنا عمرو أنَّ محمد بن عبد الرحمن الأسدي حدثه عن عروة عن عائشة قالت: دخل عليٌّ رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بُعاثَ، فاضطجع على الفراش وحول وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرني وقال: مزمارة الشيطان عند النبي ﷺ! فأقبل عليه رسول الله عليه السلام فقال: «دعهما» فلما غفل غمزتهما فخرجتا.

وكان يومَ عيد يلعب فيه السودان بالدَّرَقِ والحراب، فإمَّا سألتُ النبي ﷺ وإما قال: «تشتهين تنظرين؟» فقلت: نعم. فأقامني وراءهُ خدي على خده وهو يقول: «دونكم يا بني أرفِدةَ» حتى إذا مللتُ قال: «حسبك؟» قلت: نعم. قال: «فاذهبي».

بوّب له البخاري باب: «الحراب والدرق يوم العيد» الحِراب جمع حربة، والدرق جمع درقة وهي الترس.

قال ابن المنير في «الحاشية»: بأن مراد البخاري الاستدلال على أن العيد يغتفر فيه من الانبساط مالا يغتفر في غيره اهـ.

قوله: «مزمارة الشيطان» يعني الغناء أو الدف، لأن المزمارة أو المزمار مشتق من الزمير وهو الصوت الذي له الصفير، ويطلق على الصوت الحسن وعلى الغناء، وسميت به الآلة المعروفة التي يزمر بها، وإضافتها إلى الشيطان من جهة أنها تلهي، فقد تشغل القلب عن الذكر.

قوله: «دعهما» زاد في رواية هشام «يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا» ففيه تعليل الأمر بتركهما، وإيضاح خلاف ما ظنه الصديق من أنهما فعلتا ذلك بغير علمه ﷺ لكونه دخل فوجده مغطى بثوبه فظنه نائماً فتوجه له الإنكار على ابنته من هذه الأوجه مستصحباً لما تقرر عنده من منع الغناء واللهو، فبادر إلى إنكار ذلك قياماً عن النبي ﷺ بذلك مستنداً إلى ما ظهر له، فأوضح له النبي ﷺ الحال، وعرفه الحكم مقروناً ببيان الحكمة بأنه يوم عيد، أي يوم سرور شرعي فلا ينكر فيه مثل هذا كما لا ينكر في الأعراس، وبهذا يرتفع الإشكال عمن قال: كيف ساغ للصديق إنكار شيء أقره النبي ﷺ؟

واستدل جماعة من الصوفية بحديث الباب على إباحة الغناء وسماعه بآلة وبغير آلة، ويكفي في رد ذلك تصريح عائشة في الحديث الذي في الباب بعده بقولها: «وليستا بمغنيتين» فنفت عنهما من طريق المعنى ما أثبته لهما باللفظ، لأن الغناء يطلق على رفع الصوت وعلى الترنم الذي تسميه العرب النَصْب، ولا يسمى فاعله مغنياً وإنما يسمى بذلك من ينشد بتمطيط وتكسير وتهييج وتشويق بما فيه تعريض بالفواحش أو تصريح.

قال القرطبي: قولها: «ليستا بمغنيتين» أي ليستا ممن يعرف الغناء كما يعرفه المغنيات المعروفات بذلك، وهذا منها تحرز عن الغناء المعتاد عند المشتهرين به، وهو الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن، وهذا النوع إذا كان في شعر فيه وصف محاسن النساء والخمر وغيرهما من الأمور المحرمة لا يختلف في تحريمه، قال: وأما ما ابتدعه الصوفية في ذلك فمن قبيل ما لا

يختلف في تحريمه، لكن النفوس الشهوانية غلبت على كثير ممن ينسب إلى الخير، حتى لقد ظهرت من كثير منهم فعلات المجانين والصبيان، حتى رقصوا بحركات متطابقة وتقطيعات متلاحقة، وانتهى التواقح بقوم منهم إلى أن جعلوها من باب القرب وصالح الأعمال، وأن ذلك يثمر سني الأحوال وهذا ـ على التحقيق ـ من آثار الزندقة، وقول أهل المخرفة والله المستعان اهـ

وفي هذا الحديث من الفوائد: مشروعية التوسعة على العيال في أيام الأعياد بأنواع ما يحصل لهم بسط النفس وترويح البدن من كلف العبادة، وأن الإعراض عن ذلك أولى. وفيه أن إظهار السرور في الأعياد من شعار الدين. وفيه جواز دخول الرجل على ابنته وهي عند زوجها إذا كان له بذلك عادة، وتأديب الأب بحضرة الزوج وإن تركه الزوج، إذ التأديب وظيفة الآباء، والعطف مشروع من الأزواج للنساء، وفيه الرفق بالمرأة واستجلاب مودتها، وأن مواضع أهل الخير تنزه عن اللهو واللغو وإن لم يكن فيه إثم إلاّ باذنهم. وفيه أن التلميذ إذا رأى عند شيخه ما يستكره مثله بادر إلى إنكاره، ولا يكون في ذلك افتئات على شيخه، بل هو أدب منه ورعاية لحرمته وإجلال لمنصبه، وفيه فتوى التلميذ بحضرة شيخه بما يعرف من طريقته، ويحتمل أن يكون أبو بكر ظن أن النبي ﷺ نام فخشي أن يستيقظ فيغضب على ابنته فبادر إلى سد هذه الذريعة.

ومن قول عائشة في آخر هذا الحديث: «فلما غفل غمزتهما فخرجتا» دلالة على أنها مع ترخيص النبي ﷺ لها في ذلك راعت خاطر أبيها وخشيت غضبه عليها فأخرجتهما، واقتناعها في ذلك بالإشارة فيما يظهر للحياء من الكلام بحضرة من هو أكبر منها والله أعلم.

واستدل به على جواز سماع صوت الجارية بالغناء ولو لم تكن مملوكة لأنه ﷺ لم ينكر على أبي بكر سماعه بل أنكر إنكاره، واستمرتا إلى أن أشارت إليهما عائشة بالخروج. ولا يخفى أن محل الجواز ما إذا أمنت الفتنة بذلك والله أعلم.

قوله: «فإما سألت رسول الله ﷺ وإما قال: تشتهين تنظرين» هذا تردد منها فيما كان وقع له هل كان أذن لها في ذلك ابتداء منه أو عن سؤال منها، وهذا بناء على أن سألْت ـ بسكون اللام ـ على أنه كلامها. ويحتمل أن

يكون ـ بفتح اللام ـ فيكون كلام الراوي فلا ينافي مع ذلك قوله: «وإما قال: تشتهين تنظرين» وقد اختلفت الروايات عنها في ذلك ففي رواية النسّائي من طريق يزيد بن رومان عنها «سمعت لغطاً وصوت صبيان فقام النبي ﷺ فإذا حبشية تزفن ـ أي ترقص ـ والصبيان حولها فقال: يا عائشة، تعالي فانظري» ففي هذا أنه ابتدأها، وفي رواية عبيد بن عمير عنها عند مسلم أنها قالت: «وددت أني أراهم» ففي هذا أنها سألت، ويجمع بينهما بأنها التمست منه ذلك فأذن لها.

قوله: «حتى إذا مللت»، وفي رواية الزهري» حتى أكون أنا الذي أسأم» ولمسلم من طريقه «ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا الذي أنصرف» وفي رواية يزيد بن رومان عند النسائي «أما شبعت، أما شبعت؟» قالت: فجعلت أقول: لا، لأنظر منزلتي عنده. وله من رواية أبي سلمة عنها قالت: «يا رسول الله لا تعجل، فقام لي ثم قال: «حسبك؟» قلت: لا تعجل. قالت: وما بي حب النظر إليهم ولكن أحببت أن يبلغ النساء مقامه لي ومكاني منه»[1].

واستدل به على جواز اللعب بالسلام على طريق التواثب للتدريب على الحرب والتنشيط عليه، واستنبط منه جواز المثاقفة لما فيها من تمرين الأيدي على آلات الحرب، قال عيّاض: وفيه جواز نظر النساء إلى فعل الرجال الأجانب لأنه إنما يكره لهن النظر إلى المحاسن والاستلذاذ بذلك.

★ ★ ★

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٩٤٩) و(٩٥٢) و(٩٨٧) و(٢٩٠٧) و(٣٥٣٠) و(٣٩٣١)، ومسلم (العيدين) ب ٤ رقم ١٧ و١٩ والنسائي ١٩٧/٣، والبيهقي في «السنن» ٩٢/٧ و٢٢٤/١٠، والتبريزي في «المشكاة» (١٤٣٢)، والزبيدي في «الإتحاف» ٤٩٠/٦، والكحال في «الأحكام النبوية» ٣٠/٢ ـ ٤٥ ـ أخرجه البخاري في «صحيحه»(٩٥٠)،ومسلم (العيدين) ١٩، والبيهقي في «السنن» ٢١٨/١٠، والزبيدي في «الإتحاف» ٤٩٣/٦ والطحاوي في «مشكل الآثار» ١١٧/١، وابن أبي شيبة ٤٣٨/٧ و٥٦٤/١٠ وابن سعد ١٠٤/٢، والذهبي في «الطب النبوي» (١١٤)، وابن كثير في «البداية» ٦٩/٦، والشيخ في «آداب الزفاف» (١٦٨)، والهندي في «الكنز» (٢٨٤٧٣).

نصائح الرسول في مواطن الشبه

حدثنا محمد بن مقاتل أبو الحسن قال: أخبرنا عبد الله قال: أخبرنا عمر ابن سعيد بن أبي حسين قال: حدثني عبد الله بن أبي مليكة عن عقبة بن الحارث أنه تزوج ابنةً لأبي إهاب بن عزيز فأتته امرأةٌ فقالت: إني قد أرضعت عقبة والتي تزوج، فقال لها عقبة: ما أعلم أنك أرضعتني، ولا أخبرتني. فركب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، فسأله، فقال رسول الله ﷺ: «كيف وقد قيل؟» ففارقها عقبةُ، ونكحَت زوجاً غيرَه.[1]

حدثنا يحي بن قَزَعةَ، حدثنا مالك، عن ابن شهاب، عن عُروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان عتبة بن أبي وقاص عهد إلى أخيه سعد بن أبي وقاص أنَّ وليدة زَمْعَةَ مِنِّي فاقبضهُ. قالت: فلما كان عام الفتح أخذه سعد بن أبي وقاص وقال: ابنُ أخي، قد عهد إليَّ فيه. فقام عبد ابن زمْعَةَ فقال: أخي، ابن وليدةِ أبي وُلِدَ على فراشه. فتساوقا إلى رسول الله ﷺ، فقال سعد: يا رسول الله، ابن أخي، كان قد عهد إليَّ فيه. فقال عبد ابن زمعة: أخي، وابن وليدة أبي، وُلِدَ على فراشه. فقال النبي ﷺ: «هو لك يا عبد بن زَمْعَة» ثم قال النبي ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» ثم قال لسودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ: «احتجبي يا سودة» لما رأى من شبهة بعتبة، فما رآها حتى لقي الله.[2]

---

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٨٨) و(٢٠٥٢) و(٢٦٤٠) و(٢٦٥٩) و(٢٦٦٠) و(٥١٠٤)، وأحمد ٤/٧ و٨ و٣٨٤ والدارمي ١٥٨/٢، والطبراني في «الكبير» ٣٥٢/١١ و٣٥٣/١٧ و٣٥٤، وسعيد بن منصور في «سننه» (٩٩٠)، وابن أبي شيبة ١٩٦/٤، والحميدي (٥٧٩)، والبغوي في «شرح السنة» ٨٧/٩ و٨٧، والدارقطني ١٧٧/٤، والبيهقي في «السنن» ٤٦٣/٧، والشيخ في «إرواء الغليل» ٢٢٥/٧، والزبيدي في «الإتحاف» ٩١/١، وعبد الرزاق (١٥٤٣٦).

(٢) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٠٥٣) و(٢٢١٨) و(٢٤٢١) و(٢٥٣٣) و(٢٧٤٥) و(٤٣٠٣) و(٦٧٤٩) و(٦٧٦٥) و(٦٨١٧) و(٧١٨٢)، وأبو داود (٢٢٧٣) والترمذي (١١٥٧)، وابن ماجه (٢٠٠٦) و(٢٠٠٧)، وأحمد ٢٥/١ و٩٥ و٦٥ و٦٩ و٢٠٧/٢ و٢٣٩ و٢٨٠ و٣٨٦ و٤٧٥ و٧٦/٤ و١٨٧ =

أورد ذلك البخاري تحت باب «تفسير المشبهات» وأراد أن يعرف الطريق إلى معرفتها لتجتنب...

ووجه الدلالة من الحديث الأول قوله: «كيف وقد قيل»؟ فإنه يشعر بأن أمره بفراق امرأته إنما كان لأجل قول المرأة إنها أرضعتهما، فاحتمل أن يكون صحيحاً فيرتكب الحرام، فأمره بفراقها احتياطاً على قول الأكثر.

ووجه الدلالة من الحديث الثاني قوله ﷺ«احتجبي منه يا سودة» مع حكمه بأنه أخوها لأبيها، لكنه لما رأى الشبه البين فيه من غير زمعة أمر سودة بالاحتجاب منه احتياطاً في قول الأكثر...

★ ★ ★

السن بالسن

حدثنا الأنصاري، حدثنا حميد، عن أنس رضي الله عنه أن ابنةَ النضر لطمت جاريةً فكسرت ثنيتها، فأتوا النبي ﷺ فأمر بالقصاص.

بوّب له البخاري باب: «السن بالسن»(1) قال ابن بطال: أجمعوا على

= و٥/٢٦٧و٦/٣٧ و١٢٩ و٢٣٧ و٢٤٦ والدارمي ٢/١٥٢، والبيهقي في «السنن» ٦/٨٦ و٧/١٥٧ و٤٠٢ و٤١٢ و١٠/١٥٠ و٢٦٦، والساعاتي في «بدائع المنن» (١٦٨٥)، والشافعي في «المسند» (١٨٨)، والحميدي (١٠٨٥)، ومالك في «الموطأ» ٢/٧٣٩، وعبد الرزاق (٥٨٠٠) و(١٢٣٦٩) و(١٣٨٢١) و(١٣٨٢٤)، والطبراني في «الكبير» ١٠/٢٩٧ و١١/١٥٣ و١٧/٣٣ و٣٤ و٣٥ و٣٦ و٢٦١، و«جامع مسانيد أبي حنيفة» ٢/٥٨ و٦٥ و٧٣ و١٠٥، والهيثمي في «مجمع الزوائد» ٥/١٣ و١٤و٧/٢٥١، والحافظ في «المطالب العالية» (١٦٧٥)، وابن عساكر ٢/٣٨٤ والبغوي في «شرح السنة» ٩/٢٧٦، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ٣/١٠٤ وابن كثير في «البداية» ٨/٢٨، وسعيد بن منصور في «سننه» (٩٤٢٧ و(٢١٣١) و(٢١٣٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٥/٨٩، والخطيب ١١/١١٦ و١٤/١٤٤ وأبي نعيم في «الحلية» ٢/١٦٧، وابن أبي شيبة ٤/٤١٥، والداز قطني ٣/٤١ و٣١٤ و٤/٧٠ و٢٤١، والبزار ٢/١٩٨ ومسلم (الرضاع) ٣٦ و٣٧ وابن المبارك في «الزهد» (٢٣٣)، والربيع بن حبيب ٢/٥٠، وابن سعد ٤/١٣٩، وأبي نعيم في «تاريخ أصفهان» ٢/٢٢٨.

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٦٨٩٤).

قلع السن بالسن في العمد، واختلفوا في سائر عظام الجسد، فقال مالك: فيها القود إلاّ ما كان مجوفاً أو كان كالمأمومة والمنقلة والهاشمة ففيها الدية واحتج بالآية، ووجه الدلالة منها أن شرع من قبلنا شرع لنا إذا ورد على لسان نبينا بغير إنكار، وقد دل قوله: «السن بالسن» على إجراء القصاص في العظم لأن السن عظم إلاّ ما أجمعوا على أن لا قصاص فيه إما لخوف ذهاب النفس وإما لعدم الاقتداء على المماثلة فيه. وقال الشافعي والليث والحنفية: لا قصاص في العظم غير السن لأن دون العظم حائلاً من جلد ولحم وعصب يتعذر معه المماثلة، فلو أمكنت لحكمنا بالقصاص، ولكنه لا يصل إلى العظم حتى ينال ما دونه مما لا يعرف قدره.

قوله: «لطمت جارية فكسرت ثنيتها» والمراد بالجارية المرأة الشابة لا الأمة الرقيقة.

وفي الحديث: استحباب العفو عن القصاص، والشفاعة في العفو وإن الخيرة في القصاص أو الدية للمستحق على المستحق عليه، وإثبات القصاص بين النساء في الجراحات وفي الأسنان، وفيه الصلح على الدية، وجريان القصاص في كسر السن، ومحله فيما إذا أمكن التماثل بأن يكون المكسور مضبوطاً فيبرد من سن الجاني ما يقابله بالمبرد مثلاً.

★ ★ ★

أقضية رسول الله ﷺ في المرأتين اللتين اقتتلتا

حدثنا سعيد بن عفير، حدثنا الليث قال: حدثني عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قضى في امرأتين من هذيل اقتتلتا، فرمت إحداهما الأخرى بحجر، فأصاب بطنها وهي حامل، فقتلت ولدها الذي في بطنها، فاختصموا إلى النبي ﷺ، فقضى أن دية ما في بطنها غُرَّةٌ عبدٌ أو أمة، فقال وليُّ المرأة التي غَرِمت: كيف أغرَم يا رسول الله من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهلّ، فمثلُ ذلك يُطلّ. فقال النبي ﷺ: «إنما هذا من إخوان الكهان».[1]

---

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٧٥٨) و(٥٧٥٩) و(٥٧٦٠) و(٦٧٤٠) =

بوّب له البخاري باب: «الكهانة» قال في «الجامع»: العرب تسمي كل من أذن بشيء قبل وقوعه كاهناً.

وقال الخطابي: الكهنة قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة وطباع نارية، فألفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب في هذه الأمور، وساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم إليه. وكانت الكهانة في الجاهلية فاشية خصوصاً في العرب لانقطاع النبوة فيهم، وهي على أصناف:

منها ما يتلقونه من الجن، فإن الجن كانوا يصعدون إلى جهة السماء فيركب بعضهم بعضاً إلى أن يدنو الأعلى بحيث يسمع الكلام فيلقيه إلى الذي يليه، إلى أن يتلقاه من يلقيه في أذن الكاهن فيزيد فيه، فلما جاء الإسلام ونزل القرآن حرست السماء من الشياطين، وأرسلت عليهم الشهب، فبقي من استراقهم ما يتخطفه الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب. وكانت إصابة الكهان قبل الإسلام كثيرة جداً، وأما في الإسلام فقد ندرت حتى كادت تضمحل.

ثانيها: ما يخبر الجنيُ به من يواليه بما غاب عن غيره مما لا يطلع عليه الإنسان غالباً، أو يطلع عليه من قرب منه لا من بعد.

ثالثها: ما يستند إلى ظن وتخمين وحدس، وهذا قد يجعل الله فيه لبضع الناس قوة مع كثرة الكذب فيه.

رابعها: ما يستند إلى التجربة والعادة، فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك، ومن هذا القسم الأخير ما يضاهي السحر، وقد يعتضد بعضهم في ذلك بالزجر والطرق والنجوم، وكل ذلك مذموم شرعاً.

قوله: «إنما هذا من إخوان الكهان» أي لمشابهة كلامه كلامهم، أي من أجل سجعه الذي تسجع.

★★★

= و(٦٩٠٤) و(٦٩٠٩) و(٦٩١٠)، ومسلم (القسامة) ٣٦، وأبو داود (٤٥٦٧)، والنسائي ٨/٤٨، والبيهقي في «السنن» ٨/١٠٥ و١١٣، والساعاتي في «بدائع المنن»(١٤٦١)، والشيخ في «إرواء الغليل» ٧/٢٦٢، والشافعي (٧٤٨) ومالك في «الموطأ» ٢/٨٥٥، والزبيدي في «الإتحاف» ١/٢٤٧، وابن عبد البر في «التمهيد» ٦/٤٧٧ و٤٨١، والهندي في «الكنز» (٤٠٤٢٢).

الخالة بمنزلة الأم

●عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن امرأةً أتت رسول الله ﷺ فقالت: إنَّ ابني هذا كان بطني لهُ وعاءً وثديي له سقاءً، وحجرتي له جواءً، وإن اباهُ طلقني وأراد أن ينتزعه مني.

فقال رسولُ الله ﷺ: «أنتِ أحقُ به ما لم تنكحي»[1]

●عن القاسم بن محمد رحمه الله. قال: «كانت عند عمر بن الخطاب امرأة من الأنصار. فولدت له عاصم بن عمر، ثم إنه فارقها فجاء عُمر قباءً فوجد ابنه عاصماً يلعب بفناء المسجد، فأخذ بعضُده فوضعه بين يديه على الدابةِ. فأدركته جدّة الغلام فنازعتهُ إياهُ حتى أتيا أبا بكر الصديق، فقال: ابني، وقالت المرأةُ: ابني فقال: أبو بكر الصديقُ: حل بينهما وبينهُ، قال: فما راجعهُ عمرُ الكلام»[2]

●عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: «خَرَجَ زيد بن حارثة إلى مكة، فقدم بابنةُ حمزة، فقال جعفر: أنا آخذها، أنا أحق بها، ابنة عمي وعندي خالتها، وإنما الخالة أم، فقال عليّ: أنا أحقّ بها، ابنة عمي، وعندي ابنة رسول الله ﷺ، وهي أحق بها، فقال زيد: أنا أحق بها أنا خرجت إليها، وسافرت، وقدمت بها، فقضى بها رسول الله ﷺ لجعفر وقال: الخالة أمّ»[3]

★ ★ ★

من وصاياه ﷺ في الطب

حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري قال: أخبرني عبيد الله ابن عبد الله، أن أم قيس بنت محصن الأسدية - أسد خزيمة - وكانت من

---

(١) - أخرجه ابو داود (٢٢٧٦) في الطلاق.

(٢) - أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/٧٦٧).

(٣) - أخرجه ابو داود (٢٢٧٨) و(٢٢٨٠).

المهاجرات الأول اللاتي بايعن النبيﷺ وهي أخت عكاشة أخبرته أنها أتت رسول الله ﷺبابنٍ لها قد أعلقت عليه من العذرة، فقال النبي ﷺ: «علامَ تَدْغَرْنَ أولادكنَّ بهذا العِلاقِ؟ عليكن بهذا العود الهندي، فإن فيه سبعة أشفيةٍ، منها ذات الجنب ـ يريد الكُسْت وهو العود الهندي ـ ».[1]

وقال يونس وإسحاق بن راشد عن الزهري: «علقتْ عليه».

بوّب له البخاري باب: «العذرة» هو وجع الحلق، وهو الذي يسمى سقوط اللهاة، وقيل: هو موضع قريب من اللهاة، واللهاة في أقصى الحلق.

قوله: «تدغرن» خطاب للنسوة، والدغر غمز الحلق.

★ ★ ★

ما يطرح من النجاسة

حدثنا إسماعيل قال: حدثني مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس عن ميمونة، أنَّ رسول الله ﷺ سئل عن فأرةٍ سقطت في سمنٍ، فقال: «ألقوها وما حولها فاطرحوه وكلوا سمنكم»[2]

قال الحافظ: السائل عن ذلك هي ميمونة بنت الحارث خالة ابن عباس.

---

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٧١٥) و(٥٧١٣) و(٥٧١٨) و(٥٦٩٢)، ومسلم (السلام) ب ٢٨ رقم ٨٦، وأبو داود (الطب) ب ١٣، وابن ماجه (٣٤٦٢)، والبيهقي في «السنن» ٧/٤٦٥ و٩/٣٤٦، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ٤/٣٢٤، وابن عساكر ٥/١٧٨، والحميدي (٣٤٤) والذهبي في «الطب النبوي» (٧٢)، وأحمد ٦/٣٥٦.

(٢) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٣٥) و(٦٢٣) و(٥٥٣٨) و(٥٥٣٩) و(٥٥٤٠)، والترمذي (١٧٩٨)، والسنائي ٧/١٧٨، وأحمد ٦/٣٢٩ و٣٣٠ و٣٣٥، والدارمي ١/٢٨٨ و٢/١٠٩، والبيهقي في «السنن» ٩/٣٥٣ و٣٥٤ والهيثمي في «المجمع» ١/٢٨٧، والتبريزي في «المشكا» (٤١١٦)، والدولابي في «الكنى والأسماء ٢/١٤٧ والحميدي (٣١٢)، وأبي نعيم في «الحلية» ٣/٣٧٩.

بوّب له البخاري باب «ما يقع من النجاسات في السمن والماء» أي هل ينجسهما أم لا؟ أو لا ينجس الماء إلاّ إذا تغير دون غيره؟ وهذا الذي يظهر من مجموع ما أورده المصنف في الباب من حديث وأثر كقول الزهري: لا بأس بالماء ما لم يُغيره طعم أو ريح أو لون. وقال حماد: لا بأس بريش الميتة. وقال الزهري في عظام الموتى ـ نحو الفيل وغيره ـ أدركت ناساً من سلف العلماء يمتشطون بها ويدهنون فيها لا يرون به بأساً. وقال ابن سيرين وإبراهيم: ولا بأس بتجارة العاج.

وقوله: «لا بأس بالماء» أي لا حرج في استعماله في كل حالة، فهو محكوم بطهارته ما لم يغيره طعم أي من شيء بخس أو ريح منه أو لون، ومقتضى هذا أنه لا يفرق بين القليل والكثير إلاّ بالقوة المانعة للملاقى أن يغير أحد أوصافه، فالعبرة عنده بالتغير وعدمه، ومذهب الزهري هذا صار إليه طوائف من العلماء، وقد تعقبه أبو عبيد في كتاب «الطهور» بأنه يلزم منه أن من بال في إبريق و لم يغير للماء وصفاً أنه يجوز له التطهر به، وهو مستبشع ولهذا نصر قول التفريق بالقلتين وإنما لم يخرجه البخاري لاختلاف وقع في إسناده، وقول الزهري هذا ورد فيه حديث مرفوع قال الشافعي: لا يثبت أهل الحديث مثله...

قوله: «سئل عن فأرة» والسائل عن ذلك كما تقدم هي ميمونة، ووقع في رواية يحيى القطان وجويرية عن مالك في هذا الحديث «أن ميمونة استفتت» رواه الدار قطني وغيره.

نقل ابن عبد البر الاتفاق على أن الجامد إذا وقعت فيه ميتة طرحت وما حولها منه إذا تحقق أن شيئاً من أجزائها لم يصل الى غير ذلك منه،.وأما المائع فاختلفوا فيه، ذهب الجمهور إلى أنه ينجس كله بملاقاة النجاسة، وخالف فريق منهم الزهري والأوزاعي.. وكذلك مسألة الانتفاع بالدهن النجس أو المتنجس..

قال ابن المنير: مناسبة حديث السمن للآثار الواردة عن الزهري وحماد اختيار البخاري أن المعتبر في التنجيس تغير الصفات، فلما كان ريش الميتة لا يتغير بتغيرها بالموت وكذا عظمها فكذلك السمن البعيد عن موقع الميتة إذا لم يتغير، واقتضى ذلك أن الماء إذا لاقته النجاسة و لم يتغير أنه لا

يتنجس.

وقال البخاري: حدثنا أحمد بن محمد قال: أخبرنا عبد الله قال: أخبرنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «كل كَلْم يُكلمهُ المسلم في سبيل الله تكونُ يومَ القيامة كهيئتها إذ طُعِنَتْ تَفَجَّرُ دماً: اللونُ لونُ الدَّم، والعَرْفَ عَرفُ المِسْك» (٢٣٧) و(٢٨٠٣) و(٥٥٣٣).

وقد استشكل إيراد المصنف لهذا الحديث في هذا الباب، فقال الإسماعيلي هذا الحديث لا يدخل في طهارة الدم ولا نجاسته، وإنما ورد في فضل المطعون في أن الماء لا يتنجس بمجرد الملاقاة ما لم يتغير، فاستدل بهذا الحديث على أن تبدل الصفة يؤثر في الموصوف، فكما أن تغير صفة الدم بالرائحة الطيبة أخرجه من الذم إلى المدح فكذلك تغير صفة الماء إذا تغير بالنجاسة يخرجه عن صفة الطهارة إلى النجاسة، وتعقب بأن الغرض إثبات انحصار التنجيس بالتغير وما ذكر يدل على أن التنجيس يحصل بالتغير وهو وفاق، لا أنه لا يحصل إلاّ به وهو موضع النزاع.

وقال بعضهم: مقصود البخاري أن يبين طهارة المسك رداً على من يقول بنجاسته لكونه دماً انعقد، فلما تغير عن الحالة المكروهة من الدم وهي الزهم وقبح الرائحة إلى الحاله الممدوحة وهي طيب رائحة المسك دخل عليه الحل وانتقل من حالة النجاسة إلى حالة الطهارة كالخمر إذا تخللت.

وقال ابن رشيد: مراده أن انتقال الدم إلى الرائحة الطيبة هو الذي نقله من حالة الذم إلى حالة المدح، فحصل من هذا تغليب وصف واحد وهو الرائحة على وصفين وهما الطعم واللون، فيستنبط منه أنه متى تغير أحد الأوصاف الثلاثة بصلاح او فساد تبعه الوصفان الباقيان، وكأنه أشار بذلك إلى رد ما نقل عن ربيعة وغيره أن تغير الوصف الواحد لا يؤثر حتى يجتمع وصفان، قال: ويمكن أن يستدل به على أن الماء إذا تغير ريحه بشيء طيب لا يسلبه اسم الماء، كما أن الدم لم ينتقل عن اسم الدم مع تغير رائحته إلى رائحة المسك لأنه قد سماه دماً مع تغير الريح، فما دام الاسم واقعاً على المسمى فالحكم تابع له. اهـ كلامه.

قال الحافظ: ويرد على الأول أنه يلزم منه أن الماء إذا كانت أوصافه الثلاثة فاسدة ثم تغيرت صفة واحدة منها إلى صلاح أنه يحكم بصلاحه كله،

وهو ظاهر الفساد، وعلى الثاني: أنه لا يلزم من كونه لم يسلب اسم الماء أن لا يكون موصوفاً بصفة تمنع من استعماله مع بقاء اسم الماء عليه والله أعلم.

★ ★ ★

أحب الدين إلى الله أدومه

حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا يحيى عن هشام قال: أخبرني أبي عن عائشة أنَّ النبيﷺ دخل عليها وعندها امرأةٌ. قال: «من هذه؟» قالت: فلانة ـ تذكر من صلاتها ـ قال: «مه، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يَمَلُّ اللهُ حتى تَمَلُّوا»، وكان أحبَّ الدين إليه ما داوم عليه صاحبه.[1]

بوّب له البخاري «باب أحب الدين إلى الله أدومه» ومراده الاستدلال على أن الايمان يطلق على الأعمال، لأن المراد بالدين هنا العمل، والدين الحقيقي مرادف للإيمان، فيصح بهذا مقصوده، ومناسبته لما قبله من قوله: «عليكم بما تطيقون» لأنه لما تقدم أن الإسلام يحسن بالأعمال الصالحة أراد أن ينبه على أن جهاد النفس في ذلك إلى حد المغالبة غير مطلوب...

قوله: «مه» قال الداودي: أصل هذه الكلمة «ما هذا» كالإنكار فطرحوا بعض اللفظة فقالوا: مه، فصيروا الكلمتين كلمة...

وهذا الزجر يحتمل أن يكون لعائشة، والمراد نهيها عن مدح المرأة بما ذكرت، ويحتمل أن يكون المراد النهي عن ذلك الفعل، وقد أخذ بذلك جماعة من الأئمة فقالوا: يكره صلاة جميع الليل...

قوله: «عليكم بما تطيقون» أي اشتغلوا من الأعمال بما تستطيعون المداومة عليه، فمنطوقه يقتضي الأمر بالاقتصار على ما يطاق من العبادة، ومفهومه يقتضي النهي عن تكلف ما لا يطاق، وقوله «عليكم» مع أن المخاطب النساء طلباً لتعميم الحكم، فغلبت الذكور على الإناث.

---

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٤٣) و(١١٥١)، والنسائي (الايمان) ب ٢٩، وابن ماجه(٤٢٣٨)، وأحمد ٥١/٦، والبيهقي في «السنن» ١٧/٣ وابن خزيمة (١٢٨٢)، والزبيدي في «الإتحاف» ٣٦٨/٦، وابن عبد البر في «تجريد التمهيد» (٩٠٤).

قوله: «فوالله» فيه جواز الحلف من غير استحلاف، وقد يستحب إذا كان في تفخيم أمر من أمور الدين أو حث عليه أو تنفير من محذور.

قوله: «لا يمل الله حتى تملوا» قال الهروي: معناه لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله فتزهدوا في الرغبة إليه.

★ ★ ★

الالتفات في الصلاة

حدثنا مسدد قال: حدثنا أبو الأحوص قال: حدثنا أشعث بن سليم عن أبيه عن مسروق عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة المعبد».[1]

بوّب له البخاري باب: «الالتفات في الصلاة» لم يبين المؤلف حكمه، لكن الحديث الذي أورده على الكراهة وهو إجماع، لكن الجمهور على أنها للتنزيه. وسبب كراهة الالتفاف يحتمل أن يكون لنقص الخشوع، أو لترك استقبال القبلة ببعض البدن.

قوله: «هو اختلاس» أي اختطاف بسرعة، وقع في «النهاية» والاختلاس افتعال من الخلسة وهي ما يؤخذ سلباً مكابرة، وفيه نظر.

وقال غيره: المختلس الذي يخطف من غير غلبة ويهرب ولو مع معاينة المالك له والناهب يأخذ بقوة، والسارق يأخذ في خفية. فلما كان الشيطان قد يشغل المصلي عن صلاته بالالتفات إلى شيء ما بغير حجة يقيمها أشبه المختلس.

وقال ابن بزيزة: أضيف إلى الشيطان لأن فيه انقطاعاً من ملاحظة

---

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٧٥١)، و(٣٢٩١)، وأبو داود (استفتاح الصلاة) ب ٥٠، والترمذي (٥٩٠)، والبيهقي في «السنن» ٢/٢٨١، وعبد الرزاق (٣٢٧٥)، وابن خزيمة (٤٨٤) و(٩٣١)، والحاكم ١ك/٢٣٧، والبغوي في «شرح السنة» ٣/٢٥١، والشيخ في «إرواء الغليل» ٢/٩٠، وأبي نعيم في «الحلية» ٩/٢٣، وابن كثير في «البداية» ١/٦٥، والهندي في «الكنز» (١٩٩٨٢).

التوجه إلى الحق سبحانه.

وقال الطيبي: سمي اختلاساً تصويراً لقبح تلك الفعلة بالمختلس، لأن المصلي يقبل عليه الرب سبحانه وتعالى، والشيطان مرتصد له ينتظر فوات ذلك عليه، فإذا التفت اغتنم الشيطان الفرصة فسلبه تلك الحالة.

قوله: «يختلسه» قيل: الحكمة في جعل سجود السهو جابراً للمشكوك فيه دون الالتفات وغيره مما ينقص الخشوع لأن السهو لا يؤاخذ به المكلف، فشرع له الجبر دون العمد ليتيقظ العبد له فيجتنبه.

★ ★ ★

كيفية الصيام يوم الجمعة

حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن شعبة. ح. وحدثني محمد، حدثنا غُنْدَرُ، حدثنا شعبةُ عن قتادة، عن أبي أيوب، عن جُوَيرية بنت الحارث رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة فقال: «أصمت أمس؟» قالت: لا. قال: «تريدين أن تصومي غداً؟» قالت: لا. قال: «فأفطري».[(١)]

بوّب له البخاري باب: «صوم يوم الجمعة، وإذا أصبح صائماً يوم الجمعة فعليه أن يفطر».

واختلف في سبب النهي عن إفراد الجمعة بالصوم على أقوال:

أحدها: لكونه يوم عيد والعيد لا يصام، واستشكل ذلك مع الإذن بصيامه مع غيره. وأجاب ابن القيم وغيره بأن شبهه بالعيد لا يستلزم استواءه معه من كل جهة، ومن صام معه غيره انتفت عنه صورة التحري بالصوم.

ثانيها: لئلا يضعف عن العبادة وهذا اختاره النووي، وتعقب ببقاء

---

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٩٨٦)، وأبو داود (الصيام) ب ٥٢ وأحمد ٦/٤٣٠، والهيثمي في «مورد الظمآن» (٧٥٩)، وابن أبي شيبة ٤٣/٣، والبغوي في «شرح السنة» ٣٥٩/٦، والحافظ في «تغليق التعليق» (٧٠٩)، والزبيدي في «الإتحاف» ٢٥٩/٤، والمنذري في «الترغيب» ١٢٧/٢.

المعنى المذكور مع صوم غيره معه، وأجاب بأنه يحصل بفضيلة اليوم الذي قبله أو بعده جبر ما يحصل يوم صومه من فتور أو تقصير، فيه نظر فإن الجبران لا ينحصر في الصوم بل يحصل بجميع أفعال الخير فيلزم منه جواز إفراده لمن عمل فيه خيراً كثيراً يقوم مقام صيام يوم قبله أو بعده كمن أعتق فيه رقبة مثلاً ولا قائل بذلك. وأيضاً فكان النهي يختص بمن يخشى عليه الضعف لا من يتحقق القوة، ويمكن الجواب عن هذا بأن المظنة أقيمت مقام المئنة كما في جواز الفطر في السفر لمن لم يشق عليه.

ثالثها: خوف المبالغة في تعظيمه فيفتن به كما افتتن اليهود بالسبت وهو منتقض بثبوت تعظيمه بغير الصيام، وأيضاً فاليهود لا يعظمون السبت بالصيام فلو كان الملحوظ ترك موافقتهم لتحتم صومه لأنهم لا يصومونه. وقد روى أبو داود والنسائي وصححه ابن حبان من حديث أم سلمة أنَّ النبي ﷺ كان يصوم من الأيام السبت والأحد وكان يقول: «إنهما يوما عيد للمشركين فأحب أن أخالفهم».

رابعها: خوف اعتقاد وجوبه، وهو منتقض بصوم الاثنين والخميس.

خامسها: خشية أن يفرض عليهم كما خشي ﷺ من قيامهم الليل ذلك، قال المهلب: وهو منتقض باجازة صومه مع غيره، وبأنه لو كان كذلك لجاز بعده ﷺ لارتفاع السبب، لكن المهلب حمله على ذلك اعتقاده عدم الكراهة على ظاهر مذهبه.

سادسها: مخالفة النصارى لأنه يجب عليهم صومه ونحن مأمورون بمخالفتهم نقله القمولي وهو ضعيف.

وأقوى الأقوال وأولاها بالصواب أولها، وورد فيه صريحاً حديثان:

أحدهما: رواه الحاكم وغيره من طريق عامر بن لدين عن أبي هريرة مرفوعاً: «يوم الجمعة يوم عيد، فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم، إلاَّ أن تصوموا قبله أو بعده».

والثاني: رواه ابن أبي شيبة بإسناد حسن عن علي وقال: «من كان منكم متطوعاً من الشهر فليصم يوم الخميس، ولا يصم يوم الجمعة فإنه يوم طعام وشراب.. وَذِكْرٌ».

★ ★ ★

فضل الصبر على البلاء

حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن عُمرانَ أبي بكر قال: حدثني عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأةً من أهل الجنة؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف، فادع الله لي. قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك» فقالت: أصبر. فقالت: إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشفَ، فدعا لها.

حدثنا محمد أخبرنا مخلد عن ابن جريج أخبرني عطاء أنه رأى أم زُفَرَ، تلك المرأة الطويلة السوداء، على ستر الكعبة.[1]

بوّب له البخاري باب: «فضل من يصرع من الريح» انحباس الريح قد يكون سبباً للصرع، وهي علة تمنع الأعضاء الرئيسية عن انفعالها منعاً غير تام، وسببه ريح غليظة تنحبس في منافذ الدماغ، أو بخار رديء يرتفع إليه من بعض الأعضاء، وقد يتبعه تشنج في الأعضاء فلا يبقى الشخص معه منتصباً بل يسقط ويقذف الزبد لغلظ الرطوبة.

وقد يكون الصرع من الجن، ولا يقع إلاّ من النفوس الخبيثة منهم، إما لاستحسان بعض الصورالأنسية، وإما لإيقاع الأذية به، والأول هو الذي يثبته جميع الأطباء ويذكرون علاجه، والثاني يجحده كثير منهم، وبعضهم يثبته ولا يعرف له علاجاً إلاّ بمقاومة الأرواح الخيرة العلوية لتندفع آثار الأرواح الشريرة السفلية وتبطل أفعالها، وممن نص على ذلك أبقراط فقال لما ذكر علاج المصروع: هذا إنما ينفع في الذي سببه أخلاط، وأما الذي يكون

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٦٥٢)، ومسلم (البر والصلة) ٥٤، وأحمد ٣٤٧/١، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٠٢) و(٥٠٥)، والبغوي في «شرح السنة» ٢٧٥/٥، وأبي نعيم في «الحلية» ٧١/٢ و١٨٠/٦، والتبريزي في «مشكاة المصابيح» (١٥٧٧)، والذهبي في «الطب النبوي» (١٠٣)، والكحال في «الأحكام النبوية» ٤٤/١ والبيهقي في «دلائل النبوة» ١٥٦/٦، والطبراني في «الكبير» ١٥٧/١١، والنسائي في«عمل اليوم والليل» (٦٥٩).

من الأرواح فلا.

وفي الحديث فضل من يصرع، وأن الصبر على بلايا الدنيا يورث الجنة، وأن الأخذ بالشدة أفضل من الأخذ بالرخصة لمن علم من نفسه الطاقة ولم يضعف عن التزام الشدة، وفيه دليل على جواز ترك التداوي، وفيه أن علاج الأمراض كلها بالدعاء والالتجاء إلى الله أنجع وأنفع من العلاج بالعقاقير، وأن تأثير ذلك وانفعال البدن عنه أعظم من تأثير الأدوية البدنية، ولكن إنما ينجع بأمرين: أحدهما من جهة العليل وهو صدق القصد، والآخر من جهة المداوى وهو قوة توجه..

★ ★ ★

الصبر على الطاعون شهادة

حدثنا إسحاق، أخبرنا حَبّانُ، حدثنا داود بن أبي الفرات، حدثنا عبد الله بن بُرَيدةَ عن يحيى بن يَعْمَرَ، عن عائشة زوج النبي ﷺأنها أخبرته أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون، فأخبرها نبي الله ﷺ«أنه كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين، فليس من عبدٍ يقعُ الطاعونُ فيمكثُ في بلدهِ صابراً يعلمُ أنه لن يصيبه إلاّ ما كتبه الله له إلاّ كان له مثل أجر الشهيد».[1]

بوّب له البخاري باب: «أجر الصابر على الطاعون» أي سواء وقع به أو وقع في بلد هو مقيم بها.

قوله: «فجعله الله رحمة للمؤمنين» أي من هذه الأمة، وفي حديث أبي عسيب عند أحمد «فالطاعون شهادة للمؤمنين ورحمة لهم، ورجس على الكافر» وهو صريح في أن كون الطاعون رحمة إنما هو خاص بالمسلمين، وإذا وقع بالكفار فإنما هو عذاب عليهم يعجل لهم في الدنيا قبل الآخرة...

وأما العاصي من هذه الأمة فهل يكون الطاعون له شهادة أو يختص

(١) ـ ١٠٤ ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٧٣٤)، وأحمد ٦/٦٤.

بالمؤمن الكامل؟ فيه نظر... والمراد بالعاصي من يكون مرتكب الكبيرة ويهجم عليه ذلك وهو مصر، فإنه يحتمل أن يقال لا يكرم بدرجة الشهادة لشؤم ما كان متلبساً به لقوله تعالى ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾؟[الجاثية: ٢١]

وأيضاً فقد وقع في حديث ابن عمر ما يدل على أن الطاعون ينشأ عن ظهور الفاحشة، أخرجه ابن ماجه والبيهقي بلفظ: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم» الحديث وفي إسناده خالد بن يزيد بن أبي مالك وكان من فقهاء الشام، لكنه ضعيف عند أحمد وابن معين وغيرهما.. وله شاهد عن ابن عباس في «الموطأ» بلفظ: «ولا فشا الزنا في قوم إلاّ كثر فيهم الموت»الحديث، وفيه انقطاع...

ففي هذه الأحاديث أن الطاعون قد يقع عقوبة بسبب المعصية، فكيف يكون شهادة؟

ويحتمل أن يقال: بل تحصل له درجة الشهادة لعموم الأخبار الواردة، ولا سيما في حديث أنس «الطاعون شهادة لكل مسلم» رواه البخاري (٥٧٣٢)، ولا يلزم من حصول درجة الشهادة لمن اجترح السيئات مساواة المؤمن الكامل في المنزلة، لأن درجات الشهداء متفاوتة كنظيره من العصاة إذا قتل مجاهداً في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا مقبلاً غير مدبر، ومن رحمة الله بهذه الأمة المحمدية أن يعجل لهم العقوبة في الدنيا، ولا ينافي ذلك أن يحصل لمن وقع به الطاعون أجر الشهادة، ولا سيما وأكثرهم لم يباشر تلك الفاحشة، وإنما عمهم والله أعلم لتقاعدهم عن إنكار المنكر.

قوله: «مثل أجر الشهيد» لعل السر في التعبير بالمثلية مع ثبوت التصريح بأن من مات بالطاعون كان شهيداً أن من لم يمت من هؤلاء بالطاعون كان له مثل أجر الشهيد وإن لم تحصل له درجة الشهادة بعينها وذلك أن من اتصف بكونه شهيداً أعلى درجة ممن وعد بأنه يعطى مثل أجر الشهيد ويكون كمن خرج على نية الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا فمات بسبب غير القتل، وأما ما اقتضاه مفهوم حديث الباب أن من اتصف بالصفات المذكورة ووقع به الطاعون ثم لم يمت منه أنه يحصل له

ثواب الشهيد فشهد له حديث ابن مسعود الذي أخرجه أحمد من طريق إبراهيم بن عبيد بن رفاعة، أن أبا محمد أخبره وكان من أصحاب ابن مسعود أنه حدثه عن رسول الله ﷺ قال: «إن أكثر شهداء أمتي لأصحاب الفرش، ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته» ورجال سنده موثقون.

واستنبط من الحديث أن من اتصف بالصفات المذكورة ثم وقع به الطاعون فمات به أن يكون له أجر شهيدين، ولا مانع من تعدد الثواب بتعدد الأسباب كمن يموت غريباً بالطاعون، أو نفساء مع الصبر والاحتساب..

★ ★ ★

من نوقش الحساب عُذِّبَ

حدثنا عبيد الله بن موسى عن عثمان بن الأسود، عن ابن أبي مُلَيكة، عن عائشة، عن النبي ﷺ قال: «من نُوقش الحساب عذب» قالت: قلت: أليس يقول الله تعالى: ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيرا﴾ [الانشقاق:٨] قال: «ذلك العرض»(١).

حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا روح بن عُبادة، حدثنا حاتم بن أبي صغيرة، حدثنا عبد الله بن أبي مُليكة، حدثني القاسم بن محمد، حدثتني عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلاّ هلك» فقلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿فأما من أوتيَ كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حساباً يسيرا﴾ [الانشقاق: ٧-٨] فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك العرض، وليس أحدٌ يناقش الحسابَ يومَ القيامة إلاّ عُذِّب»(٢).

(١) - أخرجه البخاري في «صحيحه» (٦٥٣٦)، ومسلم (الجنة ٧٩، و٨٠)، والترمذي (٣٣٣٧)، وأحمد ٩١/٦ و١٢٧، والحاكم ٢٥٠/٤ و٥٨٠، والبغوي في «التفسير» ٢٢٤/٧، وابن عساكر ٢٦٦/٢، والطبري ١٨٩/٥ و٧٤/٣٠، وأخرجه بلفظ «من نوقش الحساب هلك» البخاري (١٠٣) و(٤٩٣٩)، ومسلم (٢٢٠٥)، والترمذي (٢٤٢٦)، وأبو داود (الجنائز) ب ٣، وأحمد ٢٠٦/٦، وابن أبي عاصم ٤٢٩/٢ و٤٣٠ وغيرهم.

(٢) - أخرجه البخاري في «صحيحه» ٦٥٣٧ ، والبغوي في «التفسير» ٢٢٤/٧ وفي «شرح السنة» ١٣١/١٥، والطبري ٧٤/٣٠.

بوّب له البخاري باب: «من نوقش الحساب عذب» والمراد بالمناقشة الاستقصاء في المحاسبة والمطالبة بالجليل والحقير وترك المسامحة.

قوله: «قالت: قلت: أليس يقول الله تعالى: ﴿فسوف يحاسب..﴾ الآية ولأحمد من وجه آخر عن عائشة: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلاته: «اللهم حاسبني حسابا يسيراً» فلما انصرف قلت: يا رسول الله ما الحساب اليسير؟ قال: «أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه، إن من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك».

★ ★ ★

زكاة الحلي

● عن عطاء بن أبي رباح. قال: بلغني: أن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «كنت ألبس أوضاحاً من ذهب، فقلت: يا رسول الله أكنزٌ هو؟ فقال: ما بلغ أن تؤدي زكاته فزكي فليس بكنز»(١)

● عن القاسم بن محمد رحمه الله «أن عائشة كانت تلي بنات أخيها محمدٍ، يتامى في حجرها، ولهن الحليُ فلا تُزكيهِ»(٢)

● عن نافع - مولى عبد الله بن عمر - «أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يُحلي بناتهِ وجواريهُ الذهبَ ثم لا يُخرج من حُليهنّ الزكاة»(٣)

★ ★ ★

صحة البيعة على الإسلام من النساء

● عن أميمة بنت رقيقة قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسوة من

---

(١) - أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» انظر «جامع الأصول» (٢٦٩١)
(أوضاحاً) الأوضاح حلى من الدراهم الصحاح. هكذا قال الجوهري وقال الأزهري الأوضاح حلى من الفضة.

(٢) - أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» (١/٢٥٠).

(٣) - أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» (١/٢٥٠) انظر «جامع الأصول» -٢٦٩٢- =

الأنصار، نُبايعه على الإسلام، فقلنا: نُبايعك على ألا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتانٍ نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيك في معروف فقال رسول الله ﷺ: «فيما استطعتن وأطقتنَّ». فقلنا: الله ورسوله أرحم بنا منا بأنفسنا: هلمَّ نبايعك يا رسول الله، فقال: إني لا أصافح النساء إنما قولي لمائة امرأة قولي لامرأةٍ واحدةٍ».

(هذه رواية الإمام مالك في «الموطأ» والنسائي)

ورواية الترمذي مختصرةٌ، قالت: بايعت رسول الله ﷺ في نسوةٍ فقال: فيما استطعتن وأطقتُنّ». قلت: الله ورسوله ارحم بنا من أنفسنا، قلتُ: يا رسول الله بايعنا ـ قال سفيان: تعني صافحنا ـ فقال رسول الله ﷺ: «إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأةٍ واحدة»[1].

★ ★ ★

خروج المرأة للقتال بدون إذن

● عن حشرج بن زياد رحمه الله. عن جدتهِ أُم أبيه: أنها خرجت مع رسول الله ﷺ في غزاةِ خيبر، سادسة ست نسوةٍ، قالت: فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فبعث إلينا فجئنا، فرأينا فيه الغضب فقال: «مع من خرجتُنَّ؟ وبإذن من خرجتُنَّ؟» فقلن: يا رسول الله، خرجنا نغزلُ الشعر ونعين به في سبيل الله، ونناول السهام ـ ومعنا دواءٌ للجرحى ـ ونسقي السويقَ، قال قمنا إذاً، حتى إذا فتح الله عليه خيبر أسهم لنا، كما أسهم للرجال» قال: فقلتُ لها: يا جدةُ، ما كان ذلك؟ قالت: تمراً.[2]

★ ★ ★

= ٢٦٩٣.

(١) ـ أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» (٩٨٢/٢) في البيعة باب ما جاء في البيعة والترمذي رقم (١٥٩٧): با (٧) في السير والنسائي (١٤٩/٧) في البيعة: باب بيعة النساء، وأخرجه ابن ماجه رقم (٢٨٧٤) في الجهاد باب البيعة وإسناده صحيح.

(٢) ـ أخرجه ابو داود (٣٧٣٩).

أسئلة النساء للرسول في حجة الوداع

عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه قال: دخلنا على جابر ابن عبد الله فسأل عن القوم؟ حتى انتهى إليَّ، فقلت: أنا محمد بن علي بن الحسين، فأهوى بيده إلى رأسي فنزع زري الأعلى، ثم نزع زري الأسفل، ثم وضع يده بين ثديي وأنا يومئذ غلام شاب فقال: مرحباً بك يا ابن أخي، سل عما شئت، فسألتُهُ ـ وهو أعمى ـ وحضر وقتُ الصلاةِ فقام في نساجةٍ ملتحفاً بها كُلما وضعها على منكبه رجعَ طرفاها إليه من صغرها ورِداؤهُ إلى جنبهِ على المشجبِ، فصلّى بنا، فقلتُ: أخبرني عن حجةِ رسول الله ﷺ فعقد بيدهِ تسعاً، فقال: إن رسول الله ﷺ مكث تسعَ سنين لم يحج ثم أذن في الناس في العاشرة، أن رسول الله ﷺحاجٌ، فقدم المدينة بشرٌ كثيرٌ، كلهم يلتمسُ أن يأتمّ برسول الله ﷺ. ويعمل مثل عملهِ فخرجنا معه، حتى أتينا ذا الحليفه، فولدت أسماءُ بنت عُميسٍ محمد بن أبي بكرٍ، فارسلت إلى رسول الله ﷺ ـ كيف أصنعُ؟ قال: اغتسلي واستنفري بثوب واحرمي، فصلى رسول الله ﷺ في المسجد ثم ركب القصواء حتى استوت به ناقته على البيداءِ، نظرت إلى مد بصري بين يديه من ركاب وماشٍ، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك ومن خلفهِ مثل ذلك، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآنُ وهو يغرفُ تأويلهُ وما عمل به من شيءٍ عملنا به فأهلّ بالتوحيد: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملكَ لا شريك لك، وأهلّ الناس بهذا الذي يهلون به، فلم يرد عليهم رسول الله ﷺ شيئاً منه، ولزم رسول الله ﷺ تلبيتهُ ـ قال جابر ـ لسنا ننوي إلا الحج، لسنا نعرف العُمرة ـ حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثاً، ومشى أربعاً ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ ﴿**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**﴾ [البقرة: ١٢٥] فجعل المقام بينه وبين البيت فكان ابي يقولُ ـ ولا أعلمُهُ ذكره إلا عن النبي ﷺ ـ كان يقرأ في الركعتين ﴿**قل هو الله أحد**﴾، و﴿**قل يا أيها الكرفرون**﴾ ثم رجع إلى الرُكن فاستلمهُ ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿**إن الصفا والمروة من شعائر الله**﴾ [البقرة: ١٥٨] ابدأ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا، فرقِيَ عليه حتى رأى البيت،

فأستقبل القبلة فوجد الله وكبرّهُ، وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير، لا إله إلا الله وحدهُ، أنجز وعدهُ، ونصر عبدهُ، وهزم الأحزاب وحدهُ، ثم دعا بين ذلك، قال هذا ثلاث مرات - ثم نزل إلى المروةِ حتى إذا أنصبت قدماهُ من بطن الوادي رمل، حتى إذا صعدنا مشى، حتى أتى المروةَ، ففعل على المروة كما فعل على الصف، حتى إذا كان آخر طواف عَلا على المروةِ وقال: لو رآني استقبلت من أمري ما استدبرتُ لم أسق الهدي وجعلتها عُمرةً فمن كان منكم ليس معهُ هديٌ فليحل» وليجعلها عُمرةً، فقام سراقة بن مالك بن جعشمٍ، فقال: يا رسول الله، ألعامنا هذا، أم للأبد؟ فشبك رسول الله ﷺ أصابعه واحدةٌ في الأخرى وقال: دخلت العمرة في الحجِّ- هكذا مرتين . وقدم عليٌّ من اليمن ببُدن النبي ﷺ فوجد فاطمة ممن حل ولبست ثياباً صبيغاً واكتحلت، فأنكر ذلك عليها فقالت إن أبي أمرني بهذا، قال: وكان عليٌّ رضي الله عنه يقول بالعراق فذهبت إلى رسول الله ﷺ متحرشاً على فاطمة للذي صنعت، مستفتياً لرسول الله فيما ذكرت عنه فأخبرتُه: إني أنكرت ذلك عليها، فقالت: أبي أمرني بهذا، فقال: صدقت، صدقتْ، ماذا قلت حين فرضت الحج؟ قال: قلتُ: اللهم إني أهلّ بما أهلّ به رسُولك، قال: فإن معي الهدى فلا تحلّ، قال: فكان جماعةُ الهدي الذي قدم به عليٌّ من اليمن اتى به النبي ﷺ مائةً، قال: فعل الناس كلهم وقصروا إلا النبي ﷺ ومن كان معه هديٌ فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج، وركب رسول الله ﷺ فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمسُ، وأمَر بقبعةٍ من شعر تضربُ له بنمرة فسار رسول الله ﷺ، ولا تشك قريشٌ إلا أنه واقفٌ عند المعشر الحرام بالمزدلفة كما كانت قريش تصنع في الجاهلية فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفه، فوجد القبعة قد ضربت له بنمرة فنزل بها، حتى إذا زاغت الشمس أمَرَ بالقصواء فرحلت له فركب فأتى بطن الوادي، فخطب الناس وقال: إن دماءكُم وأموالكم حرامٌ عليكم كحرمةِ يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيءٍ من أمرِ الجاهليةِ تحت قدمي موضوعٌ ودِماءُ الجاهلية موضوعةٌ، وإن أول دمٍ أضعُ من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعاً من بني سعد، فقتلتهُ

هذيلٌ، وربا الجاهلية موضوعٌ، وأول رباً أضعُ من ربانا، ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كلُهُ، فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرُشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرحٍ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده، إن اعتصمتم به، كتاب الله وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهدُ انك قد بلّغت وأديت ونصحت، قال بأصبعه السبابة يرفعُها إلى السماء وينكبها إلى الناس: اللهُم اشهد، اللهُم اشهد، ثلاث مرات، ثم أذن بلالٌ ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ولم يفصل بينهما شيئاً، ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف، فجعل بطن ناقتهِ القصواءِ إلى الصخرات، وجعل حبل المشاة بين يديه، واستقبل القبلة فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس وذهبت الصفرةُ قليلاً حين غاب القرص وأردف أسامة خلفه،ودفع رسول الله ﷺ وقد شنق للقصواء الزمام حتى إن رأسها ليُصيب مورِك رحله، ويقول بيدهِ: أيها الناس السكينةَ السكينةَ، كلما أتى حبلاً من الحبال ارخى لها قليلاً حتى تصعد، حتى أتى المزدلفة، فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحدٍ وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئاً ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر، فصلى الفجر حين يبينَ الصُبحُ بأذانٍ وإقامةٍ، ثم ركب القصواء حتى اتى المشعر الحرامِ فرقى عليه، فاستقبل القبلة، فحمد الله وكبّره وهلّله ووحّدهُ فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً فدفع قبل أن تطلع الشمسُ وأردف الفضل بن عباس، وكان رجلاً حسن الشعر أبيض وسيماً، فلما دفع رسول الله ﷺ مرت ضُعْنُ يجرين فطفق الفضل ينظر إليهن فوضع رسول الله ﷺ يدهُ على وجه الفضل، فحول الفضلُ وجههُ إلى الشق الآخر ينظرُ، فحول رسول الله ﷺ يدهُ من الشق الآخر على وجه الفضل، فصرف وجههُ من الشق الآخر ينظر حتى أتى بطن مُحسرٍ، فحرك قليلاً، ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج إلى الجمرةِ الكبرى، حتى أتى الجمرة التي عند الشجرةِ، فرماها بسبعِ حصياتٍ، يكبّر مع كل حصاة منها، حصى الخذف، رمى من بطن الوادي، ثم انصرف إلى المنحر، فنحر ثلاثاً وستين بدنة ببضعة فجعلت في قدرٍ، فطبخت، فأكلا من لحمها، وشربا من مرقها ثم ركب رسول الله ﷺ فأفاض إلى البيت فصلى

بمكة الظهر. فأتى بني عبد المطلب، وهم يسقون على زمزم، فقال: انزعوا بني عبد المطلب فلولا أن يغلبكم الناسُ على سقايتكم لنزعتُ معكم، فناولوهُ دلواً فشرب منه»[1]

★ ★ ★

أسئلة النساء في الحج

● وعن بريدة قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: إنَّ أُمي ماتت ولم تحج أفأحج عنها؟ قال: «نعم حجي عنها»[2].

● وعن ابن عباس أنَّ النبي ﷺ لقي ركبا بالروحاء فقال: «مَن القوم»؟ قالوا: المسلمون. فقالوا: من أنت؟ قال: رسول الله.

فرفعت إليه امرأةٌ صبياً فقالت: ألهذا حج؟

قال: «نعم ولكَ أجر»[3]

★ ★ ★

قال النووي في شرح مسلم: وفي هذا حجة للشافعي ومالك وأحمد وجماهير العلماء أن حج الصبي منعقد صحيح يثاب عليه وإن كان لا يجزئه عن حجة الإسلام. بل يقع تطوعاً، وهذا الحديث صريح فيه، وقال أبو حنيفة: لا يصح حجه. قال أصحابه وإنما فعلوه تمريناً له ليعتاده فيفعله إذا بلغ، وهذا الحديث يرد عليهم.

---

(١) ـ أخرجه مسلم رقم (١٢١٨) في الحج. وابو داود رقم (١٩٠٥) و(١٩٠٧) و(١٩٠٨) في المناسك.

والنسائي (١٤٣/٥) و(١٤٤) في الحج، وأخرجه ايضاً ابن ماجه رقم (٣٠٧٤) في المناسك.

(٢) ـ أخرجه الترمذي (٩٢٩) ورواه مسلم بأطول منه في الصيام باب قضاء الصيام عن الميت (١١٤٩).

(٣) ـ أخرجه مسلم (١٣٣٦) ومالك في «الموطأ» ٤٢٢/١ وأبو داود (١٧٣٦) والنسائي ١٢٠/٥.

قال القاضي: لا خلاف بين العلماء في جواز الحج بالصبيان، وإنّما منعه طائفة من أهل البدع، ولا يلتفت إلى قولهم، بل هو مـردود بفعل النبـي ﷺ وأصحابه وإجماع الأمة، وإنماخلاف أبي حنيفة في أنه هل ينعقد حجه وتجري عليه أحكام الحج ويجب فيه الفدية ودم الجبرات وسائر أحكام البالغ؟ فأبو حنيفة يمنع ذلك كله ويقول: إنما يجب ذلك تمريناً على التعليم، والجمهور يقولون تجري عليه أحكام الحج في ذلك ويقولون: حجه منعقد يقع نفلاً لأن النبي ﷺ جعل له حجا. قال القاضي: وأجمعوا على أنه لا يجزئه إذا بلغ عن فريضة الإسلام إلا فرقة شذت فقالت: يجزئه ولم يلتفت العلماء إلى قولها وقال النووي: قوله: «ولك أجر» معناه بسب حملها له وتجنيبها إياه وما يجتنبه المحرم وفعل ما يفعله المحرم والله أعلم.

وأما الوالي الذي يحرم عن الصبي، فالصحيح عند أصحابنا: أنه الذي يلي ماله، وهو : أبوه. أوجده أو الوصي. أو القيم من جهة القاضي أو القاضي أو الإمام.

وأما الأم، فلا يصح إحرامها عنه. إلا أن تكون وصيته أو قيمته من جهة القاضي.

وقيل: إنه يصح إحرامها وإحرام العصبة وإن لم يكن لهم ولاية المال. هذا كله إذا كان صغيراً لا يميز فإن كان مميزاً أذن له الولي فأحرم، فلو أحرم بغير إذن الولي، أو أحرم الولي عنه، لم ينعقد على الأصح وصفه إحرام الولي عن غير المميز أن يقول بقلبه جعلته محرماً والله أعلم.

● وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺعلى ضُباعة بنت الزبير وقال لها:«لعلك أردت الحج؟» قالت: والله ما أجدني إلاّ وجعةً، فقال لها: «حجي واشترطي وقولي: اللهم محلي حيث حبستني» وكانت تحت المقداد بنت الأسود.(١)

وفي رواية لمسلم: قالت: دخل النبيﷺ على ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب فقالت: يا رسول الله إني أريد الحج وأناشاكية؟ فقال النبي ﷺ:

---

(١) ـ أخرجه البخاري ١١٤/٩ ومسلم (١٢٠٧) والنسائي ١٦٨/٥.

«حجي واشترطي أنَّ محلي حيث حبستني»

● وعن ابن عباس أن ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب أتت رسول الله ﷺ فقالت: إني امرأة ثقيلة، وإني أريد الحج، فما تأمرني؟
قال: «أهلي بالحج واشترطي أن محلي حيث تحبسني»
قال: فأدركت.

وفي رواية: «أنَّ ضُباعة أرادت الحج فأمرها النبي ﷺ أن تشترط، ففعلت ذلك عن أمر رسول الله ﷺ»
وهذه رواية مسلم.

وفي رواية الترمذي وأبي داود: أنها أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إني أريد الحج أفأشترط؟
قال: «نعم»
قالت: كيف أقول؟
قال: قولي: «لبيك اللهم لبيك محلي من الأرض حيث تحبسني».

وفي رواية النسائي مثل الأولى.

وله في أخرى مثل الثالثة وزاد:
«فإنَّ لك على ربك ما استثنيت»(١)

قال النووي في شرح مسلم: ففيه دلالة لمن قال: يجوز أن يشترط الحاج والمعتمر في إحرامه: أنه من مرض تحلّل، وهو قول عمر بن الخطاب وعلي وابن مسعود وآخرين من الصحابة رضي الله عنهم وجماعة من التابعين وأحمد وإسحاق وأبي ثور وهو الصحيح من مذهب الشافعي،

---

(١) ـ أخرجه مسلم (١٢٠٨) في الحج باب جواز اشتراط المحرم التحلل بعذر المرض، والترمذي (٩٤١) في الحج باب ما جاء في الاشتراط في الحج، وأبو داود (١٧٧٦) في المناسك باب الاشتراط في الحج، والنسائي ٥/١٦٧ في الحج باب الاشتراط في الحج وباب كيف يقول إذا اشترط. انظر في ذلك «جامع الأصول» (١٧٦٧) و(١٧٦٨).

وحجتهم هذا الحديث الصحيح الصريح.

وقال أبو حنيفة ومالكَ وبعض التابعين: لا يصح الاشتراط وحملوا الحدث على أنه قضية عين، وإنه مخصوص بضباعة، وأشار القاضي عياض إلى تضعيف الحديث، فإنه قال الأصيلي: لا يثبت في الاشتراط إسناد صحيح. قال: قال النسائي: لا أعلم أحداً أسنده عن الزبير غير معمر.

وهذا الذي عرض به القاضي وقاله الأصيلي من تضعيف الحديث غلط فاحش جداً، لأنَ هذا الحديث مشهور في صحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وسائر كتب الحديث المعتمدة من طرق متعددة بأسانيد كثيرة عن جماعة من الصحابة، وفيما ذكره مسلم من تنويع طرقه أبلغ كفاية.

وفي هذا الحديث دليل على أنَّ المرض لا يبيح التحلل إذا لم يكن اشتراطه في حال الاحرام والله أعلم. اهـ.

★ ★ ★

حج المرأة عن أمها

حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ امرأةً من جهينة جاءت إلى النبيﷺ فقالت: إنَّ أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، فأحج عنها؟ قال: «نعم حُجّي عنها، أرأيتِ لو كان على أمك دين أكنتِ قاضِيتَهُ؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء».[1]

بوّب له البخاري باب: «الحج والنذور عن الميت، والرجل يحج عن المرأة». يعني أنَّ حديث الباب يستدل به على الحكمين، وفيه على

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٨٥٢) و(٦٦٩٩) و(٧٣١٥). ومسلم (صيام) ١٥٦، والنسائي ١٢٠/٥ و٢٢٩/٨، وأحمد ٢٢٤/١، والبيهقي في «السنن» ٢٥٦/٤، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٢١٩/٣ و٢٢٠ و٢٢١، والهيثمي في «المجمع» ٢٨٢/٣، والحافظ في «المطالب العالية» (١٧٤٤)، والهندي في «الكنز» (١٢٨٤٩)، والطبراني في «الكبير» ٢٣٧/١١ و٥١/١٢ و٧٢.

الحكم الثاني نظر، لأنَّ لفظ الحديث أنَّ امرأة سألت عن نذر كان على أبيها. فكان حق الترجمة أن يقول: والمرأة تحج عن الرجل، وأجاب ابن بطال بأنَّ النبي ﷺ خاطب المرأة بخطاب دخل فيه الرجال والنساء وهو قوله: «اقضوا الله» قال: ولا خلاف في جواز حج الرجل عن المرأة والمرأة عن الرجل، و لم يخالف في جواز حج الرجل عن المرأة والمرأة عن الرجل إلاّ الحسن بن صالح انتهى.

قوله: «إنَّ أمي نذرت أن تحج» قال الحافظ: محمول على أنَّ المرأة سألت عن كل من الصوم والحج ويدل عليه ما رواه مسلم عن بريدة أنَّ امرأة قالت: يا رسول الله إني تصدقت على أمي بجارية وأنها ماتت، قال: «وجب أجرك وردها عليك الميراث» قالت: إنه كان عليها صوم شهر أفأصوم عنها؟ قال: «صومي عنها» قالت: إنها لم تحج أفأحج عنها؟ قال: «حجي عنها» واستدل بحديث ابن عباس على صحة نذر الحج ممن لم يحج فإذا حج أجزأه عن حجة الإسلام عند الجمهور وعليه الحج عن النذر، وقيل: يجزئ عن النذر ثم يحج حجة الإسلام. وقيل: يجزئ عنهما.

قوله: «أرأيت إلخ» فيه مشروعية القياس وضرب المثل ليكون أوضح وأوقع في نفس السامع وأقرب إلى سرعة فهمه.

وفيه تشبيه ما اختلف فيه وأشكل بما اتفق عليه، وفيه أنه يستحب للمفتي التنبيه على وجه الدليل إذا ترتبت على ذلك مصلحة وهو أطيب لنفس المستفتي وأدعى لإذعانه، وفيه أن وفاء الدين المالي عن الميت كان معلوماً عندهم مقرراً ولهذا حسن الإلحاق به، وفيه إجزاء الحج عن الميت وفيه اختلاف فقد روى سعيد بن منصور وغيره عن ابن عمر بإسناد صحيح: «لا يحج أحد عن أحد» ونحوه عن مالك والليث، وعن مالك أيضاً: إن أوصى بذلك فليحج عنه وإلاّ فلا.

ومسألة الحج عن الغير مسألة خلافية، ففي حديث الخثعمية جواز الحج عن الغير، واستدل الكوفيون بعمومه على جواز صحة حج من لم يحج نيابة عن غيره، وخالفهم الجمهور فخصوه بمن حج عن نفسه، واستدلوا بما في السنن وصحيح ابن خزيمة وغيره من حديث ابن عباس أيضاً أنَّ النبي ﷺ رأى رجلاً يلبي عن شبرمة فقال: «أحججت عن نفسك؟» فقال: لا. قال:

«هذه عن نفسك ثم احجج عن شبرمة» واستدل به على أن الاستطاعة تكون بالغير كما تكون بالنفس، وعكس بعض المالكية فقال: من لم يستطع بنفسه لم يلاقه الوجوب، وأجابوا عن حديث الباب بأن ذلك وقع من السائل على جهة التبرع وليس في شيء من طرقه تصريح بالوجوب، وبأنها عبادة بدنية فلا تصح النيابة فيها كالصلاة، وقد نقل الطبري وغيره الإجماع على أن النيابة لا تدخل في الصلاة، قالوا: ولأن العبادات فرضت على جهة الابتلاء، وهو لا يوجد في العبادات البدنية إلاّ بإتعاب البدن فبه يظهر الانقياد أو النفور، بخلاف الزكاة فإن الابتلاء فيها بنقص المال، وهو حاصل بالنفس وبالغير، وقد أجاز المالكية الحج عن الغير إذا أوصى به و لم يجيزوا ذلك في الصلاة.

قال القرطبي: رأى مالك أن ظاهر حديث الخثعمية مخالف لظاهر القرآن فرجح ظاهر القرآن، ولا شك في ترجيحه من جهة تواتره ومن جهة أن القول المذكور قول امرأة ظنت ظناً..

وأما ما رواه عبد الرزاق من حديث ابن عباس فزاد في الحديث «حج عن أبيك فإن لم يزده خيراً لم يزده شراً» فقد جزم الحفاظ بأنها رواية شاذة.

★ ★ ★

حج المرأة عن أبيها

حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن سليمان بن يسار عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كان الفضل رديف رسول الله ﷺ، فجاءت امرأةٌ من خثعم، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، وجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة، أفأحجُّ عنه؟ قال: «نعم» وذلك في حجة الوداع.[1]

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٥١٣) و(١٨٥٤) و(١٨٥٥) و(٤٣٩٩) و(٦٢٢٨) و(١٨٥٣)، والبيهقي في «السنن» ٣٢٨/٤ و٣٢٩، و٣٣٠ و١٧٩/٥ و٢٧٧/٦، والترمذي (٨٨٥) والحافظ في «تلخيص الحبير» ١٥٠/٣ وابن =

بوّب له البخاري باب «وجوب الحج وفضله» و لم يورد البخاري في الباب غير حديث الخثعمية، وشاهد الترجمة منه خفي، وكأنه أراد إثبات فضله من جهة تأكيد الأمر به بحيث أن العاجز عن الحركة إليه يلزمه أن يستنيب غيره ولا يعذر بترك ذلك.

والاستطاعة المذكورة في الآية لا تختص بالزاد والراحلة بل تتعلق بالمال والبدن، لأنها لو اختصت للزم المعضوب أن يشد على الراحلة ولو شق عليه.

قال ابن المنذر: لا يثبت الحديث الذي فيه ذكر الزاد والراحلة، والآية الكريمة عامة ليست مجملة فلا تفتقر إلى بيان.

★ ★ ★

وصايا الرسول للمرأة في الحج

● عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، «أنَّ أم سُليم بنت مِلحان استفتت رسول الله ﷺ وحاضت ـ أو ولدت ـ بعد ما أفاضت يوم النحر، فأذِن لها رسول الله ﷺ فخرجت»[1].

● وعن الحارث بن عبد الله بن أوس قال: «أتيت عمر رضي الله عنه فسألته عن المرأة تطوف بالبيت، قال الحارثُ: كذلك أفتاني رسول الله ﷺ، فقال عمر: أربْت عن يديك، تسألني عن شيء سألت عنه رسول الله لكيْما أخالف؟» (هذه رواية ابي داود).

وفي رواية الترمذي: قال الحارث بن عبد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من حج هذا البيت أو اعتمر، فليكن آخر عهده بالبيت، فقال له عمر: خررت من يديك سمعت هذا من رسول الله ﷺ و لم تخبرنا به؟»[2].

= كثير في «البداية» ١٨٥/٥، والهندي في «الكنز» (١٢٩٠٣) و(١٣٠٣٧).

(١) ـ أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» ٤١٣/١.

(٢) ـ أخرجه أبو داود (٢٠٠٤) والترمذي (٩٤٦).

● عن نافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال ابنُ عمر رضي الله عنهما «لا تنفر الحائض حتى تودعَ، ثم سمعته بعدُ يقولُ إن رسول الله ﷺ أرخص لهُنَّ»

وفي رواية قال: إن ابنَ عمر رضي الله عنه قال: «من حج البيت فليكن آخر عهده بالبيت، إلا الحيض، رخص لهُن رسول الله ﷺ»(١).

● عن عمرة بنت عبد الرحمن «أن عائشة أم المؤمنين كانت اذا حجت، ومعها نساء تخاف أن يحضن، قدمتهن يوم النحر فأفضن فإن حِضن بعد ذلك لم تنتظِرهن تنفُر بهنّ وهُن حيضٌ إذا كنَّ قد أفضنَ»(٢)

● عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال لها: «طوافك بالبيت وبين الصفا والمروةِ: يكفيك لحجتكِ وعمرتك»(٣).

● عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن تحلق المرأة رأسها»(٤).

وزاد رزينٌ في كتابه في الحج فقال: «إنما عليها التقصيرُ»(٤)

● عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: «ليس على النساءِ الحلقُ وإنما على النساء التقصيرُ»(٥)

★ ★ ★

نصائحه للحائض

حدثنا محمد بن المثنى قال: حدثنا يحيى عن هشام قال: حدثتني فاطمة

---

(١) ـ أخرجه الترمذي (٩٤٤).

(٢) ـ أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» (٤١٣/١).

(٣) ـ أخرجه أبو داود (١٨٩٧) في المناسك باب طواف القارن، واسناد حسن. وقد أخرجه البخاري عن ابن عمرانه طاف لحجته. وعمرته طوافاً واحداً أو قد تقدم.

(٤) ـ أخرجه الترمذي (٩١٤).

(٥) ـ أخرجه ابو داود (١٩٨٥).

عن أسماء قالت: جاءت امرأةٌ النبي ﷺ فقالت: «أرأيتَ إحدانا تحيضُ في الثوب كيف تصنع؟ قال: «تَحتُّه ثم تقرُصُهُ بالماء وتنضحُه وتصلي فيه»[1]

حدثنا محمد قال: حدثنا أبو معاويةَ، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: جاءت فاطمة ابنةُ أبي حبيش إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إني امرأة أُستَحاضُ فلا أطهر، أفأدعُ الصلاةَ؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا، إنما ذلك عِرْقٌ، وليس بحيض. فإذا أقبلت حيضتك فدعي الصلاة، وإذا أدبرت فاغسلي عنك الدَّم ثم صلِّي» وقال: وقال أبي: «ثم توضئي لكل صلاة حتى يجيء ذلك الوقتُ».[2]

بوّب له البخاري باب «غسل الدَّم»

قوله: «تحيض في الثوب» أي يصل دم الحيض إلى الثوب..

قوله: «تحته» المراد بذلك إزالة عينه..

قوله: «ثم تقرصه» أي تدلك موضع الدم بأطراف أصابعها ليتحلل بذلك ويخرج ما تشربه الثوب منه.

قوله: «وتنضحه» أي تغسله، قاله الخطابي. وقال القرطبي: المراد به الرش لأن غسل الدم استفيد من قوله: «تقرصه بالماء وأما النضح فهو لما شكت فيه من الثوب. قال الحافظ: فعلى هذا فالضمير في قوله تنضحه يعود على الثوب، بخلاف «تحته» فإنه يعود على الدم، فيلزم منه اختلاف

---

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٢٧) و(٣٠٧)، ومسلم (الطهارة) ١١٠، وأحمد ٦/٣٤٦ و٣٥٣، والبيهقي في «السنن» ٢/٤٠٢، والزيلعي في «نصب الراية» ١/٢٠٧، والشيخ في «إرواء الغليل» ١/٣١٢، والحافظ في «تلخيص الحبير» ١/١٥.

(٢) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٢٨) و(٣١٦)، ومسلم (الحيض) ٦٢ و٦٣ وأبو داود (٢٨٢) والترمذي (١٢٥)، والنسائي ١/١٢٤ و١٨٤ ـ ١٨٦، وابن ماجه (٦٢١)، وعبد الرزاق (١١٦٥)، وابن أبي شيبة ١/١٢٥ و١٢٦، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١/١٠٣، والحميدي (١٦٠)، وأبو عوانة ١/٣١٩ ومالك في «الموطأ» ١/٦١، والتبريزي في «مشكاة المصابيح» (٥٥٧)، والبغوي في «شرح السنة» ٢/١٤٠، والبيهقي في «السنن» ١/١١٦، و٣٢١ و٣٢٤ و٣٢٧ و٣٢٩ و٣٣٠ و٤٠٢، والحاكم ٤/٦٥، والساعاتي في «بدائع المنن» (١١٥) والشافعي (٣١٠) وابن سعد في «الطبقات الكبرى» ٨/١٧، والحافظ في «تلخيص الحبير» ١/١٦٧.

الضمائر وهو على خلاف الأصل، ثم إنّ الرش على المشكوك فيه لا يفيد شيئاً لأنه إن كان طاهراً فلا حاجة إليه، وإن كان متنجساً لم يطهر بذلك، فالأحسن ما قاله الخطابي، قال الخطابي: في هذا الحديث دليل على أن النجاسات إنما تزالَ بالماء دون غيره من المائعات، لأنّ جميع النجاسات بمثابة الدم لا فرق بينه وبينها إجماعاً، وهو قول الجمهور، أي يتعين الماء لإزالة النجاسة.

وعن أبي حنيفة وأبي يوسف يجوز تطهير النجاسة بكل مائع طاهر، ومن حجتهم حديث عائشة «ما كان لإحدانا إلاّ ثوب واحد تحيض فيه، فإذا أصابه شيء من دم الحيض قالت بريقها فمصعته بظفرها» ولأبي داود: «بلته بريقها». ووجه الحجة منه أنه لو كان الريق لا يطهر لزاد النجاسة.

قال الحافظ: وأجيب باحتمال أن تكون قصدت بذلك تحليل أثره ثم غسلته بعد ذلك...

فائدة: وتعقب استدلال من استدل على تعيين إزالة النجاسة بالماء من هذا الحديث بأنه مفهوم لقب وليس بحجة عند الأكثر، ولأنه خرج مخرج الغالب في الاستعمال لا الشرط. وأجيب بأن الخبر نص على الماء، فإلحاق غيره به بالقياس، وشرطه أن لا ينقص الفرع عن الأصل في العلة، وليس في غير الماء ما في الماء من رقته وسرعة نفوذه فلا يلحق به.

أما قوله في الحديث الثاني: «أُستحاض» يقال: استحيضت المرأة إذا استمر بها الدم بعد أيامها المعتادة فهي مستحاضة، والاستحاضة جريان الدم من فرج المرأة في غير أوانه.

قوله: «لا» أي لا تدعي الصلاة.

قوله: «حيضتك» المراد بالإقبال والإدبار هنا ابتداء دم الحيض وانقطاعه.

قوله: «فدعي الصلاة» يتضمن نهي الحائض عن الصلاة، وهو للتحريم ويقتضي فساد الصلاة بالإجماع.

قوله: «فاغسلي عنك الدم» أي واغتسلي.

★ ★ ★

إذا أنفست المرأة في الحج

حدثنا علي بن عبد الله قال: حدثنا سفيان قال: سمعت عبد الرحمن ابن القاسم قال: سمعت القاسم يقول: سمعت عائشة تقول: خرجنا لا نُرى إلاِ الحج، فلما كنا بسَرِفَ حِضْتُ، فدخل عليٍ رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قال: «مالك، أَنُفِسْتِ»؟ قلتُ: نعم. قال: «إنّ هذا أمرٌ كتبه الله على بنات آدم، فاقضي ما يقضِي الحاج، غير أن لا تطوفي بالبيت» قالت: وضحى رسول الله ﷺ عن نسائه بالبقر[1]

بوّب له البخاري باب «الأمر بالنفساء إذا نُفِسْنَ» أي الأمر المتعلق بالنفساء، وترجم بالنفساء إشعاراً بأن ذلك يطلق على الحائض لقول عائشة في الحديث «حضت» وقوله ﷺ لها: «أنفست» وهو بضم النون وفتحها وكسر الفاء فيهما، وقيل: بالضم في الولادة، وبالفتح في الحيض، وأصله خروج الدم لأنه يسمى نفساً..

«لا نُرى» بالضم: أي لا نظن.

و«سَرِفَ» موضع قريب من مكة بينهما نحو من عشرة أميال.

قوله: «غير أن لا تطوفي بالبيت» زاد في رواية «حتى تطهري» وهذا الاستثناء مختص بأحوال الحج لا بجميع أحوال المرأة...

★ ★ ★

عرق الاستحاضة

حدثنا إبراهيم بن المنذر قال: حدثنا معن قال: حدثني ابن أبي ذئب عن

---

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٩٤) و(٣٠٥) و(٣١٦) و(٣١٧) و(٣١٩) و(٣٢٨) و(١٥١٦) و(١٥١٨) و(١٥٥٦) و(١٥٦٠) و(١٥٦١) و(١٥٦٢) و(١٦٣٨) و(١٦٥٠) و(١٧٠٩) و(١٧٢٠) و(١٧٣٣) و (١٧٥٧) و (١٧٦٢) و(١٧٧١) و(١٧٧٢) و(١٧٨٣) و(١٧٨٦) و (١٧٨٧) و(١٧٨٨) و (٢٩٥٢) و(٢٩٨٤) و(٤٣٩٥) و(٤٤٠١) و(٤٤٠٨) و(٥٣٢٩) و(٥٥٤٨) و (٥٥٥٩) و(٦١٥٧) و(٧٢٢٩)، والنسائي (الطهارة) ب ٨ و(الحيض) ب ١، وابن ماجه =

ابن شهاب عن عروة وعن عَمْرةَ عن عائشة زوج النبي ﷺأنَّ أمَّ حبيبة استحيضت سبعَ سنين فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فأمرها أن تغتسل قال: «هذا عِرقٌ» فكانت تغتسل لكل صلاةٍ.(١)

بوّب له البخاري باب: «عرق الاستحاضة»

وأم حبيبة هي بنت جحش أخت زينب أم المؤمنين، وهي مشهورة بكنيتها، وقد قيل: اسمها حبيبة وكنيتها أم حبيب، وكانت زوج عبد الرحمن بن عوف، وقيل: اسمها زينب وكنيتها أم حبيبة، وأما كون اسم اختها أم المؤمنين زينب فإنه لم يكن اسمها الأصلي، وإنما كان اسمها برة فغيره النبي ﷺ، ولهما أخت أخرى اسمها حمنة وهي احدى المستحاضات.

قوله: «استحيضت سبع سنين» قيل: فيه حجة لابن القاسم في إسقاطه عن المستحاضة قضاء الصلاة إذا تركتها ظانة أن ذلك حيض، لأنه ﷺ لم يأمرها بالإعادة مع طول المدة...

قوله: «فأمرها أن تغتسل» وهذا الأمر بالاغتسال مطلق فلا يدل على التكرار، فلعلها فهمت طلب ذلك منها بقرينة، فلهذا كانت تغتسل لكل صلاة، وقال الشافعي: إنما أمرها ﷺ أن تغتسل وتصلي، وإنما كانت تغتسل لكل صلاة تطوعاً، وكذا قال الليث بن سعد في روايته عند مسلم: لم يذكر ابن شهاب أنه ﷺ أمرها أن تغتسل لكل صلاة، ولكنه شيء فعلته هي. وإلى هذا ذهب الجمهور قالوا: لا يجب على المستحاضة الغسل لكل صلاة، إلا المتحيرة، لكن يجب عليها الوضوء. ويؤيده ما رواه أبو داود من طريق عكرمة: «أن أم حبيبة استحيضت فأمرها ﷺ أن تنتظر أيام أقرائها ثم تغتسل وتصلي، فإذا رأت شيئاً من ذلك توضأت وصلت».

= (٢٩٦٣)، وأحمد ٦/٦٥، والبيهقي في «السنن» ١/٣٠٨ و٥/٨٦ و٤/٢٣٤، والدارمي ١/٢٤٣، والساعاتي في «بدائع المنن» (٩١٥)، والزيلعي في «نصب الراية »٣/١٢٢، والبغوي في «شرح السنة» ٧/١٢٣ والشافعي (١١١)، والحميدي (٢٠٦).

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٢٧).

واستدل المهلبي بقوله لها: «هذا عرق» على أنه لم يوجب عليها الغسل لكل صلاة لأن دم العرق لا يوجب غسلاً.

وأما ما وقع عند أبي داود من رواية سليمان بن كثير وابن اسحاق عن الزهري في هذا الحديث: «فأمرها بالغسل لكل صلاة» فقد طعن الحفاظ في هذه الزيادة لأن الإثبات من أصحاب الزهري لم يذكروها، وقد صرح الليث كما تقدم عند مسلم بأن الزهري لم يذكرها، لكن روى أبو داود من طريق يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن زينب بنت أبي سلمة في هذه القصة: «فأمرها أن تغتسل عند كل صلاة» فيحمل الأمر على الندب جمعاً بين الروايتين، وقد حمله الخطابي على أنها كانت متحيرة، وفيه نظر لما تقدم من رواية عكرمة أنه أمرها أن تنتظر أيام أقرائها...

وقال الطحاوي: حديث أم حبيبة منسوخ بحديث فاطمة بنت أبي حبيش أي لأنه فيه الأمر بالوضوء لكل صلاة لا الغسل، والجمع بين الحديثين بحمل الأمر في حديث أم حبيبة على الندب أولى. والله أعلم.

★ ★ ★

كيف تغتسل المرأة من المحيض

حدثنا يحيى قال: حدثنا ابن عيينة، عن منصور بن صفية، عن أُمِّهِ، عن عائشة أن امرأةً سألت النبي ﷺ عن غسلها من المحيض فأمرها كيف تغتسل قال: «خذي فِرْصَةً من مَسْكٍ فتطهري بها» قالت: كيف أتطهر؟ قال: «تطهري بها» قالت: كيف؟ قال: «سبحان الله، تطهري» فاجتبذتها إليَّ فقلت: تتبعي بها أثر الدم.(١)

بوّب له البخاري باب «دلك المرأة نفسها إذا تطهرت من المحيض

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣١٤) و(٣١٥) و(٧٣٥٧) ومسلم (الحيض ٦٠، والنسائي ٢٠٧/١، وأحمد ١٢٢/٦، وأبي عوانة ٣١٨/١ والبيهقي في «السنن» ١٨٣/١، والتبريزي في «مشكاة المصابيح» (٤٣٧)، والبغوي في «شرح السنة» ١٩/٢، والساعاتي في «بدائع المنن» (١١٨)، والحافظ في «تلخيص الحبير» ١٤٣/١.

وكيف تغتسل وتأخذ فِرْصَةً مُمسَّكَةً فَتَتَّبعُ أثَرَ الدَّم»

قال الكرماني تبعاً لغيره: بأن تتبع أثر الدم يستلزم الدلك، وبأن المراد من كيفية الغسل الصفة المختصة بغسل المحيض وهي التطيب لا نفس الاغتسال انتهى.

قال الحافظ: وهو حسن على ما فيه من كلفة، وأحسن منه أن البخاري جرى على عادته في الترجمة بما تضمنه بعض طرق الحديث الذي يورده وإن لم يكن المقصود منصوصاً فيما ساقه. وبيان ذلك أن مسلماً أخرج هذا الحديث من طريق ابن عيينة عن منصور التي أخرجه منها المصنف، فذكر بعد قوله كيف تغتسل: «ثم تأخذ» زاد «ثم» الدالة على تراخي تعليم الأخذ عن تعليم الاغتسال المسكوت عنها في رواية منصور ولفظه: فقال: تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها فتطهر فتحسن الطهور، ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكاً شديداً حتى تبلغ شؤون رأسها - أي أصوله - ثم تصب عليها الماء، ثم تأخذ فرصة» فهذا مراد الترجمة لاشتمالها على كيفية الغسل والدلك، وإنما لم يخرج المصنف هذه الطريق لكونها من رواية إبراهيم بن مهاجر عن صفية وليس هو على شرطه.

قال النووي: والمقصود باستعمال الطيب دفع الرائحة الكريهة على الصحيح.

وفي هذا الحديث من الفوائد: التسبيح عند التعجب، ومعناه هنا كيف يخفى هذا الظاهر الذي لا يحتاج في فهمه إلى فكر؟ وفيه استحباب الكنايات فيما يتعلق بالعورات، وفيه سؤال المرأة العالم عن أحوالها التي يحتشم منها، ولهذا كانت عائشة تقول في نساء الأنصار: لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»، وفيه الاكتفاء بالتعريض والإشارة في الأمور المستهجنة، وتكرير الدين، وفيه الاكتفاء بالتعريض والإشارة في الأمور المستهجنة، وتكرير الجواب لإفهام السائل، وإنما كرره مع كونها لم تفهمه أولاً لأن الجواب به يؤخذ من إعراضه بوجهه عند قوله: «توضئي» أي في المحل الذي يستحيى من مواجهة المرأة بالتصريح به، فاكتفى بلسان الحال عن لسان المقال، وفهمت عائشة رضي الله عنها ذلك عنه فتولت تعليمها. وبوّب عليه البخاري في «الاعتصام» : «الأحكام التي تعرف بالدلائل». وفيه تفسير

كلام العالم بحضرته لمن خفي عليه إذا عرف أن ذلك يعجبه. وفيه الأخذ عن المفضول بحضرة الفاضل، وفيه صحة العرض على المحدث إذا أقره ولو لم يقل عقبه نعم، وأنه لا يشترط في صحة التحمل فهم السامع لجميع ما يسمعه، وفيه الرفق بالمتعلم وإقامة العذر لمن لا يفهم. وفيه أن المرء مطلوب بستر عيوبه وإن كانت مما جبل عليها من جهة التحمل فهم السامع لجميع ما يسمعه، وفيه الرفق بالمتعلم وإقامة العذر لمن لا يفهم. وفيه أن المرء مطلوب بستر عيوبه وإن كانت مما جبل عليها من جهة أمر المرأة بالتطيب لإزالة الرائحة الكريهة. وفيه حسن خلقه ﷺ وعظيم حلمه وحيائه زاده الله شرفاً.

★ ★ ★

لا وفاء لنذر في معصية

حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال: أخبرني سعيد بن أبي أيوب أن يزيد بن أبي حبيب أخبره أن أبا الخير حدثه عن عقبة بن عامر قال: نذرت أختي أن تمشي إلى بيت الله، وأمرتني أن استفتي لها النبيﷺ، فاستفتيته، فقال ﷺ: «لتمش ولتركب».[1]

بوّب له البخاري باب «من نذر المشي إلى الكعبة» أي وغيرها من الأماكن المعظمة هل يجب عليه الوفاء بذلك أولا؟ وإذا وجب فتركه قادراً أو عاجزاً ماذا يلزمه؟ وفي كل ذلك اختلاف بين أهل العلم.

قوله: «نذرت أختي» هي أم حبان بنت عامر..

قوله: «أن تمشي إلى بيت الله» زاد مسلم «حافية» ولأحمد وأصحاب السنن «أن أخته نذرت أن تمشي حافية غير مختمرة» وزاد الطبري «وهي امرأة ثقيلة والمشي يشق عليها» ولأبي داود عن ابن عباس أن عقبة بن عامر سأل النبي ﷺ فقال: «إنَّ أخته نذرت أن تمشي إلى البيت، وشكا إليه ضعفها».

---

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٨٦٦)، ومسلم (النذر) ب ٤ رقم ١١، وأبو داود (٣٢٩٩)، والنسّائي ١٩/٧ و٣٢، وأحمد ١٥٢/٤، والبيهقي في «السنن» ٧٩/١٠، والطبراني في «الكبير» ٢٧٣/١٧ و٢٧٤، والسيوطي في «الدر المنثور» ٣٥١/١.

قوله: «فقال: لتمش ولتركب» في رواية عبد الله بن مالك «مرها فلتختمر ولتركب ولتصم ثلاثة أيام» ووقع في رواية عكرمة قال: «فلتركب ولتهد بدنة.

★ ★ ★

جواز الأضحية عن جميع الأهل

حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا سعيد هو ابن أبي أيوب قال: حدثني أبو عُقيل زُهرةُ بن مَعْبد عن جده عبد الله بن هشام وكان قد أدرك النبي ﷺ وذهبتْ به أمه زينبُ ابنة حُميد إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله بايعه، فقال النبي ﷺ: «هو صغير» فمسح رأسه ودعا له، وكان يُضحي بالشاةِ الواحدة عن جميع أهله.[1]

بوّب له البخاري باب: «بيعة الصغير» أي هل تشرع أو لا؟

قال ابن المنير: الترجمة موهمة، والحديث يزيل إيهامها، فهو دال على عدم انعقاد بيعة الصغير.

★ ★ ★

(١) ـ أخرجه البخاري في «صحيحه» (٧٢١٠) و(٢٥٠١) و(٢٥٠٢)، وأبو داود (٢٩٤٢)، وأحمد ٢٣٣/٤، والبيهقي في «السنن» ٧٩/٦ و١٤٨/٨ و٢٦٨/٩.

فهرس المحتويات

المقدمة ٥

الدين النصيحة ٧

تقوى الله ٧

مثل الذي يذكر الله والذي لا يذكره ٨

قراءة القرآن ٩

مثل الإيمان والكفر ١٠

العمل الذي يدخل الجنة ١١

قل آمنت بالله ثم استقم ١٢

ظن العبد بالله ١٣

دعاء المكروب ١٤

الاستغفار والتوبة ١٤

حسن الخلق ١٥

البر والإثم ١٦

حق الزوج على الزوجة ١٨

أي الناس أعظم حقاً على المرأة؟ ٢١

المرأة راعية في بيت زوجها ٢٧

ملاطفة الزوج ٢٨

الحياء في المرأة دليل إيمانها ٢٩

لا يحق للمرأة أن تطلب الطلاق إلاّ لضرورة ٣٢

على المرأة أن تطلب العلم وتستمع إلى الوعظ ٣٤
الدعوة إلى الرحمة والشفقة ٣٧
نصائح نبوية ٣٨
إدفعي عن نفسك الشبهة ٣٩
إياكن والتبرج ٤٢
التحذير من النار ٤٥
احذري هذه الأشياء ٤٥
لا تؤذي جيرانك ٤٧
احذري ثرثرة لسانك ٤٩
صفات لا تكون بالمؤمن ٥٥
إياكِ والحسد ٥٦
إياكِ والإسراف ٦٣
إياك وعمل الجاهلية ٦٤
المدح والثناء والإعجاب ٦٥
استكثري من الباقيات الصالحات ٧٠
لا تتمني الموت لضر أصابك ٧١
عليك من الأعمال ما تطيقين ٧٢
الغيرة ٧٣
اختيار الجليس ٧٧
التحذير من هجران المسلم ٧٩
الصلاة يمحو الله بها الخطايا ٨٠
أقرب ما يكون العبد من ربه ٨٢
خروج المرأة إلى المسجد ٨٣

كيف تخرجين إلى صلاة العيد ٨٦
الصدقة واجبة على المرأة والرجل على السواء ٨٩
كيف تنفق المرأة من مال زوجها ٩١
بذل الأموال في سبيل الله ٩٧
الشهر الذي يحط فيه الخطايا ٩٨
الصوم مكفر لصغائر الذنوب وكبائرها ٩٩
هل على الحامل والمرضع صوم؟ ١٠٤
هذه دعوتك في ليلة القدر ١٠٦
ما يكفر الله به الذنوب ١٠٨
المسموح به عند المصائب والأحزان ١١١
الصبر في الضراء والشكر في السراء ١١٤
الصبر عند الصدمة الأولى ١١٥
اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد جاء ما يشغلهم ١١٧
من طال عمره وحسن عمله ١٢٢
انقطاع عمل الإنسان بعد موته إلاّ من ثلاث ١٢٥
الحسنات والسيئات ١٢٥
علاج الخطأ والتقصير ١٢٨
رحمة الله بالعباد ١٣١
جواز عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح ١٣٢
عدم جواز نكاح المكره ١٣٣
زواج الثيب ١٣٣
وجوب رد المهر على الرجل إذا كرهت المرأة ١٣٤
الزواج بعد الوضع ١٣٥

الرجوع للزوج الأول ١٣٦
عدة المتوفى عنها زوجها ١٣٨
افتخار الضرة على ضرتها ١٤٠
الغسل واجب على المرأة في حالة الاحتلام ١٤٠
الاغتسال من إناء واحد ١٤١
ثبوت الرضاعة بالاستفاضة ١٤٥
تربية البنات ١٤٧
النهي عن وصل الشعر ١٤٩
الهدية للأقرب فالأقرب ١٥٠
النفقة على الأقارب ١٥١
الهدية للقريب وإن كان مشركاً ١٥٢
الغناء في العيد ١٥٣
نصائح الرسول في مواطن الشُبه ١٥٧
السن بالسن ١٥٨
أقضية رسول الله في المرأتين اللتين اقتتلتا ١٥٩
الخالة بمنزلة الأم ١٦١
من وصاياه ﷺ في الطب ١٦١
ما يُطرح من النجاسة ١٦٢
أحب الدين إلى الله أدومه ١٦٥
الإلتفات في الصلاة ١٦٦
كيفية الصيام يوم الجمعة ١٦٧
فضل الصبر على البلاء ١٦٩
الصبر على الطاعون شهادة ١٧٠

من نوقش الحساب عُذِّبَ ١٧٢
زكاة الحلي ١٧٣
صحة البيعة على الإسلام من النساء ١٧٣
خروج المرأة للقتال بدون إذن ١٧٤
أسئلة النساء للرسول في حجة الوداع ١٧٥
أسئلة النساء في الحج ١٧٨
حج المرأة عن أمها ١٨١
حج المرأة عن أبيها ١٨٣
وصايا الرسول للمرأة في الحج ١٨٤
نصائح للحائض ١٨٥
إذا أنقسمت المرأة في الحج ١٨٨
عرق الاستحاضة ١٨٨
كيف تغتسل المرأة من المحيض ١٩٠
لا وفاء لنذر في معصية ١٩٢
جواز الأضحية عن جميع الأهل ١٩٣
الفهرس ١٩٥

لقد انتشل الإسلام المرأة من الوأد ومظالم الجاهلية الجهلاء، وبوّأها مركزها اللائق بها في البيت وفي المجتمع. وصوناً لعفّتها وحفاظاً على دورها المميّز، أعدّ لها التشريع الملائم، فصارت سيّدةً محصّنةً بعد أن كانت شيئاً مبتذلاً، لا حول لها ولا طول. رفعها درجات وأعتقها من قيودٍ مريرةٍ كانت تضغط على كرامتها الإنسانية، وأعطاها حقّ التملُّك والإرث والتجارة، وحتى حقّ طلب الطلاق. فساوى بين حقوقها وحقوق الرجل، ورفع عنها الغبن اللاحق بها عبر الأجيال.

وما أروع وصايا الرسول الكريم ﷺ، وما أحوجنا إلى فهمها ومدارستها والأخذ بها، وتطبيقها، فهي الغاية والمنتهى، والدواء والشفاء.

وفي هذا الكتاب: «من وصايا الرسول للنساء» تتوالى أمامنا الآيات القرآنية الكريمة وكلها تحضّ على إنصاف المرأة، كما تتوالى الأحاديث النبوية الشريفة التي تدلّل على مركزها، فنُذهل لهذا الكم من الكلام الذي يضع المرأة في مقامها السامي أي في قلب العائلة والمجتمع. وما أروع قوله ﷺ «رفقاً بالقوارير» (أي النساء).